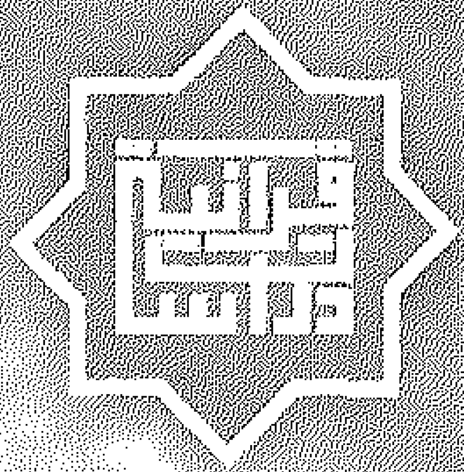
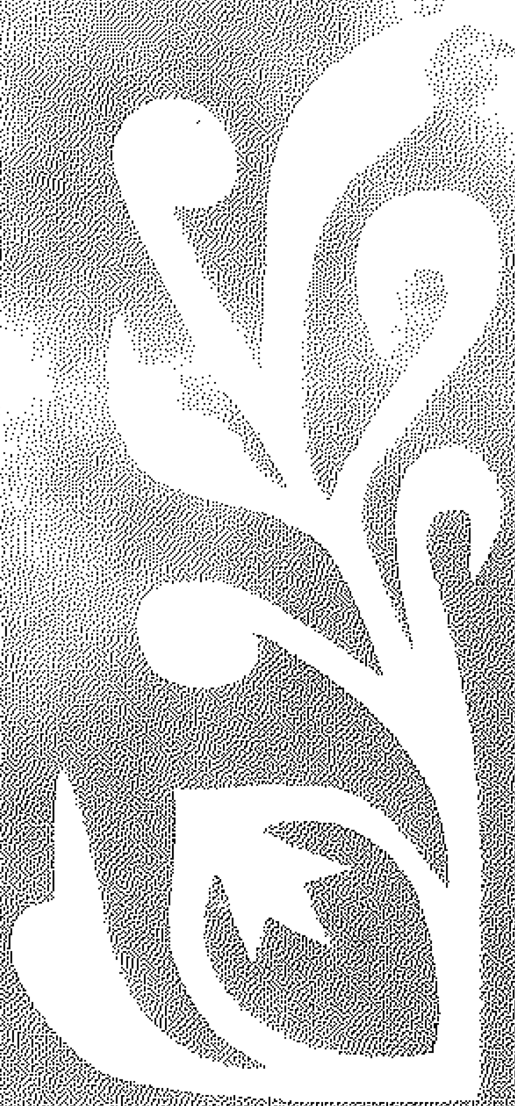
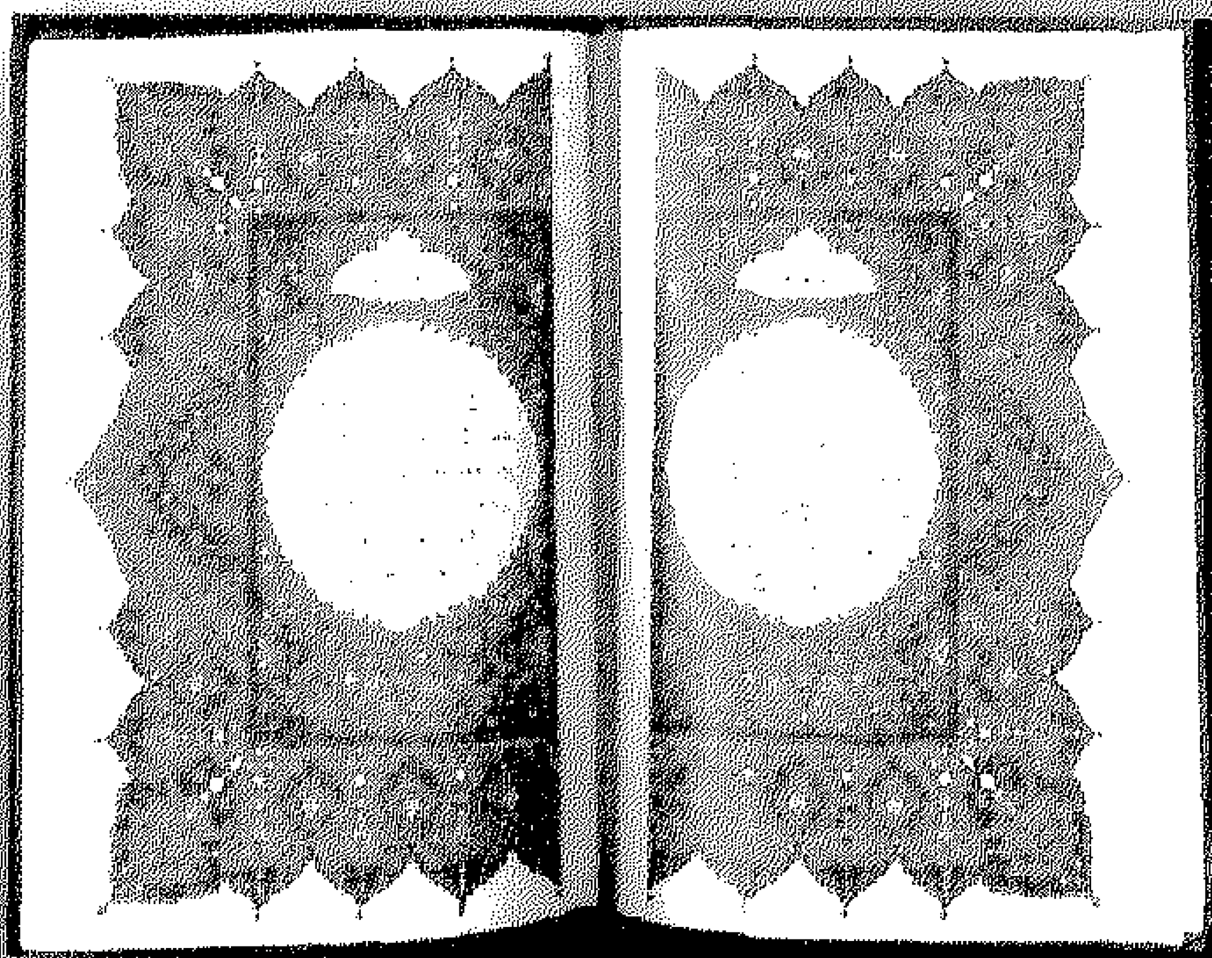
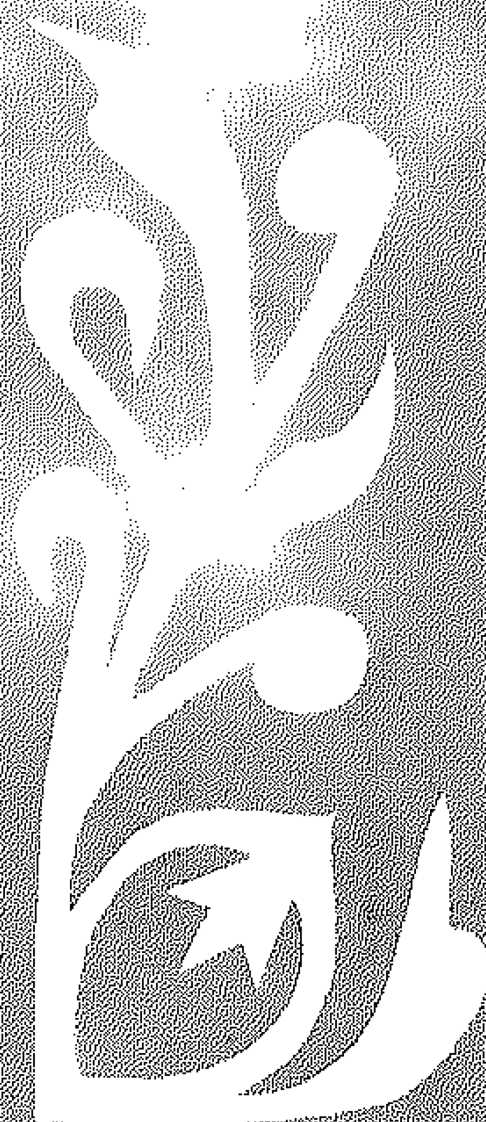
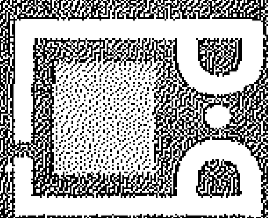


أ.د. محمد عبد السلام ابو النيل

# بنو إسرائيل في القرآن الكريم


مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

# بنو إسرائيل
# في القرآن الكريم

# بنو إسرائيل
# في القرآن الكريم

أ.د. محمد عبد السلام أبو النيل



مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

**الطبعة الأولى**

**١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م**



مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

**• دولة الكويت**

حولي - شارع بيروت - عمارة الأطباء
تليفون: 2641985 - فاكس: 2647784

ص.ب: 4848 الصفاة الرمز البريدي: 13049
الكويت - برقياً: لفاتكو

**• دولة الإمارات العربية المتحدة**

العين - تليفون: 662189 - فاكس: 657901
- ص.ب: 16431.

Bourji
للنشر والطباعة
Beirut 009613-334648
009613-312124
Amman

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثانية

إن الصراع الدامي بين الصهيونية الغاشمة ودول البغي التي تؤازرها ، وبين المسلمين بصفة عامة ، والدول العربية بصفة خاصة ـ ليحتدم يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة ؛ لأنه صراع بين الباطل والحق ، ذلكم الباطل الذي لا يرضى أهله أبدا بمسالمة أهل الحق ؛ مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ البقرة : ١٢٠ .

ومنذ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، وأعداء الله يحققون كل التنبؤات التي أوردها عن فساد طبعهم وسوء أخلاقهم ، وسعيهم الدءوب لتخريب ديارنا والوقيعة بيننا ، حتى شغلت الأمم الإسلامية بعداوة بعضها بعضا ، وتركت الساحة لأعداء الله يفسدون ويتجبرون .

وقد استقبل القراء المسلمون الطبعة الأولى بقبول حسن وأبدى الجميع ارتياحه لموضوعات هذا الكتاب ؛ لأنها سدت فراغا وأبانت وجه الحق في صراعنا مع اليهود ، حتى ازددنا يقينا بعدالة كفاحنا .

وهذه الطبعة تمتاز عن سابقتها بزيادات وتصويبات وبحسن عرض ، حيث صورت الآيات القرآنية من المصحف الشريف .

وإني أهيب بكل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب ويعمل بما فيه كي يتحقق لنا النصر على عدو الله وعدونا ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ الروم : ٤ ، ٥ .

**غرة شعبان ١٤٠٧ هـ**

**العين بدولة الامارات العربية**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وجميع من والاه.

ونستفتح بالذي هو خير، «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير».

# مقـــدمـــة

## - أ -

يعيش عالمنا العربي الإسلامي اليوم فترة من أعصب فترات حياته ، فهو في صراع دام مرير على الحياة أو الموت مع الصهيونية الغاشمة الآثمة ، تلك التي تتمثل في هذه الشرذمة من حثالات الشعوب ونفاياتها ، ألف بينها الشر ، وجمعها الغدر ، وصنعتها يد الاستعمار الباغية ، لتكون شوكة في ظهر الشعوب العربية ، تبث الشقاق بين أبنائها ، وتثير الفرقة ، ولتكون قاعدة للعدوان يغيرون منها على العرب الآمنين ، يسلبونهم ممتلكاتهم وحرياتهم ، ويخرجونهم من أوطانهم وديارهم ، ليصبحوا مشردين بلا مأوى ، في عملية يندى لها جبين الإنسانية ، ويستغيث العرب ولا مغيث ، فلم تستطع الهيئات الدولية أن تحقق أي شيء للاجئين الفلسطينيين ، وذلك بسبب ضغط دول الاستعمار وهي الدول التي تتبنى اللقيطة - إسرائيل - وتؤازرها وتحميها .

## - ب -

ولئن غاب عن بعض الأذهان ذلك الغدر الذي حدث عام ١٩٤٨ م أو الذي كان عام ١٩٥٦ أو الذي وقع على قرية السموع بالأردن عام ١٩٦٦ م ، فلن تغيب تلك الوحشية التي ارتكبها اليهود ضد العرب جميعاً - وخاصة بالأردن - عام ١٩٦٧ .

لن ينسى الرضيع أخاه أو أمه أو أباه الذين أحرقتهم قنابل النابالم التي استخدمتها إسرائيل في هذا العدوان ، متحدية بذلك الرأي العام العالمي وضاربة بقرارات الأمم المتحدة عرض الحائط .

لن ينسى الجميع مذبحة دير ياسين ، ولا تدمير مدرسة بحر البقر على من بها من أطفال أبرياء.

لن تهدأ ثائرة العرب المسلمين ولن تنطفىء نار صدورهم حتى يثأروا للأرامل واليتامى والضعاف والعجزة.

لن ينسى المسلمون في شتى بقاع الأرض انتهاك تلك العصابة الآثمة حرمة القدس الشريف، وحرقهم المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

إن كراهية اليهود للمسلمين شيء متأصل في نفوسهم ، يتوارثونه جيلاً بعد جيل ولن يرتاح لهم بال حتى يستأصلوا شأفتنا مهما سالمناهم وأعطيناهم كل ما يطلبون ، لأنهم لا يرقبون في الله إلا ولا ذمة.

وإن عداوتهم ليست للمسلمين من العرب وحسب ، بل هي لجميع المسلمين في كل مكان ، وكلنا يعلم أنهم وراء تقتيل المسلمين في لبنان ، وأريتريا والفيلبين وصدق الله العظيم ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾. المائدة ٨٢ .

ـ جـ ـ

وعبثاً يحاول أعداء الله وأعداء الدين أن يلبسوا الباطل ثوب الحق ، فهم يزعمون أن لهم حقاً في فلسطين[1] ، ويزعمون أنهم شعب الله المختار ، وعلى الرغم من أن هذين الزعمين لا أساس لهما من الحقيقة ، فإن هذه الدعاوى الكاذبة قد انطلت على كثير من الناس خاصتهم وعامتهم .

ولذا أردت أن يتبين لنا الحق ، وأن يعرف العالم كله ما جبل عليه أكثر بني إسرائيل من كفر وغدر ، وأن ما ادّعوه هو محض افتراء ـ فعمدت إلى أوثق المصادر وهو كتاب الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والذي حفل بأخبار هذه الفئة الضالة ـ أستقي منه أخبار بني إسرائيل ، وأتعرف أخلاقهم وأحوالهم .

ولقد اخترت عنوان البحث ( بنو اسرائيل في القرآن الكريم ) ولم يكن العنوان ( اليهود . . ) لأن كلمة اليهود في الأصل نسبة إلى سبط من أسباطهم الإثني

(١) كان يطلق على فلسطين فيما مضى أرض كنعان أي الأرض الواطئة ، ثم أطلق عليها اسم فلسطين نسبة الى قبيلة (فلسيتا) التي قدمت من كريت ونزلت على الساحل وسكنت المنطقة الممتدة من يافا إلى عكا المزاعم الصهيونية ٥٦

عشر[1]، لكنها اليوم أعم وأشمل من بني إسرائيل ، فهي تشملهم وتشمل من دخلوا اليهودية من شتى الأمم التي شردوا إليها ، وأيضاً فإن القرآن الكريم يخاطبهم في الأعم الأغلب ببني إسرائيل ؛ كي يستحثهم على الإيمان بمحمد ﷺ ، حيث إنهم أبناء نبي كريم ، ومن كان هذا شأنه فلابد أن يستجيب لأمر الله وذلك كما ينادينا الله بيأيها الذين آمنوا ؛ ليستحثنا على الامتثال ، لأن المؤمن من شأنه أن يمتثل .

ـ د ـ

والباحث في هذا الموضوع يجد مشقات عديدة :

فكثير من المؤرخين حتى الكبار منهم يعتمد في كتابته على توراة بني اسرائيل المزعومة أو على ما يروونه من أخبار ، مما لا يتفق مطلقاً والعقل.

فمن ذلك مثلاً ما جاء في تاريخ الطبري ١/ ٣١٩ : حدثنا الحسين بن عمرو ابن محمد العنقزي قال : حدثنا أبي قال : أخبرنا أسباط عن السدي قال : تزوج إسحق امرأة فحملت بغلامين في بطن ، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها ، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص : والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي ولأقتلنها ، فتأخر يعقوب ، وخرج عيص قبله ، وأخذ يعقوب بعقب عيص فخرج ، فسمى عيصا لأنه عصى فخرج قبل يعقوب ، وسمي يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقب عيص.

ـ هـ ـ

كما تضافرت الآراء والأدلة والشواهد على أن توراة اليهود الموجودة اليوم هي من صنع أيديهم ، ولا تمت إلى التوراة الأصلية التي أنزلها الله على سيدنا موسى بأي سبب.

---

(١) هذا هو الأرجح ـ وإن كان البعض يرى أن سر تسميتهم يهودا هو توبتهم عن عبادة العجل ، هاد : تاب ؛ لقول موسى عليه السلام : ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ الأعراف ١٥٦ أي رجعنا إليك ، وقيل : هدنا إليك ؛ أي سكنّا إلى أمرك . القرطبي : ١/٤٣٣ .

فقد قال ابن حزم الظاهري في نهاية الجزء الأول من كتابه ( الفصل في الملل والأهواء والنحل ) ـ بعد أن أورد عن كتبهم كثيراً من قبيح تصورهم لله وكثيراً من الكذب وكثيراً من المتناقضات ـ : « هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر ، والمناقضات اللائحة ، التي لا شك معه في أنها كتب مبدلة محرفة مكذوبة ، وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم »

ولقد أورد الدكتور علي عبد الواحد وافى في كتابه ( الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام) عدة شواهد على تضارب أسفارهم ، ويبدو ذلك واضحاً : فيما سنته من شرائع ، فبينما يقضي سفرا الخروج والتثنية[1] بأن الاسرائيلي الذي يبيع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه الاسرائيلي في حالة عوزه لا يدوم رقه إلا ست سنين ، نرى أن سفر اللاويين[2] يقرر أن رقه لا ينتهي إلا بحلول اليوبيل الإسرائيلي.

وكل أسفارهم تبيح للإسرائيلي أن يبيع نفسه رجلا كان أو امرأة ، ولكن أسفار التلمود[3] لا تجيز ذلك إلا للرجل فقط.

وفي تصورها للإله بأقبح الصور ، ونسبة العيب والنقص إليه، وإلى رسله الكرام ، بل لقد أورد في الكتاب ص ١٦ وما بعدها تاريخ تأليف كل سفر والشواهد على ذلك ، وسيأتي تفصيل ذلك .

كما شهد كثير من علماء الغرب على أن التوراة التي بيد اليهود الآن من صنع أيديهم ، وقد اخترت من ذلك على سبيل المثال ما قاله ( تيودور. هـ. روبنصن ) في ( تاريخ العالم ) تحت عنوان ( إسرائيل في ضوء التاريخ) ص ١٠٨ من المجلد الثاني فقد قال : أخبار الكتاب المقدس جاءت في عهد متأخر وقصاراها أن تمدنا ببيان ناقص مشوب بالهوى ، وتاريخهم بأسره من عمل الخيال . وسوف تجد مزيداً من الأدلة على أن هذا الكتاب من صنع اليهود في الفقرات (٢٦ وما بعدها).

---

(١) فقرة ٢ اصحاح ٢١ من الخروج وفقرة ٢ اصحاح ١٥ من التثنية .

(٢) فقرة ٤٠ اصحاح ٢٥ واليوبيل : العيد الذي يجيء على رأس كل خمسين سنة .

(٣) يأتي التعريف به في الفقرات ٢١١ وما بعدها

ويجد الباحث صعوبة كذلك ، لأن كثرة أحداثهم ، وشدة عنادهم ، وسوء طباعهم جعلت القرآن الكريم يتحدث عنهم كثيراً ، فقد ذكروا صراحة أو ضمنا في أكثر من نصف سوره ، وما ذلك إلا للعظة والعبرة ، كما يلاحظ تكراراً له حكمته البالغة في كثير من أخبارهم وقصصهم .

ولا شك أن في ذكر أخبارهم وأخبار أنبيائهم تطميناً لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً لفؤاده.

والمتأمل في الآيات والسور المتعلقة بهم يرى:

أن القرآن في أول الأمر دعاهم برفق وأشاد بهم،حيث ذكر قصص أنبيائهم وتاريخهم كما وجه نظرهم إلى الاعتبار بما حدث لغيرهم ، وبشرهم وأنذرهم ـ وذلك شأنه مع كل من يدعوه ـ ثم لمّا تمادوا في الكفر والضلال ، شدد النكير عليهم ، ودحض شبههم ، وعاملهم بالمثل.

ولذلك نجد من الآيات ما يتعلق بتاريخهم،وموقفهم من الدعوة وعدائهم لها وللرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والجزاء الأوفى الذي لقوه .

ومنها ما يتعلق بعقيدتهم وشريعتهم ، ومنها ما يتعلق بقصصهم وأنبيائهم، وبمزاعمهم وأخلاقهم.

وكيف لا يجد الباحث فيهم صعوبة ومشقة ، وهم قد أتعبوا سيدنا موسى عليه السلام وجميع من أرسلهم الله إليهم .

هذا وإني لأمد أكف الضراعة إلى الله،أدعوه من فضله الواسع ، وخيره العميم أن يمدني بروح من عنده ، وأن يهيئ لي سبيل الرشاد ، وأن يسهل الحزن حتى يأتي البحث على النحو الذي أبتغيه .

كما أرجوه سبحانه أن ييسر على المسلمين إدراك ما يرمي إليه ، وأن يكون إسهاماً فعالاً فيما نحن بصدده من حرب أعداء الله وأعدائنا ، إنه سميع مجيب .

وقد جاء البحث في ثلاثة أبواب وخاتمة :

**الباب الأول** : وهو « تاريخ بني اسرائيل » منذ كانوا حتى اضطهادهم في أنحاء العالم ، ويقع في أربعة فصول :

**الفصل الأول**: من نشأتهم حتى التيه ، وفيه :
سيدنا يعقوب وبنوه قبل رحيلهم إلى مصر
رحيلهم إلى مصر بعد استيزار سيدنا يوسف
تسخير المصريين لهم وتعذيبهم ، تخليصهم من ظلم فرعون وهلاكه
تدليل الله لهم وعفوه عن سيئاتهم.
رفضهم دخول الأرض المقدسة وقضاء الله عليهم بالتيه.

**الفصل الثاني** : من الدخول حتى تشريدهم على يد الرومان ، وفيه :
(١) دخولهم الأرض المقدسة ، إغارة العمالقة عليهم وتخليصهم منهم على يد طالوت ، مملكة سيدينا داود وسليمان.
(٢) انقسامهم مملكتين متطاحنتين: إسرائيل، يهوذا.
(٣) القضاء على مملكة إسرائيل على يد الأشوريين
(٤) تخريب ديارهم على يد بختنصر واتخاذه بني اسرائيل عبيداً.
(٥) عودتهم إلى أراضيهم ووقوعهم تحت سيطرة الفرس ثم المقدونيين.
(٦) بطش خردوس بهم وتدميره ديارهم.
(٧) وقوعهم تحت سيطرة الرومان، وتشريدهم حتى أصبحوا هائمين في شتى البقاع.

**الفصل الثالث** : حربهم النفسية والدعائية للدعوة ، وفيه :
بنو إسرائيل بالحجاز ، علمهم بمحمد واستفتاحهم على المشركين به ، الدعوة وبنو إسرائيل ، استمالة القرآن لهم ، إدحاضه شبههم ومعاملتهم بالمثل.
عداوتهم للدعوة ولمحمد رغم معاهدته لهم ، إيقاعهم بين المسلمين وإيذاؤهم للرسول.
استهزاؤهم بالدين وسوء أدبهم مع الله ومع الملائكة.

الفصل الرابع : حربهم العسكرية وتطهير الحجاز منهم، تآمر بني إسرائيل مع المنافقين ، تآمرهم مع المشركين
نقضهم العهد وتطهير المدينة منهم .
إجلاء بين قينقاع وبني النضير ومعاقبة بني قريظة ، فتح خيبر ومصالحة أهل القرى .
اضطهاد بني اسرائيل في العالم بعد الاسلام .

الباب الثاني : وهو ( العقيدة والشريعة ) عندهم،
ويقع في فصلين:

الفصل الأول : العقيدة، وفيه :
(١) جاءت التوراة بعقيدة التوحيد وبتنزيه الله عن كل نقص.
(٢) انتكاس هذه العقيدة عندهم - تصورهم لله بأقبح الصور، وقولهم بتعدد الآلهة واتخاذ الله ولداً.
(٣) ارتقاء تصورهم للذات العلية، ثم انتكاس عقيدتهم مرة أخرى.
(٤) كفرهم بالرسل ونسبتهم العيب إليهم وعداوتهم لهم
(٥) كفرهم بالكتب المنزلة ، وتحريفهم التوراة ، وصنعهم كتابين.
(٦) عداوتهم للملائكة.
(٧) عدم إيمانهم بيوم القيامة الذي جاءتهم به التوراة .

الفصل الثاني : الشريعة وفيه :
وجوب الصلاة والزكاة والصوم والجهاد
حرمة الدم : تحريم قتل النفس ، القصاص ، وجود القود ، القسامة
حرمة العرض: تحريم الزنى وجعل عقوبته الرجم للمحصن، الدعوة إلى الزواج
حرمة المال: تحريم السرقة والربا وأكل المال بالباطل ، وجوب العوض ، إهدارهم حرمة النفس ، استحلالهم دم غيرهم ، تعطشهم لسفك الدماء ، إشعالهم نار الحروب ، قتلهم الأبرياء والأنبياء.
إهمالهم حرمة العرض : عدهم ضروب البغاء تكريماً لإلههم عشتروت

إشاعتهم الفساد والزنى .

إهمالهم حرمة المال : استحلاهم أموال غيرهم ، أكلهم السحت وأخذهم الربا ، ما حرم عليهم من الطعام.

حرمة العمل يوم السبت وعقاب من اعتدى فيه .

**الباب الثالث** : وهو « قصصهم وأنبياؤهم ، ومزاعمهم وأخلاقهم » .

ويقع في ثلاثة فصول :

**الفصل الأول** : قصصهم وفيه :

البقرة ، من خرجوا من ديارهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم ،طالوت ، عزير ، قارون ، مريم البتول .

**الفصل الثاني** : أنبياؤهم ، وفيه :

**سيدنا يعقوب**: رحيله إلى العراق ثم عودته ، صبره واحتماله ، ذهابه إلى مصر ووفاته بها ، دفنه بقرية حبرون .

**سيدنا يوسف**: كيد إخوته له وإلقاؤه في الجب ، بيعه لعزيز مصر ، شغف امرأة العزيز به ومراودتها له ، استعصامه ودخوله السجن ، رد الإسرائيليات الكاذبة ، خروجه من السجن واستخلاص الملك له ، توليه خزائن مصر ، مجيء والده وأهله جميعاً ، وفاته وخروج جثته مع بني إسرائيل .

**سيدنا موسى**: مولده ونجاته من الذبح ، تربيته في قصر فرعون ، قتله للفرعوني ، إفشاء الإسرائيلي السر ، فرار سيدنا موسى إلى مدين وزواجه منها ، عودته إلى مصر ، دعوته فرعون وقومه ، غرق فرعون ونجاة سيدنا موسى وبني إسرائيل ، وفاته عليه السلام بالتيه .

**سيدنا هرون**: مولده ، معاونته موسى عليه السلام ، وفاته في التيه .

**سيدنا داود** : توليه الملك ، نعم الله عليه : تسخير الجبال والطير ، إلانة الحديد له ،إيتاؤه الحكمة وفصل الخطاب، تبرئته مما نسب إليه زوراً في قصة الخصمين ، وفاته ودفنه في بيت لحم .

سيدنا سليمان : توليه الملك بعد أبيه ، نعم الله عليه ، علمه منطق الطير ، تسخير الريح والجن له ، إسالة عين النحاس ، رد ما جاء من الاسرائيليات في ذبحه للخيل، تكفير من قال بجلوس الشيطان على كرسيه ، وفاته ، وأرجح ما يقال فيها ، دفنه ببيت لحم عند أبيه .

سيدنا يونس : بعثه لأهل نينوى ، إصرارهم على الكفر، خروجه مغاضباً لهم ، ابتلاع الحوت له ، نجاته وإرساله لقومه الذين آمنوا لما رأوا العذاب فرفعه الله عنهم ، وفاته ودفنه بحلحول.

سيدنا إلياس : بعثه ودعوته قومه أن ينبذوا عبادة بعل ، عنادهم واستمرارهم في الكفر ، دعاؤه ربه أن يصيبهم القحط ، دعاؤه رفع القحط عنهم ، محاولتهم قتله واختفاؤه عند أم اليسع ، وفاته ودفنه على جبل الكرمل .

سيدنا اليسع : اختيار الله له نبياً بعد إلياس

سيدنا ذو الكفل: تكفله لسيدنا اليسع بقيام الليل وصيام النهار والقضاء بين الناس ، بعثه .

سيدنا زكريا : قيامه على خدمة المسجد ، خوفه من ضياع العدل والدين وطلبه من ربه وليا ، إجابة الله طلبه وإنعامه عليه بيحيى ، شق اليهود له بالمنشار ، دفنه في بيت المقدس .

سيدنا يحيى : مولده وإنعام الله عليه بنفاذ البصيرة وحسن الفهم ، بعثه قبل الثلاثين ، قتله من أجل غانية ، دفنه بنابلس .

سيدنا عيسى : آية مولده ، إظهار كثير من الإرهاصات على يديه وهو صغير ، بعثه على رأس الثلاثين ، دعوته لبني إسرائيل وظهور معجزات باهرة على يديه ، اتخاذه حواريين وأنصاراً ، طلب الحواريين المائدة والاختلاف في نزولها ، تآمر اليهود على قتله ، إلقاء الشبه على من دلهم عليه ونجاة سيدنا عيسى من شرهم ، اختلاف المفسرين فيما آل إليه أمره،

اتخاذ النصارى الصلب عقيدة لهم بناء على زعم خاطىء ،
إبطال هذا الزعم وإنكاره ، عقيدة الصلب والفداء عند النصارى عقيدة وثنية .
كفر من ادعى أن عيسى ابن الله أو أنه الإله ، رد ذلك الادعاء ودحضه .

**الفصل الثالث:** مزاعمهم وأخلاقهم، وفيه:

ليسوا شعباً مختاراً ولا أمة مفضلة
خرافة أرض الميعاد
أخلاقهم:

الغدر والخيانة ونقض العهود
الحسد والكراهية
الشقاق وعدم الوفاق فيما بينهم
الحب الشديد للمال
الجبن والحرص على الحياة
الغلظة وقسوة القلب
التعطش لسفك الدماء
إشعال نار الحروب والسعي بالفساد
الاستكبار والكفر بالنعمة
التعنت واللجاجة .

**الخاتمة :**

وقد ضمنتها أهم ما استخلصته من نتائج وهي :

١ ـ لاحق للاسرائيليين مطلقاً في ذرة من ثرى فلسطين ، وذلك ، لإجماع المؤرخين على أن العرب سكنوها قبلهم بآلاف السنين ـ كما شهدت بذلك كتبهم ـ ، عدم استقرار الإسرائيليين بها إلا فترات وجيزة تقدر بألف سنة، متفرقة ،على حين سكنها العرب ستة آلاف سنة متتالية ،

خروج الاسرائيليين منها منذ ثمانية عشر قرناً، وذوبانهم في كل الدول بطلان خرافة أرض الميعاد

٢ ـ الاسرائيليون ليسوا شعب الله المختار وليست أمتهم أفضل الأمم وذلك :

لأن الله لعنهم في كتابه في أكثر من أربعة عشر موضعا
عذبهم الله بألوان من العذاب لم تكن لأية أمة
قضى سبحانه عليهم بالذلة والمسكنة

٣ ـ الإسرائيليون أعداء الإنسانية وألد أعداء المسلمين

٤ ـ النصر بإذن الله حليف المسلمين مهما طال الزمن وكانت التضحيات وذلك :

لِمَا توعدّ الله به بني إسرائيل ، ولقضائه بأن يسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب .

٥ ـ أسفار اليهود كلها من صنع أيديهم وجلها كذب وافتراء.

٦ ـ الصهاينة عندما يريدون احتلال شعب يسعون بالفساد بين أبنائه.

٧ ـ مخالفة بني إسرائيل عقيدتهم وشريعتهم وكفرهم الصراح ، وذلك لوصفهم الله بكل نقص ، وإنكارهم الرسالات والكتب ، واليوم الآخر ، وعداوتهم للملائكة .

٨ ـ تبرئة النبيين من كل ما نسبوه إليهم من عيب ونقص

٩ ـ آية الله في ميلاد المسيح

١٠ ـ عقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية

١١ ـ أخلاق الإسرائيليين تتمثل في :

الغدر والخيانة ونقض المواثيق
الحسد والكراهية
الشقاق وعدم الوفاق فيما بينهم
حبهم الشديد للمال
جبنهم وحرصهم على الحياة
الغلظة وقسوة القلب

الوحشية والتعطش لسفك الدماء
إشعال نار الحروب والسعي بالفساد
الاستكبار والكفر بالنعمة
التعنت واللجاجة
١٢ - قضاء الله عليهم ألا تقوم لهم قائمة إلا بالمساعدات، حتى يرجع المسلمون إلى ربهم فتكون الدائرة على عدوهم .

توصيـات :

١ - أن يفهم المسلمون مكايد عدوهم.
٢ - أن يزدادوا تمسكا بدينهم ويقيناً بوعد ربهم ، وألا يهنوا في مقاتلة عدو الله وعدوهم. حتى يكتب الله لنا النصر.
٣ - تصحيح ما يقال من أن اليهود جاءوا إلى فلسطين مع إبراهيم الخليل.
٤ - عدم وصف أسفارهم بأنها مقدسة.
٥ - إعادة النظر فيما يقال من أن سيدنا موسى جاء بديانة يهودية وسيدنا عيسى جاء بديانة نصرانية، فلم يجيئا إلا بالإسلام .
٦ - ألا يهن المسلمون أو يضعفوا.
٧ - أن نعتبر بما حدث لليهود .
٨ - أن نتنبه لمكايد عدونا فلا نقع في أحباله التي ينصبها لنا، ليفسد أخلاقنا عن طريق إشاعة الإباحية والانحلال فلا نقوى على صده ورد عدوانه .
٩ - أن تتحد كلمتنا ونفهم أنه لا يعادينا من أجل أرض ، وإنما يعادينا من أجل العقيدة .

# البَابُ الأول

## تاريخ بَني إسْرائيل منذ كانوا
## حتى اضطهَادهم في أنحاء العَالم

# الفصلُ الأوّل

## مِن نَشأتهم حَتى التّيه

* سيدنا يعقوب وبنوه قبل رحيلهم إلى مصر
* رحيلهم إلى مصر بعد تولي سيدنا يوسف أمانة الخزائن
* تسخير المصريين لهم وتعذيبهم
* تخليصهم من ظلم فرعون وهلاكه
* تدليل الله لهم وعفوه عن سيئاتهم
* رفضهم دخول الأرض المقدسة وقضاء الله عليهم بالتيه

١ ـ بنو إسرائيل : هم أبناء يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، وكان موطن إسحق حبرون أو ( قرية أربع ) وهي مدينة الخليل اليوم[١] ، وتزوج إسحق عليه السلام رفقا ابنة عمه ناهر بن آزر ، فولدت له عيص ويعقوب[٢] .

وكان بينهما شقاق فطلب سيدنا إسحق من يعقوب أن يرحل إلى خاله ( لابان ) بأرض ( فدان آرام ) العراق ـ ولعلها الكوفة اليوم ـ ليصاهره ، فتزوج بنتيه ( ليا ) و( راحيل ) وجمع عليه السلام بينهما[٣] ، وكان ذلك مباحاً حتى مبعث موسى عليه السلام ، وبهذا فسر الجمهور قوله تعالى :﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ـ النساء من الآية ٢٣ ـ ثم رجع يعقوب من العراق الى أرض كنعان ، ونزل عليه الوحي في الطريق ، فأقام في مكان نزول الوحي بيتاً سماه بيت إله إسرائيل، وهو بيت[٤] المقدس ، وتصالح مع أخيه عيص ولم يكن بينهما حرب .

---

(١) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : ١/٣٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري ١/٣١٧

(٣) تاريخ الطبري ١/٣١٨، ٣٢٠ وتاريخ ابن خلدون ١/٥٨

(٤) جاء في تفسير ابن كثير ١/ ١٨٥

« فإنه باني بيت المقدس كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة ، وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال: « المسجد الحرام » قلت ثم أي ؟ قال بيت المقدس. قلت : كم بينهما ؟ قال أربعون سنة. البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ ومسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة. فهذا يؤكد أن باني بيت المقدس هو يعقوب،عليه السلام ، وأما ما فعله سليمان عليه السلام فكان تجديدا وزخرفة».

ويرى الإمام القرطبي أن أول من بنى المسجد الأقصى هم الملائكة، بعد بنائهم الكعبة بأربعين سنة، وعلى هذا يدل ظاهر الحديث.

ومن العلماء من قال : بناه آدم عليه السلام، ومنهم من قال : سام بن نوح عليهما السلام، ومنهم قال : =

٢ ـ وأبناء سيدنا يعقوب اثناء عشر : ( ١ ) رؤوبين ، ( ٢ ) شمعون ، ( ٣ ) لاوي ، ( ٤ ) يهوذا ، ( ٥ ) يساكر ، ( ٦ ) زبولون ـ من ليا ـ ( ٧ ) يوسف ، ( ٨ ) بنيامين ـ من راحيل ـ ( ٩ ) دان ، ( ١٠ ) نفتالي ـ من بلهة جارية راحيل ـ ، ( ١١ ) جاد ، ( ١٢ ) أشير ـ من زلفة جارية ليا[١] ـ وإلى هذا يشير قوله تعالى في رؤيا يوسف عليه السلام : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[٢].

٣ ـ وفي العهد القديم أن الله سبحانه سمى يعقوب بإسرائيل ، وايل عندهم كلمة مرادفة لعبد وما قبلها من أسماء الله عز وجل وصفاته ، والمضاف أبدا متأخر في لسان العجم[٣] ، ولذا سمى أبناؤه « بنو إسرائيل » ويسمون أيضاً « الأسباط » وقد غلب عليهم الآن اسم ( يهود ) نسبة الى ( يهوذا ) الابن الرابع ليعقوب ، وذلك بعد أن تشتت مملكة إسرائيل وبقيت مملكة يهوذا تصارع وتناضل ـ كما سيأتي في الفقرتين ٥٧ ، ٥٨ .

٤ ـ عاش سيدنا يعقوب مع بنيه بأرض كنعان ( فلسطين وما إليها ) وكان يولي يوسف وبنيامين عطفه لوفاة أمهما ، ولَمَّا توسمه في يوسف عليه السلام من نجابة ورشد ، فأثار ذلك حفيظة إخوته عليه ، ففكروا في الخلاص منه ليخلو لهم وجه أبيهم ، وانتهوا إلى إلقائه في الجب ، فحملته السيارة إلى مصر رقيقا ، وباعوه لعزيز مصر بثمن بخس ، وكان عليه السلام ، طاهر المنبت عفا كريما ، فلما ولعت به زوجة العزيز ، وراودته عن نفسه ، أبى ذلك ، فأودع السجن ، ثم خرج منه على

---

= أول من بناه وأرى موضعه يعقوب بن إسحق عليهما السلام .
ويعلق صاحب الأنس الجليل على ما تقدم بقوله : وهذه الأقوال تدل على أن بناء داود وسليمان عليهما السلام إياه إنما كان على أساس قديم، لا أنهما المؤسسان له، بل هما مجددانه .
وكل قول من هذه الأقوال لا ينافي الآخر ، فيحتمل أن يكون بناه الملائكة أولا ، ثم جدده آدم عليه السلام ثم سام بن نوح عليهما السلام ثم يعقوب بن إسحق عليهما السلام ، ثم داود وسليمان عليهما السلام . فإن كل نبي منهم بينه وبين الآخر مدة تحتمل أن يجدد فيها البناء المتقدم قبله.
انظر المسلمون واسترداد بيت المقدس للدكتور الفحام ص٢٣ ، وما بعدها .

(١) البداية والنهاية ١/ ١٩٥ نقلا عن العهد القديم ، تكوين الاصحاحين ٢٩ ، ٣٠

(٢) سورة يوسف : الآية ٤.

(٣) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٢٠.

إثر تأويله رؤيا ملك مصر ، واستخلصه الملك لنفسه ، وجعله أمينا على خزائن الأرض ، وجاءت سبع شداد عمّ فيها القحط ، وجف المرعى ، فهرع الناس إلى مصر ليمتاروا ، وقدم فيمن قدم إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم ، وطلب منهم أن يحضروا بنيامين ،ولما أحضروه احتال ليبقيه معه ، ثم رجع إخوة يوسف إلى مصر ثانية بأمر والدهم ،ليبحثوا عن يوسف وأخيه .

٥ ـ وأخبرهم يوسف بأمره وعفا عنهم ، وطلب منهم أن يعودوا إلى أبيه ليأتوه بأهلهم أجمعين : ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١).

وجاء سيدنا يعقوب ببنيه إلى مصر ، واستقبلهم سيدنا يوسف وحيا أبويه وأدى له الجميع تحية الملك . وكان ذلك في حوالي القرن السابع عشر ق . م .

ويجمل القرآن الكريم في أسلوبه المعجز هذا في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢).

وتجد تفصيلاً لذلك في سورة يوسف من الآية ١ ـ ١٠٢ .

٦ ـ وعاش بنو إسرائيل بمصر ينعمون بجوار سيدنا يوسف الذي عطّف عليهم قلب فرعون ملك مصر وأقطعهم بأمره أرضاً في أخصب البقاع،وظلت سلالاتهم كذلك حينا من الدهر ، تنتعم بكرم المصريين ورعايتهم ، وتقديرهم لجهودهم وكفاياتهم ، حتى لقد وصل كثير منهم إلى أعلى الدرجات والمناصب(٣) .

٧ ـ ثم تغير موقف المصريين منهم فيما بعد إلى نقيض ما كان عليه ، إما لخشيتهم من تكاثر عددهم واستفحال نفوذهم ، واما ـ كما جاء في العهد القديم ـ لأن ملكاً من الفراعنة جاء بعد يوسف ، لم يعرف شأنه ولا مقامه في دولة آبائه ،

---

(١) سورة يوسف الآية : ٩٣

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠٠

(٣) سفر التكوين اصحاح ٤٧/ ١١

فاسترق بني إسرائيل واستعبدهم ، ثم تحدث الكهان من أهل دولتهم : بأن نبوة تظهر في بني اسرائيل[1] . وأيا ما كان الأمر فقد بقي بنو إسرائيل أمداً طويلاً يرزحون تحت نير هذا الاستعباد ، وتنوشهم معاول تلك الإبادة ، يسومهم المصريون سوء العذاب ، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، ويسخرونهم في أشق الأعمال ، حتى أرسل الله من بني إسرائيل موسى وهرون عليهما السلام ، يدعوان بني إسرائيل وفرعون إلى عبادة الله ، ونبذ ما هم فيه من عبادة الأوثان والكواكب وأرواح الموتى والحيوان ، ويقدمان لهم شريعة سماوية سمحة تفصل ما ينبغي أن يكونوا عليه في شئون دينهم ، ويخلصان بني إسرائيل مما هم فيه من اضطهاد واستعباد ، فآمن بهما بنو إسرائيل وكذب بهما فرعون وقومه إلا قليلا منهم .

٨ ـ وظل موسى وقومه في مشادات مع فرعون وقومه، حتى أمر الله موسى أن يخرج بقومه إلى صحراء سيناء ، فتحين عليه السلام الفرصة لذلك ، وخرج بهم فأرسل فرعون في المدائن من يستنفر أهلها للحاق ببني إسرائيل، والعودة بهم إلى ما كانوا عليه .

وأدركهم بجنوده عند خليج السويس من البحر الأحمر ، وفزع بنو إسرائيل وأخذوا يلومون موسى عليه السلام ، فأمره الله أن يضرب البحر بعصاه ، فشق لهم طريق مضوا فيه إلى صحراء سيناء ، وتبعهم فرعون فأدركه ومن معه الغرق .

وفي هذا كله يقول الله عز وجل : ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[2] .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[3].

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٢٠ .
(٢) سورة القصص الآيات: ٢ ـ ٦ .
(٣) سورة الأعراف الآية: ١٢٧ .

﴿ وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون (٥٢) فأرسل فرعون في المدائن
حاشرين (٥٣) إن هؤلاء لشرذمة قليلون (٥٤) وإنهم لنا لغائظون (٥٥) وإنا لجميع حاذرون
(٥٦) فأخرجناهم من جنات وعيون (٥٧) وكنوز ومقام كريم (٥٨) كذلك وأورثناها
بني إسرائيل (٥٩) فأتبعوهم مشرقين (٦٠) فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون
(٦١) قال كلا إن معي ربي سيهدين (٦٢) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤) وأنجينا موسى ومن معه
أجمعين (٦٥) ثم أغرقنا الآخرين ﴾(١).

﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم (١٧) أن أدوا إلي عباد الله إني
لكم رسول أمين (١٨) وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين (١٩) وإني عذت
بربي وربكم أن ترجمون (٢٠) وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون (٢١) فدعا ربه أن هؤلاء قوم
مجرمون (٢٢) فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون (٢٣) واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون ﴾(٢).

﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون
وأنتم تنظرون ﴾(٣).

ونجد ذلك أيضاً في سورة الأعراف ، الآية : ١٣٧

وفي يونس ، الآية : ٩

وفي الاسراء ، الآيتان : ١٠٣ ، ١٠٤

وفي طه ، الآيات : ٧٧ ـ ٧٩

وفي القصص ، الآيتان : ٣٩ ، ٤٠

وفي الزخرف ، الآيتان : ٥٥ ، ٥٦

وفي الذاريات ، الآيات : ٣٨ ـ ٤٠

٩ ـ وقد ارتكب بنو إسرائيل منذ أن خرج بهم نبيهم موسى عليه السلام من

---

(١) سورة الشعراء : ٥٢ ـ ٦٦

(٢) الدخان : ١٧ ـ ٢٤ وفي السورة نفسها : «ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين ٣٠ من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ٣١.

(٣) سورة البقرة : ٤٩ ، ٥٠.

المنكرات ، واقترفوا من الآثام ، ما لم يقترفه غيرهم ـ كافرين بأنعُمِ الله ، جاحدين فضله وآلاءه .

فعلى الرغم من أن الله أيد نبيهم بمعجزات تشهد بصدقه ، وتنطق بعظمة الله ، ـ كانوا ما يزالون يدينون بدين العبودية والذل ، ويعتقدون عظمة فرعون ، ويؤمنون بجبروته ، فها هم أولاء يقولون لموسى بعد أن رأوا غرق فرعون : أتحسب أن فرعون قد مات ؟ إنا نشك في ذلك ، فأمر الله البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح ، وعليه درعه المعروفة ، على نجوة من الأرض ليتحققوا موته وهلاكه [1] : قال سبحانه : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ نرفع جسدك على نشز من الأرض ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ لتكون لبني إسرائيل وللطغاة آية تدل على أن الله هو القادر ، بيده ناصية كل حي ، وان كان كثير من الناس يغفل عن آيات الله ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[2].

١٠ ـ وأدهى من ذلك وأمر أنهم بعد أن نجاهم الله من فرعون وبطشه ـ مروا على قوم من ( الكنعانيين أو من لخم ) قال ابن جرير : وكانوا يعبدون أصناماً على صور البقر ، فأثار ذلك في نفوسهم عبادتهم العجل[3] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فغضب سيدنا موسى ثم رد عليهم ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[4] إنكم في جهل كامل يقود لمثل هذا الطلب ويؤدي الى الانحراف عن التوحيد : لأن العلم يرشد إلى نواميس الأشياء وعللها ، وهذه تشهد بوحدة القوة الخالقة المدبرة ، وما يغفل عن ذلك إلا الجاهلون .

ثم يكشف سيدنا موسى لقومه عن سوء المغبة فيما يطلبون ، بالكشف عن سوء عاقبة القوم الذين يعكفون على أصنامهم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[5] ، فما هم فيه من شرك وعكوف على الأصنام هالك باطل يجافي حقيقة

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٣١

(٢) يونس : ٩٧

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٣

(٤) الأعراف : ١٣٨

(٥) الأعراف : الآية : ١٣٩ ـ ١٤١ .

الوجود ، ويبعد عن توحيد القدرة الخالقة ، وما عدا الحقيقة فهو باطل هالك لا وجود له ، ثم قرر عليه السلام أنه لا يتخذ لهم إلهاً غير الله الذي أنعم عليهم من دون عالمي زمانهم ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

ويمن عليهم أن أنجاهم الله من العذاب والتنكيل ليبتليهم : أيشكرون أم يكفرون ؟ ويستقيمون أو ينحرفون : ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2].

١١ - والحق كما يقول صاحب كتاب « محمد واليهود » أن ليس على الأرض صنف من الناس تدلل على نبيه كما تدلل بنو إسرائيل على موسى ، وليس على الأرض صنف من الناس استجاب الله لنبيه ما أراد لشعبه كما استجاب لموسى .

فبعد أن سار بهم سيدنا موسى صابراً على ضياع عقولهم وخبث نفوسهم بما طلبوه من عبادة الأصنام ، حتى أجهدهم السير التفتوا إليه قائلين : إلى أين تسير بنا ؟ قال : إلى جانب الطور الأيمن[3] حيث أذهب لملاقاة ربي لأتلقى تعاليمه ووحيه ، قالوا : لقد أجهدنا السير ، وأضرّبنا العطش ، ونود أن تنزل بنا على ماء لنستقي ، فطلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه ، فأوحى إليه أن يضرب الحجر ، فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لذرية كل ولد من أولاد سيدنا يعقوب عين .

ودهش بنو إسرائيل لما رأوا الماء يتفجر من ضربة عصا موسى ، وتساقطوا على عيون الماء يشربون ويتبردون قال تعالى : ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4].

١٢ - وبعد أن نعموا بالماء قالوا : يا موسى هذا الماء قد وفرته لنا فأين الطعام ؟ فاتجه عليه السلام الى ربه ثانية يسأله الطعام ، واستجاب الله دعاءه، وأنزل على بني إسرائيل المنّ - الذي يشبه العسل الأبيض ، كانوا يجدونه على أوراق

(١)، (٢) الأعراف ١٤٠، ١٤١

(٣) وواعدناكم جانب الطور الأيمن ) طه من الآية : ٨٠

(٤) سورة البقرة : ٦٠

الأشجار[1] ـ والسلوى ( طائر السماني ) يأتي إليهم أسرابا متلاحقة تهبط فتكاد تغطي الأرض لكثرتها ، فأقبل بنو إسرائيل على المن يلتهمونه ، وعلى السلوى يذبحون ويأكلون: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾[2]

١٣ ـ ولما شبع بنو اسرائيل وامتلأت بطونهم توجهوا الى موسى عليه السلام يشكون يا موسى هذان : الماء والطعام ، فأين المكان الظليل الذي نستظل به من وهج الشمس ، ونحتمي فيه من شدة حرها ولفحها؟

وتوجه موسى عليه السلام إلى ربه مرة ثالثة يسأله الظل لقومه ، فاستجاب الله له ، وساق لهم الغمام الكثيف ، يظلهم ويقيهم حر الشمس ولفحها : ﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[3].

١٤ ـ ووعد موسى قومه بوعد الله أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون ، ثم توجه لميقات ربه وترك قومه على مقربة من مكان المناجاة ( جبل الطور ) ، واستخلف فيهم هرون عليه السلام ـ بعد أن أوصاه خيرا : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[4]

وأمر الله موسى أن يصوم ثلاثين يوما تأهبا للمناجاة ، ولما قضى موسى الأجل لم يستطب فمه فأفطر ، فقال له ربه ـ فيما أخرج الديلمي عن ابن عباس مرفوعا ـ : « لم أفطرت ؟ » وهو أعلم بالذي كان ـ قال : أي ربي كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح ، فقال : أوما علمت يا موسى أن خلوف فم الصائم أطيب

---

(١) وقيل كان ينزل عليهم في محلهم سقوط الثلج شديد البياض شديد الحلاوة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يأخذ الواحد منهم قدر ما يكفيه يومه .

وقيل : هو كل ما مَنّ الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد..

انظر تفسير ابن كثير: ٩٥/١

(٢) سورة طه ٨٠ ، ٨١ .

(٣) سورة البقرة : ٥٧

(٤) الأعراف : من الآية ١٤٢

عندي من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرة أيام ثم ائتني ، ففعل موسى عليه السلام الذي أمره ربه ا هـ ـ. [1].

قال تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[2] ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ [3] (145) سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[4].

١٥ ـ وسأل الله موسى عن سبب عجلته عن قومه ـ وليس ذلك مخالفة منه، فلم يؤمر بذهابهم معه ،وإنما لإظهار لهفة سيدنا موسى للقاء ربه ، وتلقى ما فيه الخير لأمته ، وكان قد تركهم قريبا منه .

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ [5] يَا مُوسَىٰ (83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ

---

(١) الدر المنثور : ١١٥/٣

(٢) الأعراف من الآية ١٤٢ .

(٣) بقوة : بعزم على الطاعة ، بأحسنها : بأكثر ما فيها ثوابا ، فلو كان هناك أمران أحدهما أكثر ثوابا، عمل بالأكثر ، دار الفاسقين : عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي، كيف يصير إلى الهلاك والتباب .
تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٦

(٤) الأعراف : ١٤٣ ـ ١٤٧

(٥) درج كثير من المفسرين على أن المراد ب « قومك » السبعون رجلا الذين اختارهم لمناجاة ربه ، والواقع أن سيدنا موسى لم يختر من قومه من يكون معه في المناجاة إلا ساعة ذهب ليستغفروا من ذنب عبادة العجل ، بدليل أنهم هم الذين أخذتهم الرجفة لما طلبوا رؤية الله جهرة وانه قد جاء في « تفسير القرآن الكريم » ٩/ ٥٨ : أن اختيار السبعين كان بعد المناجاة الأولى ، وبعد عبادة عجل السامري =

﴿إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[1].

١٦ ـ ولما امتدت غيبة سيدنا موسى عشرة أيام استبطأه قومه ، فانتهز رجل يقال له ( السامرى[2] ) تلك الفرصة ، وجمع من بني اسرائيل حليهم التي أخذتها نساؤهم من المصريات وأخرج لهم عجلا جسدا ( أي ذا جثة على التشبيه بالعاقل[3] ) وقال لهم هو ومن تبعه : هذا إلهكم وإله موسى ، ولكن موسى نسي هذا الاله وذهب يلتمسه ، أو نسي أن يأمركم بعبادته قبل رحيله :﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[4]﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[5] ( أي صوت كصوت عجل البقر ) ، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[6] ، ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[7].

١٧ ـ ولما رآهم سيدنا هرون على ذلك نهاهم ودعاهم إلى الرحمن فأبوا وقالوا : سنظل عاكفين على عبادته حتى يرجع موسى : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[8]

وأما كيف أخرج لهم السامرى العجل،فقد تعددت أقوال المفسرين في ذلك ، وأحسن ما يقال ، أن السامرى أخذ زينة القوم التي قذفوها لما قال لهم : إن ما لديكم من ذهب استعرتموه من المصريين ، ولم تردوه إليهم ، قد أغضب ربكم ،

---

= لأن حادثة عبادة العجل بينت الخبيث من الطيب . مع أن صاحب الكتاب نفسه وقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين فقال في الجزء ١٦/ ١٠٩ ، ١١٢ : إن القوم هم النقباء .

(١) سورة طه : ٨٤

(٢) نسبة إلى « شامر » لا إلى «سامرة » ويغلب أن تكون الشين في العبرية سينا في العربية ومعنى « سامر » في العربية أو « شامر »في العبرية : حارس قصص الانبياء ٢٢٤ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ١٠٨ .

(٤) سورة طه ٨٥

(٥) الأعراف من الآية ١٤٨ (٦) طه ٨٨

(٧) البقرة من الآية ٩٣ وفي البقرة أيضا « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون »٩٢

(٨) وسورة طه ٩١

وما هو إلا أوزار تحملونها فتؤخر عودة موسى إليكم ، والرأي أن تقذفوها في النار التي أوقدتها ، فقذفوها فصاغ منها تمثالا على هيئة العجل ، وجعل له فتحة من الخلف فاذا مر الهواء منها أحدث صوتا في الفم .

وقد قال الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص[1] الأنبياء : « ولو قال القائل : إن الرجل خدع بني إسرائيل وأخذ منهم الحلى وبصر بعجل على هيئة العجول التي تعبد في مصر ـ ولم يبصروا به ـ فاشتراه وجاءهم به وقال لهم ما قال ، وبناء عليه تكون « من » في «من حليهم» بمعنى البدل ومنه قوله تعالى : ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾[2] أي بدل الآخرة ـ والمعنى : فاتخذوا بدل حليهم عجلا . ويستقيم هذا مع قوله تعالى على لسان موسى :﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[3] لأن الذهب يحترق ولا ينسف وهذا لا بأس به .

١٩ ـ وأياً ما كان الأمر فإن العقول لا تستسيغ ما يقال من أن جبريل ربى موسى وأن موسى عرف أن التراب الذي يكون تحت حافر فرس جبريل عليه السلام لو وضع على جماد لصار حيا ، وهذا تأويلهم لقوله تعالى : ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾[4].

٢٠ ـ والذي ترتاح اليه النفس ما ذهب اليه صاحب قصص الأنبياء نقلا عن تأويل أبي مسلم الأصفهاني ٢١٧ ، أن المعنى : بصر السامري بعجل لم يبصر به بنو إسرائيل، فسولت له نفسه أن يطرح ما علمه من موسى من أن الاله واحد هو الله وأنه لا يعبد سواه ، وأنه ليس كمثله شيء ، فنبذ تلك القبضة من التعاليم ، وهي أثر من آثار موسى ، ورأى الفرصة سانحة للعب ببني إسرائيل وأخذ الحلى التي كانت عندهم فدعاهم أن يأتوه بها وأوهمهم أنه سيأتيهم بإله موسى ، وكذلك سولت له نفسه[5] .

---

(١) ص ٢٢٠

(٢) التوبة من الاية ٣٨

(٣) طه من الآية ٩٧

(٤) طه من الاية ٩٦

(٥) قصص الأنبياء ٢٢٣

٢١ - ولما أخبر الله موسى عليه السلام بذلك عاد متألما ، وتوجه الى القوم يلومهم ويعنفهم على مخالفتهم : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا[1] أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾[2] قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا[3] . . . . . ﴾

ثم يسفه الله عقولهم حيث عبدوا من لا يرد قولا ولا يملك ضرا ولا نفعا ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[4]، ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[5].

٢٢ - ثم توجه موسى باللوم إلى هرون عليهما السلام ولشدة غضبه أمسك بلحيته وبشعره وأخذ يجره ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ ( لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني من لم يعبد العجل ) أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾[6].

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ثم بين سبحانه أنه قضى على الذين اتخذوا العجل بالغضب والذلة في الحياة الدنيا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾[7].

(١) الوعد : أن يعطيهم التوراة ، العهد : مدة مفارقة موسى لهم أو انتظار ما وعدهم الله به .

(٢) أم : بل أردتم أن يحل عليكم العذاب فعبدتم غير الله مخلفين وعده بذلك .

(٣) طه ٨٦ ، ٨٧

(٤) طه ٨٩

(٥) الأعراف ١٤٨ .

(٦) طه ٩٢ - ٩٤

(٧) الأعراف ١٥٠ - ١٥٢

٢٣ - ثم توجه عليه السلام إلى السامري ليعرف ما حمله على ما صنع ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ (١) وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾.

وقرر عليه السلام الحقيقة التي لا شك فيها ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾(٢)

٢٤ - وعندما هدأت ثائرة موسى وسكت غضبه تناول الألواح التي بها التوراة : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(٣)

وثاب القوم إلى رشدهم، وعرفوا مقدار ذنبهم، وحاروا فيما يفعلون، فتوجهوا إلى الله :

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٤).

٢٦ - ولم يقبل الله توبتهم إلا أن يقتل بعضهم بعضا فأمرهم موسى بذلك : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٥) .

وأصبح الصباح على بني إسرائيل وقد حملوا السلاح يقتتلون حتى إن الواحد منهم ليقتل أخاه أوأباه، بينما أخذت النساء تبكين والأطفال ينوحون ويطلبون جميعا

---

(١) لا يطيق أن يمس جلده شيء حتى الهواء .

(٢) سورة طه : ٩٨

(٣) سورة الأعراف : ١٥٤ .

(٤) الأعراف ١٤٩

(٥) البقرة ٥٤

من موسى أن يرجو الله لهم المغفرة ، فعفا الله عنهم : ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١) .

٢٦ ـ ولكن يا ترى هل تاب بنو إسرائيل وأنابوا أو أنهم ما يزالون يرسفون في كفرهم وجحودهم ؟

لقد تخير موسى عليه السلام سبعين رجلا منهم،صحبهم معه الى جانب الطور الأيمن حيث يكلم الله ليقدم ويقدموا له توبتهم عسى أن يشملهم برحمته ، ويعفو عما كان منهم من كفر وضلال : ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾(٢).

وناجى موسى ربه وابتهل إليه يسأله الرحمة ويطلب منه العفو وهم قريب منه ينصتون إلى المناجاة ، وإذا بهذه الصفوة المختارة تقول لموسى : لن نؤمن لك ونصدق ما جئتنا به حتى نرى الله ، فصعقهم الله جزاء كفرهم :﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(٣)

٢٧ ـ وأخذ موسى عليه السلام يتضرع إلى الله يطلب رحمته بهؤلاء السفهاء الآثمين : ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ ( بعصيانهم السابق ) ﴿وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(٤)

واستجاب الله دعاءه وبعثهم من موتهم لعلهم يشكرونه على إنعامه عليهم ويتقبلون التوراة التي هي هدى ونور : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٥) .

٢٨ ـ ثم نوه الله بشأن محمد عليه السلام وأمته :﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا

(١) البقرة ٥١ ، ٥٢

(٢) الأعراف من الآية ١٥٥

(٣) البقرة ٥٥ .

(٤) سورة الأعراف ١٥٥ وصدر ١٥٦

(٥) سورة البقرة ٥٦

يؤمنون ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

وعرف موسى عليه السلام أن الله سيبعث رسولا تتبعه أمة تكون أهدى وأخير من أمته تنال رضا الله وتغنم رحمته .

٢٩ ـ وعاد موسى بمن معه إلى قومه فجمعهم ليسدي لهم نصائح الله ويبين تعاليمه التي ارتضاها لهم ونزلت بها التوراة .

وكان من المنتظر أن يتقبل بنو إسرائيل ذلك بنفس راضية ، إذ فيه مصلحتهم ، وهو من عند من أنعم عليهم بانعامات لم تكن لأمة من الأمم ، ولكنهم قوم فسدت طباعهم كما فسدت عقولهم لا يرعون عهدا ولا ذمة ، ولا يحفظون فضلا أو نعمة ـ لقد رفض أكثرهم تعاليم الله ، وما شرع لهم في التوراة قائلين : إنا لا نستطيع صبرا على ذلك فرفع الله جبل الطور فوق رؤوسهم ليفزعهم حتى يقبلوا ما جاء في التوراة ، فقد جاء في تفسير ابن كثير(٢) عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم » أي رفعناه وهو قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾(٣) وقال القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ثم سار بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب ، وأمرهم بالذى أمر الله أن يبلغهم إياه من الوظائف ، فثقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها حتى نتق الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وأيقنوا أنه مهلكهم إن لم يأخذوا ما آتاهم من التعاليم والتكاليف ، بقوة أي بجد ، وأن يعملوا بذلك حتى تكتب لهم النجاة والوقاية من آثام الدنيا وعذاب الآخرة ، فسجدوا لله فى ذل وصغار ، وقبلوا ما آتاهم وما أحسبه قبول المؤمنين الصادقين : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ والآية ١٥٧

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٠ .

(٣) سورة النساء من الآية ١٥٤

(٤) سورة الأعراف ١٧١ .

٣٠ ـ ولم يحمد بنو إسرائيل ما هم فيه ، من طعام سائغ لا يكلفهم أدنى مجهود ، وظل ظليل ، وماء يتفجر لهم من الحجر، لكل سبط عين ، فما فتئوا يطلبون ويتدللون .

قالوا لموسى عليه السلام : لا نطيق الصبر على المن والسلوى فادع الله يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وثومها وبصلها وعدسها ، فتعجب سيدنا موسى ، وقال لهم : أتستبدلون الخبيث بالطيب ؟ إذا أردتم ذلك فعودوا إلى مصر ، حيث الذل والهوان وفيها ما طلبتم ، وذلك أطيب عندكم وأخير من العسل والطير ، وكرامة الله والحرية ، أو تشجعوا وادخلوا مصرا من الأمصار يغذيه ريفه بما طلبتم .

٣١ ـ ولم يجبهم الله إلى هذا المطلب السخيف ، وكأني بنبي الله موسى قد ملّ سخفهم وتدللهم كما سئمته كل نفس ، وقضى الله عليهم بالذلة والمسكنة وبالرجوع بغضبه جزاء كفرهم بآياته وقتلهم أنبياءه .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾(١) .

٣٢ ـ وطلب موسى عليه السلام من قومه دخول الأرض المقدسة كما أمرهم الله(٢) ، فقد كلفهم أن يدخلوها ، ونهاهم أن يجبنوا ويرتدوا عن الايمان ـ كما هو شأنهم ـ فيكون في ذلك خسران لهم : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾(٣) .

وسار بهم موسى عليه السلام بعد أن نصب على كل قبيلة نقيبا منهم يصدرون

---

(١) سورة البقرة ٦١

(٢) الأرض التي أمروا بدخولها : « أريحاء » وهي مدينة في الغور من أرض الأردن في منتصف الطريق بين عمان والقدس . معجم البلدان ١/ ١٦٥

(٣) سورة المائدة ٢١ كتب الله لكم : أمركم بدخولها ، وليس المعنى أن الله كتب لهم الأرض فلا تكون لغيرهم لأن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده .

عن أمره ، ويتولى شئونهم ،ولما كانوا على مشارف الأرض المقدسة بعث عليه السلام النقباء ليستكشفوا أخبار العدو ، ويقفوا على قوتهم وضعفهم ، ووصلوا هناك فرأوا قوما فارهين أشداء فهابوهم ، : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[1].

وفي أثناء عودتهم إلى قومهم تعاهدوا ألا يخبروا غير موسى عليه السلام بما رأوا من شدة القوم وبأسهم ، حتى لا تضعف نفوسهم .

وما أن وصلوا حتى نقض العهد عشرة منهم ، وأشاعوا ما رأوا بين الناس ، فجبن بنو إسرائيل وارتدوا على أعقابهم.

٣٣ ـ أخذ موسى عليه السلام يبين لني إسرائيل أن الدخول أمر فرضه الله عليهم ، وظل يذكرهم بنعم الله عليهم ، حيث جعل منهم أنبياء وملوكا ونجاهم من ظلم فرعون ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأظلهم بالغمام، وفجر لهم الماء من الحجارة .

وطلب عليه السلام منهم أن يتذرعوا بالشجاعة ، وألا ينهزموا أمام أعدائهم فان « أريحاء » وما حولها هي الأرض المطهرة من الآفات ـ والمقدسة بكونها مهبط الرسالات ـ ولكنه عليه السلام كان كمن ينفخ في رماد أو يصيح في واد .

إن فرائص بني إسرائيل كانت ترتعد فرقا مما سمعوا من النقباء عن الجبابرة ، وبلغ بهم الخوف أن أعلنوا عصيانهم وقالوا لموسى : إن فيها قوما جبارين لا نستطيع مقاومتهم ، ولن ندخل الأرض المقدسة ما داموا فيها ، فإن خرجوا منها دخلناها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ» . . . . . « قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[2].

(١) سورة المائدة من الآية ١٢ والميثاق : العهود والمواثيق التي أخذت عليهم بأن يعملوا بما يأمرهم به موسى .

(٢) سورة المائدة ٢٠ ـ ٢٢

٣٤ ـ قال رجلان من النقباء ، وهما كالب بن يفنة ، ويوشع[1] بن نون من الذين يخافون الله ويتقونه ، أنعم الله عليهما بالايمان والطاعة والعصمة ، فكتما ما اطلعا عليه من أمر الجبارين ، ولم يفشياه الا لموسى وحده ـ قال هذان النقيبان لبني إسرائيل : ادخلوا على الجبارين باب المدينة ، مفاجئين لهم ، وكروا عليهم كرة رجل واحد ، فاذا دخلتم الباب عليهم ، أذهلتهم المفاجأة فأعملتم فيهم سيوفكم ، وبذلك ينصركم الله عليهم ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مصدقين بوعده نصركم على لسان نبيكم ، ولكن بني إسرائيل رجموهما بالحجارة .

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]

٣٥ ـ وما كان لبني إسرائيل أن يصغوا لمثل هذا النصح الذي سيكلفهم جهادا وتضحية ، وقد ألفوا حياة الدعة والراحة ، واستمرءوا أن يأتيهم ما يشتهون دون عناء أو مشقة ، فطلبوا من سيدنا موسى طلبا لم يطلبه ـ في تاريخ البشرية الطويل ـ غيرهم

لقد قرروا أنهم لن يدخلوا الأرض المقدسة أبدا فهم لا يريدونها ، ولا يريدون مجدا ولا عزا إذا كان دون ذلك كله لقاء الجبابرة الأشداء من بقايا قوم عاد .

وطلبوا من موسى أن يذهب هو وربه لقتالهم ، وعلى بني إسرائيل أن يقعدوا في انتظار النتيجة ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[3] .

٣٦ ـ هذه هي نهاية الجهد الجهيد لسيدنا موسى ، احتمل ما احتمل من فرعون ، ومن سخافات بني إسرائيل على طول الطريق من مصر إلى أبواب الأرض المقدسة ، أبواب الغاية التي ينشدون ، ثم ها هم أولاء لجميع آماله يخيبون ، وعن الغاية يتقاعسون .

(١) تفسير القرآن الكريم ٦/٦٢

(٢) سورة المائدة ٢٣ .

(٣) سورة المائدة ٢٤

فلم يكن إلا أن يلجأ إلى ربه يبثه شكواه ويدعوه أن يفصل بينه وبين هؤلاء الفاسقين ، فقد تحمل فوق الطاقة ، ولم تعد له حيلة .

وأعلن عليه السلام أنه لا يملك أمر أحد يحمله على طاعته إلا أمر نفسه وأمر أخيه هرون .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (1) ﴾

٣٧ ـ أجاب الله موسى : بأن الأرض المقدسة محرمة عليهم مدة أربعين سنة يظلون خلالها تائهين حائرين ، فلا تحزن على هؤلاء القوم الفاسقين.

وقد ظل بنوا إسرائيل هذه الحقبة ، يسيرون في قطعة من صحراء سيناء لا تتجاوز ثلاثين فرسخا في تسعة ، كانوا يسيرون الليل كله كادحين ـ فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدءوا منه ، ولم يكن حالهم بالنهار خيرا من حالهم بالليل .

وكان ذلك في نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد(2) .

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (3) ﴾ .

---

(١) سورة المائدة ٢٥

(٢) تفسير القرآن الكريم ٦/ ٦٣

(٣) سورة المائدة ٢٦ .

# الفصل الثاني

## مِن دُخولهم حتى تشريد الرُومَان لهم

* دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة .
* إغارة العمالقة عليهم وتخليصهم منهم على يد طالوت .
* مملكة داود وسليمان عليهما السلام .
* انقسام نبي إلى دولتين : إسرائيل ويهوذا .
* تخريب بختنصر لفلسطين واتخاذه بني إسرائيل عبيدا .
* عودتهم إلى أراضيهم ووقوعهم تحت سيطرة الفرس ثم المقدونيين .
* بطش خردوس بهم وتدميره ديارهم .
* وقوعهم تحت سيطرة الرومان ، الذين شردوهم حتى أصبحوا هائمين في شتى البقاع .

٣٨ ـ عاش بنوا إسرائيل في التيه يشقون بالتشريد والعراء لا يعرفون لهم وطنا ولا مستقرا ، وكان هذا حريا أن يهذب نفوسهم ، ويستأصل خبثها ، ولكنهم ما زالوا على ما هم فيه ، فلم يكفوا عن إيذاء نبي الله موسى الذي تحمل معهم كل ألوان العذاب بل كانوا يؤذونه بالقول ، فإذا لاقوا أدنى مشقة قالوا له : ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾(١)، ويموت سيدنا هرون فيتهمونه بموته حتى يبرىء الله ساحته ، ومن قبل رموه بالزنى أيام قرون .

وكانوا يؤذونه بالعمل ، فيعصونه ويخالفون أمره حتى ضج بالشكوى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٢)

٣٩ ـ واختار الله نبيه موسى إلى جواره ، فقام بأمر بني إسرائيل بعده يوشع بن نون ، ومات من أبى أن يدخل مدينة الجبارين مع موسى ، ولما انقضت الأربعون سنة ،بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبر بني إسرائيل بذلك وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدقوه فنصرهم الله وهزم الجبارين(٣) .

وحوالي القرن الثاني عشر ق . م دخل بنو إسرائيل بلاد كنعان واستولوا على ما فيها من خيرات وثروات ، بعد أن أبادوا كثيرا من أهلها واستعبدوا من استبقوا منهم(٤) .

(١) سورة الأعراف من الآية ١٢٩
(٢) سورة الصف ٥
(٣) تاريخ الطبري ١/ ٤٣٦
(٤) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام: ٨

٤٠ ـ ورغم ما أصاب بني إسرائيل في التيه من أهوال، وموت من مردوا على المخالفة وارتاحوا للذل والعبودية ، على الرغم من هذا كان ما يزال فيهم أهل عصيان ولؤم .

ففي أثناء دخول أول قرية فتحوها وهي قرية « أريحا[1] » طلب الله منهم أن يدخلوا ركعا تعظيما لله ، وأن يقولوا : « حطة » ( يعني اللهم حط عنا الذنوب ) ، فلم يمتثل كثير منهم لذلك ودخلوا على أستاههم ، وقالوا «حنطة».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « دخلوا الباب ـ الذي أمروا أن يدخلوه سجدا ـ يزحفون على أستاههم وهم يقولون : حنطة في شعيرة[2] »

٤١ ـ أقام بنوا إسرائيل في فلسطين بعد دخولهم ـ على أمر الله ، وكما يوجههم أنبياؤهم وربانيوهم ، فنصرهم الله على العمالقة الذين طالما أغاروا عليهم ، ولما بعدوا عن أمر ربهم ، فعبدوا الأصنام ، وارتكبوا الفواحش ـ انتصر عليهم العمالقة بزعامة جالوت ملكهم ، وكان جبارا من أولاد عمليق بن عاد[3] ، فأخذوا البلاد ، وسبوا النساء والذراري ، وأخذوا التابوت الذي كان به آثار سيدنا موسى وهرون[4] ، وكان ذلك في القرن الحادي عشر ق . م .

٤٢ ـ وبعث الله عز وجل في بني إسرائيل نبيا لهم يسمى « شمويل[5] » دعاهم إلى توحيد الله ، ونبذ ما هم فيه من فساد ، فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون تحت لوائه ، فقال لهم : هل عسيتم إن كتب الله عليكم القتال ألا تفوا بما التزمتم ؟ قالوا : وكيف لا نفي ؟ وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد ، ولكنهم لم يفوا بما وعدوا ، بل نكص أكثرهم عن الجهاد .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا

(١) تاريخ الطبري ١/ ٤٤١

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٩٩

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٢٠٠

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٠

(٥) شمويل بن بالي بن علقمة ، تاريخ الطبري ١/ ٤٦٧

نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا
نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا
مِّنۡهُمۡ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(1)

٤٣ ـ وقال لهم شمويل عليه السلام : إن الله قد ملك عليكم طالوت ، فقالوا له : ما كنت قط أكذب منك الساعة ، كيف يكون ملكا علينا ، وليس من سبط الملك ( أي سبط يهوذا ) ، وليس غنيا حتى يقوم بأعباء الملك ؟ فقال لهم : إن الله اختاره عليكم ، وزاده بسطة في جسمه وعلمه ، فهو أشد منكم قوة ، وأعلم بأمور الحياة وشئون القتال ، والملك بيد الله يؤتيه من يشاء ، فقالوا له : نريد دليلا على ذلك ، فقال : إن آية ذلك أن يأتيكم التابوت الذي سلب منكم ، والذي تنصرون به ـ إذا قدمتموه في الحروب ـ ففي وجوده تثبيت لقلوبكم .

٤٤ ـ وجاءهم التابوت ، تحمله الملائكة ، كما يقول ابن عباس رضى الله عنهما : « جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت ـ والناس ينظرون ، أو أصبحوا فوجدوه في دار طالوت كما يقول السدى ، أو أن الملائكة جاءت به تسوقه على عجلة تجرها بقرة أو بقرتان ، كما يروى عن الثورى ، وذلك لأن المشركين من العمالقة لما أخذوه فشت فيهم الأدواء ، فأمرتهم جارية من بني إسرائيل أن يردوه ، فجعلوه على بقرتين ولما كان قريبا من بني إسرائيل جاءوا فأخذوه(2) .

وأيا ما كان الأمر فقد جاءهم التابوت ، فصدقوا نبيهم ، وأذعنوا بطالوت ملكا عليهم : ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم

(1) سورة البقرة ٢٤٦

(2) تفسير ابن كثير ١/ ٣٠١ ، ٣٠٢ ، حاشية الجمل ١/ ٢٠٢ ، تاريخ الطبري ١/ ٤٦٨ ، تفسير الطبري ٥/ ٣١٩ .

مُؤْمِنِينَ ﴾(١).

٤٥ ـ أذّن طالوت رضى الله عنه في الناس بالجهاد ، وطلب ـ كما جاء في تفسير أبى يالسعود ـ ألا يخرج للقتال إلا من كان فارغا ليس له ما يشغله ، حتى يكون خروجه للجهاد خالصا ، وهذه تصفية أولى من طالوت لجنده ، ثم صفاهم مرة ثانية عندما عطشوا لطول السفر في الصحراء ، ودنوا من نهر فلسطين(٢) أو نهر الشريعة(٣) ، فقال لهم : سنعبر الآن نهرا فمن شرب منه فليرجع ، ومن لم يشرب فهو أهل للجلد والجهاد فليمض معي ، ولا بأس فى أن يغترف الواحد منكم غرفة بيده ، فشرب أكثرهم ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾(٤)

٤٦ ـ ولما عبر طالوت النهر هو ومن قويت إرادته وصبر على الظمأ ـ وكانوا قلة ـ والتقوا بجالوت ، ورأوا كثرة عدد من معه ـ قالوا : لن نقوي على لقاء جالوت ومن معه ، فهم أكثر عددا وأقوى عدة ، فقال أهل الايمان ـ ممن يظنون أنهم سيلقون ربهم وسيحاسبهم على نكوصهم ـ فإن مجرد الظن بلقاء الله كاف ليثبت القلوب ، ويشد العزائم : ليس النصر بكثرة العدد ، وإنما بتأييد الله والصبر ، فما علينا إلا أن نصبر ، وكثيرا ما غلبت فئة قليلة فئة كثيرة بإذن الله :

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٥)

٤٧ ـ والتقى الجمعان : المؤمنون وزعيمهم طالوت ، وفيهم سيدنا داود عليه السلام ، والكافرون وزعيمهم جالوت .

ودارت رحى الحرب، وطلب المؤمنون من الله الصبر والثبات والنصر على

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ ، ٢٤٨

(٢) تاريخ الطبري ١/ ٤٦٩

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٢

(٤ ، ٥) سورة البقرة ٢٤٩

الكافرين ، فاستجاب الله لهم وقتل داود عليه السلام جالوت فاختل أمر الكافرين وضعفوا فشد عليهم المؤمنون حتى هزموهم ، وأبلى داود عليه السلام في هذه الموقعة بلاء عظيما .

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ﴾[1]

٤٨ ـ حسنت حال داود عليه السلام عند الملك « شاول » أي طالوت لما أبداه في هذه الموقعة من بسالة وإقدام حتى قتل جالوت وهزم من معه ، وصار مقدما بين رجال الحرب في بني إسرائيل وعظمت منزلته ، وزوجه طالوت ابنته[2] ، وانعقدت أواصر المحبة بين داود وابن طالوت .

ولست أدري سببا لما يفيض فيه كثير من الكتاب والمؤرخين ـ نقلا عن العهد القديم ـ من تطاحن بين داود عليه السلام وطالوت رضي الله عنه ، فما كان النصر ليدخل في نفس داود تطلعا إلى الملك حتى يوغر عليه صدر طالوت ، وما كان طالوت ـ وهو الذي أعطاه الله بسطة في العلم والجسم ـ لينفس على صهره داود شجاعته والتفاف الناس حوله ، حتى يخسره ويضعف مملكته بانقسامها : إلى فريق مؤيد له ، وفريق مؤيد لداود .

فهذا كله ككثير غيره من الاسرائليات التي لا معول عليها .

ومهما يكن من شيء فإن الحكم آل إلى نبي الله داود عليه السلام بعد قتل طالوت في إحدى المعارك وقد آتاه الله الحكمة ، وعلمه كما يريد سبحانه : منطق الطير والدواب ، وصنعة الدروع : ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾[3]

٤٩ تولى داود عليه السلام الملك ، وأعطاه الله النبوة . وعلمه مما يشاء .

وإن اجتماع الملك مع النبوة والعلم . ليحقق كل خير للأمة ويأخذ بيدها الى طريق الرقي والازدهار ، لقد توحد بنو إسرائيل تحت لوائه ، وأقام ملكا في حبرون

(١) البقرة صدر الآية ٢٥١

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٩

(٣) البقرة من الآية ٢٥١ .

سبع سنوات ، ثم انتقل إلى صهيون حتى أجلس اليبوسيين من جبل الموريا وصار لبني إسرائيل .

وقام في أيام ملكه عليه السلام بحروب كثيرة كان موفقا فيها جميعا منصورا على أعدائه فاتسع ملكه حتى صار من أيلة - خليج العقبة - إلى الفرات ، وافتتح بلاد الفلسطينيين ، وأخذ دمشق عاصمة ملك الآراميين بعد حروب شديدة(١) .

٥٠ - وكان ملكه عليه السلام قويا مهيبا بكثرة الجند والنصرة ، وكان هو ذا رأى سديد يميز الحق من الباطل.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾(٢) ، ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٣)

٥١ - ودام حكم سيدنا داود عليه السلام أربعين سنة وفي تمامها عهد بالحكم لابنه سليمان عليه السلام ، وكان ابن اثنتين وعشرين سنة على أرجح الأقوال - وأوصاه ببناء بيت المقدس(٤) .

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾(٥)

٥٢ - ومن المعروف أن سيدنا سليمان عليه السلام كان يشارك والده في الحكم وتدبير أمور الدولة ، وكان يفهم بأمر الله بعض الأحكام أكثر مما يفهم والده ، ومن ذلك قصة الغنم التي أكلت الحرث ، فحكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث الأغنام ملكا له ، وحكم سليمان بأن يأخذها ينتفع بها حتى يزرع صاحبها الحرث له ، ويعود كما كان يوم أكلته الغنم فيسلمها له ويأخذ حرثه .

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

---

(١) قصص الأنبياء ٣٠٩

(٢) سورة ص الآية ٢٠

(٣) سورة ص الآية ١٧

(٤) تاريخ ابن خلدون ١٤٣/١ ، المختصر في تاريخ البشر مجلد ١/ ٣٧ - أي بتجديده .

(٥) سورة النمل ١٦.

شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[1]

فكان سليمان عليه السلام حريا بأن يتولى بعد أبيه ، وكان متوقعا أن يكون عهده أكثر ازدهارا من عهد أبيه ، لأنه سيتم ما بدأ ، ويكمل ما أسس ، وقد كان ذلك .

٥٣ ـ فمنذ تولي عليه السلام شرع في عمارة المسجد كما أوصاه والده ، وبنى مدينة « تدمر » وأقام على بناء الهيكل سبع سنين ، ثم بنى بيتا لسلاحه ، وفوقه بيتا لسكناه ، واسترضى لذلك الصناع من « صور » ومن غيرها[2] نظرا لعطل بني إسرائيل ، وغمر اليسر الأمة ومليكها ، فغرست الكروم ، وأنشئت الحدائق ، فكان ذلك مصدر خير وبركة .

٥٤ ـ ثم عزم عليه السلام بمشورة حبرام أن ينشيء مصنعا لبناء أسطول عظيم الحول والطول ، ليجلب لأمته كنوز فارس والهند .

واكتمل أول أسطول في سنتين ،ودرب الفينيقيون العبرانيين على الملاحة[3] ، وأخذ يمخر عباب البحر شرقا وغربا .

وسهل على الأسطول الانتقال ،لأن الريح كانت مسخرة لسليمان عليه السلام يوجهها حيث يريد .

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾[4]

ثم امتد سلطانه عليه السلام الى اليمن حتى جاءته بلقيس ملكة سبأ ومن معها مسلمين طائعين وكاتب الملوك فأذعنوا لهيبته ، وشهدوا بقوته وسلطانه ، وكان في هذا كله الخير كل الخير لبني إسرائيل .

وامتد حكمه عليه السلام أربعين[5] سنة أو ثنتين وخمسين[6] .

---

(١) سورة الأنبياء ٧٨ ، ٧٩

(٢) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٤٤ ، ١٤٥

(٣) قصص الأنبياء ٣١٩ ، ٣٢٠

(٤) سورة ص الآية ٣٦

(٥) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٤٦ ، المختصر في تاريخ البشر مجلد ١/ ٣٦

(٦) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٤٩ .

٥٥ ـ وبالجملة لقد عاش بنوا إسرائيل ما يزيد على قرن من الزمان ـ مدة حكم سليمان ووالده داود عليهما السلام ، وطرفا من حكم طالوت ـ أزهى أيام حياتهم على طول تاريخهم ، فلم يروا من قبل ولا من بعد مثل هذه الأيام ، ولم يسلموا من بطش مجاوريهم بل ومن فرض سلطانهم عليهم،إلا في حكم النبيين الكريمين داود وسليمان . عليهما السلام

٥٦ ـ ولما مات سليمان عليه السلام ملك من بعده ابنه « رحبعام » ولكن ملكه لم يدم أكثر من سبع عشرة سنة حتى انقسمت عليه بنو إسرائيل كدأبهم مع كل حاكم أو نبي ، وأصبحوا بذلك مملكتين: مملكة يهوذا في الجنوب . ويحكمها أبيا ابن رحبعام ، ومملكة إسرائيل في الشمال ويحكمها يوربعم بن نابط[1] .

وكان انقسام بني إسرائيل وبالا عليهم ، فقد نشبت بينهما حروب دامية رهيبة ، جعلت كل فريق يود القضاء على الآخر ، ويستعين عليه بغير بني جنسه ، ومرت أجيال والحروب لا يهدأ أوارها بين الدولتين تارة ، وبينهم وبين الأمم المجاورة تارة أخرى .

٥٧ ـ وظل الحال كذلك حتى تسلط ملك آشور والموصل على مملكة إسرائيل ، وقبض على ملكها ، وقاد أهلها إلى بلاده أسرى ، وأحل محلهم قبائل عربية من العراق وسورية والجزيرة العربية وبذلك انتهت مملكة إسرائيل وزالت[2] وظلت مملكة يهوذا تصارع وتناضل الآشوريين وتقاوم مطامع غيرهم رغم ما كان بها من انحلال داخلي ينخر في كيانها ، ويكاد يودي بها .

٥٨ ـ وكان في كل آن وحين يأتيهم نبي ينصحهم ويحذرهم عاقبة الافساد ، ومنهم « أرميا » عليه السلام الذي ظل يعظهم ويذكرهم بنعم الله ، ويخوفهم من عقابه حيث يسلط عليهم ـ إن لم يطيعوه ـ جنودا يقتلونهم ويخربون ديارهم ، ويسبون ذراريهم ، ولكن بنى إسرائيل كانوا يكذبون نبيهم ، ويقولون له : أتزعم أن الله سيهلكنا ، ويخرب دياره ؟ فمن يعبده إذا ؟ لقد أعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون .

---

(١) تاريخ الطبري ١/ ٥١٧

(٢) الصهيونية وربيتها اسرائيل ص ١٠

وظل عليه السلام ينصحهم حتى ضاقوا به فقيدوه وسجنوه[1] .

٥٩ ـ وما زالوا كذلك يفسدون في الأرض ، ويتجبرون على الناس ، ويطغون ويفجرون حتى كان وعيد الله لهم على لسان نبيهم موسى ، إذ قضى عليهم سبحانه في التوراة أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون ويتجبرون .

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[2]

٦٠ ـ ففي سنتي ٥٩٦ ـ ٥٨٧ ق . م[3] أغار بختنصر ملك بابل وجنوده على بني إسرائيل فدمر بلادهم ، ولم يدع فيها أثرا لعمار ، وخرب بيت المقدس ، وإلى هذا التخريب يشير قوله تعالى في قصة عزير ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[4] فالقرية كما يقول المفسرون هي بيت المقدس .

وساقهم بختنصر إلى سجون بابل حتى سمى هذا بنفي بابل ، وظلوا كذلك خمسين سنة .

وهذا هو وعد المرة الأولى[5] : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾[6]

٦١ ـ وفي سنة ٥٣٨ ق . م[7] تغلب « كورش » ملك الفرس على البابليين ، وأطلق سراح بني إسرائيل ـ فعاد كثير منهم إلى فلسطين واستعادوا بعض نشاطهم وازدهرت حياتهم ، وكثر عددهم ، ولعل الله ساق كورش ليجعل الكرة لبني إسرائيل على البابليين .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٤٨ وما بعدها البداية والنهاية ٢/ ٣٨

(٢) سورة الاسراء ٤

(٣) الأسفار المقدسة قبل الاسلام ٨

(٤) البقرة ٢٥٩

(٥) تفسير بن كثير ٣/ ٢٥، الأسفار المقدسة قبل الاسلام ٨ ، الكامل ١/ ١٤٩ ، البداية والنهاية ٢/ ٣٨ ، تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥

(٦) سورة الاسراء ٥

(٧) الأسفار المقدسة قبل الاسلام ٨

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[1]

وكان الأجدر ببني إسرائيل أن يتعظوا ويخشوا وعد الآخرة ، ولا يسيئوا فيعاقبهم الله ، وانما يحسنون فيحسن الله إليهم : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[2].

٦٢ - وظل بنوا إسرائيل تحت سيطرة الفرس قرنين ، ثم سيطر عليهم المقدونيون خلفاء الاسكندر الأكبر ، وما زالوا يعيثون ويفسدون حتى جاء وعد الآخرة . حيث سلط الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له : خردوس، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ،فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤوس جنده يدعى نبوزراذان صاحب القتل ، فقال له : إني قد كنت حلفت بالهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري إلا ألا أجد أحدا أقتله . . . ، ثم لما فنى بنوا إسرائيل أو كادوا أمر خردوس قائده نبوزراذان أن يرفع القتل، ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وهذا هو وعد الآخرة الذي أنزل الله ببني إسرائيل وكانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم[3] .

٦٣ - وإلى هذا يشير قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[4]

وهذا هو التأويل الذي يلائم نص الآية الكريمة وتجد الضمائر فيها في : عليهم ، ليسوءوا، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة - مرجعا وهو : « عبادا » وفي التعبير بـ كما دخلوه أول مرة ما يؤكد ذلك .

٦٤ - وقد توعدهم الله عز وجل بأنهم إن عادوا إلى الافساد سلط عليهم من

---

(١) سورة الاسراء ٦ .

(٢) سورة الاسراء من الآية ٧

(٣) هذا ما نقله الطبري : تاريخ ٥٩٣/١، تفسير ٤١/١٥، ٤٢ عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق ، وقد جاء في الكامل : ١٧٣/١ مثل ذلك عن ابن إسحق .

(٤) سورة الاسراء من الآية ٧.

يسومهم سوء العذاب في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب الحميم : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[1]

ولما لم يرجعوا عن الافساد حقق الله وعيده ، فبعد أن وقعوا تحت سيطرة الرومان وفي سنة ١٣٥ م[2] حاولوا القيام بثورة فأخمدها الرومان بقيادة الامبراطور هادريان ، واستخدموا في إخمادها كل أنواع البطش والعنف ، وخربوا ديارهم فخرجوا هائمين على وجوههم في كل ناحية ونزل كثيرمنهم الجزيرة العربية وبخاصة يثرب وما حواليها .

٦٥ ـ وعادوا للافساد في عهد النبي ﷺ ، حيث حاربوا دعوته حربا لا هوادة فيها ، وحاولوا القضاء عليه لولا عناية الله فسلط الله عليهم نبيه ، فأخرجهم من ديارهم وأموالهم ، وشردهم كل مشرد . ولا يزال وعيد الله قائما ؛ فها هم أولاء اليوم يفسدون ويتجبرون . ولعل الله يوفق أمة محمد ﷺ للبطش بهم ، ورد كيدهم في نحورهم ، وتطهير الأرض المقدسة من رجسهم .

٦٦ ـ ولم تقم لبني إسرائيل قائمة منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ـ ولن تقوم بإذن الله ـ على الرغم من قيام دولتهم المزعومة ، وذلك مصداق قوله تعالى : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[3]

---

(١) سورة الاسراء من الآية ٨

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للأسلام ٨

(٣) البقرة عجز الآية ٦١ .

# الفصل الثالث

## حَربهم النفسِيّة وَالدّعَائيـة للدّعوَة

* بنو إسرائيل بالحجاز
* علمهم بمحمد واستفتاحهم على المشركين به
* الدعوة وبنو إسرائيل .
* استمالة القرآن لهم
* ادحاضه شبههم ومعاملتهم بالمثل .
* إيقاعهم بين المسلمين ، وإيذاؤهم للرسول .
* استهزاؤهم بالدين وسوء أدبهم مع الله والملائكة .

٦٧ ـ كانت جزيرة العرب منذ العهود الأولى التي قاربت عهد موسى عليه السلام مهبطا[١] مرغوبا فيه لليهود يسارعون في الهجرة إليها كلما شعروا بخطر يهددهم ليعيشوا بها آمنين شر أعدائهم .

وبعد أن دالت دولتهم ، وتشتتوا التشتيت الأخير على يد الرومان لجأ جماعة منهم إليها ونزلوا بالحجاز[٢] في يثرب وخيبر وما جاورها من القرى مثل فدك وتيماء . فكان بيثرب يهود بني قينقاع ، وكانوا يشتغلون بالصياغة وصنع آلات الحرب ، وكانت لهم بها سوق كبيرة .

وبتخوم يثرب كانت تقيم قبيلتا قريظة والنضير ، وكانتا تشتغلان بالتجارة وفلاحة البساتين .

وشمالي يثرب بخيبر والقرى المجاورة لها مثل فدك وتيماء كانت تقيم جماعات كبيرة من بني إسرائيل ، وكانت لهم هناك مزارع وحدائق واسعة .

٦٨ ـ وقد كان بنوا إسرائيل على علم بخبر النبي عليه السلام قبل مبعثه ، لما يجده أحبارهم في كتبهم من صفته ، وصفة زمانه .

ويروى عن[٣] عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الاسلام ـ مع رحمة الله تعالى وهدايته لنا ـ أننا كنا نسمع من رجال يهود ـ وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان ـ وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا . . . وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب

(١) محمد واليهود ١٩

(٢) الأغاني ١٩/ ٩٥ طبعة مصر، الطبري ١/ ٣٨٤

(٣) سيرة ابن هشام ١/١٣٧

زمان نبي يبعث الآن . . . نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيرا ما نسمع منهم ذلك ، فلما بعث ﷺ آمنا به واتبعناه ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت الآيات : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ(١) وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢)

وقال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣)

وكان سيدنا عيسى عليه السلام قد بشرهم بمبعث الرسول ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٤)

٦٩ ـ ولما بعث الله رسوله بالحق هاديا ، وأنزل عليه قرآنه الحكيم ، دعا بني إسرائيل ـ كغيرهم ـ الى ما جاء به .

والمتدبر للقرآن الكريم يجده قد خاطب بني إسرائيل في أسلوبه المكي برفق ليستميل قلوبهم ، ويحببهم في الدين الاسلامي .

وكذلك الحال في الأسلوب المدني أول الأمر، ثم بادلهم بعد ذلك عداء بعداء .

٧٠ ـ ففي السور المكية نجد القرآن :

أ ـ يذكر قصصهم : فسورة « يوسف » عليه السلام ، وسورة القصص فيهما تفصيل لكثير من أخبارهم .

وفي الأعراف من الآية ١٠٣ الى الآية ١٧٨ ذكر لأخبارهم ، وبيان لبعض أحداثهم . وإن كانت الآيات ١٦٣ ـ ١٧٠ مدنية .

---

(١) مصدق لما جاء في التوراة ، يستفتحون : يستنصرون بخروج محمد (ص)

(٢) سورة البقرة ٨٩

(٣) سورة الأنعام ٢٠

(٤) سورة الصف ٦ .

وفي يونس ذكر نجاتهم وإهلاك فرعون : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا . . . ﴾ الآيات ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

وفي الأسراء اجمال لتاريخهم منذموسى عليه السلام إلى التشريد الأخير﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾الآيات من ٢-٨

وفي سورة المؤمنون : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ(١) ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾٤٥ ، ٤٩ .

وفي سورة الدخان : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ . . . ﴾ الآيات ١٧ -٣١ .

وفي سورة الزخرف الآيات ٤٦-٥٦ ذكر لما كان بين سيدنا موسى وفرعون ، وفي سور « طه » « والشعراء » « والنمل » « وغافر » سلاسل من الآيات في موسى وبني إسرائيل وأنبيائهم جاءت خالية من أسلوب العنف .

٧٨ - ( ب ) يشيد بهم وينوه بشأنهم ، ففي سورة السجدة يخبر الله نبيه أنه نزل التوراة على موسى كما نزل عليه القرآن ، وأنه جعل من بني إسرائيل أئمة يدعون إلى الهدى بأمر الله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ(٢) ، وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ٢٣ ، ٢٤ .

٧٢ - وفي سورة الصافات إشادة بموسى وهرون عليهما السلام ، وهما من أخير أنبيائهم : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾

---

(١) آياتنا : أدلتنا على صدقهما ، سلطان مبين : تأييد واضح

(٢) مرية : شك ، لقائه : لقياه في الاسراء ، أو يوم القيامة ، أو تلقيه التوراة .

﴿وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١١٩ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۝١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٤ - ١٢٢ .

وفي سورة الدخان : بيان أن الله اختارهم على عالمي زمانهم ، فجعل فيهم الرسل ، وأنزل التوراة ، وكان العالم - آنذاك - غارقا في الوثنية وأن الله آتاهم من الآيات ما فيه اختبار لهم : ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ ٣٢ ، ٣٣ ، وفي السورة نفسها ذكر لتخليصهم من ظلم فرعون وهلاكه من الآية ١٧-٣١ .

٧٣ - وفي سورة الجاثية : أن الله أتى بني إسرائيل الحكم والنبوة ، ورزقهم من الطيبات ، وإن كانوا قد اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٦ ، ١٧ .

وفي سورة يونس : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(١)﴾

٧٤ - ( جـ ) وأبعد من هذا كله نجد القرآن الكريم يستشهد بهم وبالنصارى لتثبيت قلب الرسول ﷺ : ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ(٢)﴾

وفي سورة الشعراء يبين الله أن القرآن تنزيل من عنده ، نزل به جبريل ، على قلب النبي بلسان عربي ، وأن ذكره موجود في الكتب التي نزلت على الرسل السابقين ، وأن علماء بني إسرائيل - كعبد الله بن سلام - يشهدون بذلك وهذا من أقوى الدوافع لليهود على اتباع محمد ﷺ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ

---

(١) جاءهم العلم : جاءهم الدين. ٩٣

(٢) سورة يونس ٩٤.

ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ١٩٢-١٩٧ وإن كانت الآية الأخيرة مدنية .

وفي سورة الأعراف أن النبي ﷺ مكتوب عندهم في التوراة كما هو في الانجيل : « ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ » من الآية ١٥٧ .

وفي سورة العنكبوت يشيد القرآن بمن آمن من أهل الكتاب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ ( أي أهل مكة ) مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ٤٦ ، ٤٧ .

٧٥ - ( د ) وكذلك يأمرنا القرآن ، ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالحسنى ، وطريقنا أن نقول لهم : إن إلهنا وإلهكم واحد ، وإننا نؤمن بالتوراة والانجيل كما نؤمن بالقرآن ، ويستثنى الله من هؤلاء ، الذين ظلموا فقالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، أو قالوا : إن لله ابنا ، والذين غيروا في كتب الله وبدلوا ، فأخفوا البعض ، وأظهروا البعض ، وأضافوا وحذفوا يتبعون في ذلك أهواءهم - فهؤلاء تجوز مجادلتهم بشدة : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (1)

وفي هذا كله نجد القرآن يتألف قلوبهم ويترضاهم ، ويحببهم في الدعوة عساهم يؤمنون .

ولو كانوا ذوي طباع سليمة ، ونفوس بريئة من الأمراض لسارعوا إلى الاسلام .

٧٦ - وفي السور المدنية نجد القرآن :

يدعوهم برفق ، ويستميل قلوبهم بشتى الوسائل ، ففي سورة البقرة ، يذكرهم بنعم الله عليهم ، ويدعوهم إلى الوفاء بعهده - وهو الايمان بمحمد - حتى يفي

---

(١) سورة العنكبوت ٤٦ ، ٤٧

الله بعهدهم فيرضى عنهم ، ويدخلهم الجنة ، ويدعوهم إلى خشية الله ورهبته ، والمسارعة إلى الايمان بالقرآن الذي جاء مصدقا للتوراة ، وموافقا لها في التوحيد والنبوة والعدل ، والنهي عن المعاصي . وينهاهم ألا يكونوا أول المسارعين إلى الكفر ، وألا يشتروا بالايمان بالله عرض الدنيا وما فيها ، وألا يخلطوا الحق الذي أنزل من التوراة بالباطل الذي يفترونه ، وألا يكتموا صفة محمد من كتبهم ، وهم يعلمون أنه حق،ويأمرهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ـ بالايمان ـ وألا يأمروا الناس بالخير وينسوا أنفسهم ، فقد كان(١) أحبارهم وعلماؤهم الذين اطلعوا على التوراة الصحيحة ، وعرفوا مما ورد فيها أن محمدا رسول الله حقا ، يأمرون سرا من يثقون بهم من أقربائهم وغيرهم أن يتبعوا دين محمد لاعتقادهم أنه الدين الحق مع أنهم يتلون التوراة وفيها وعيد لمن خالف قوله فعله،أفلا يعقل هؤلاء قبح ما يفعلون ؟

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(٢)

٧٧ ـ وتعود السورة فتذكرهم في موضعين آخرين بنعم الله عليهم وتدعوهم أن يخافوا الله في يوم لا تتحمل فيه نفس وزر أخرى ، ولا تقبل فيه شفاعة ، ولا تؤخذ فدية ، ولا يستطيع أحد فيه دفع عذاب الله .

ثم يمضي السياق فيفصل ما أجمل من نعم ، وهي : نجاتهم من فرعون وبطشه ، ونجاتهم من البحر وإغراق عدوهم ، وعفو الله عمن عبدوا العجل ، ونزول التوراة ، وعفو الله عمن طلبوا رؤية الله جهرة ، وبعثهم من بعد موتهم ، وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى :

(١) تفسير القرآن الكريم ١/ ٤٤

(٢) سورة البقرة ٤٠ ـ ٤٤

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ . . . ﴾ الآيات من ٤٧ ـ ٥٧ ، وفي الآية ( ٦٠ ) تذكيرهم بنعمة الماء حيث فجره لهم في الصحراء بضربة من عصا موسى عليه السلام وفي السورة نفسها نجد تكرارا للآيتين ٤٧ ! ٤٨ مع اختلاف يسير في الآية الثانية .

٧٨ ـ ويدعو القرآن إلى مسالمتهم ودعوتهم،فإن آمنوا فقد اهتدوا وإلا فما على الرسول إلا البلاغ .

ففي سورة آل عمران : ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [٢٠] ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ ٦٤ .

٧٩ ـ وفي سورة المائدة دعوة الرسول إلى العفو والصفح عن خيانتهم الكثيرة المتكررة : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ من الآية ١٣.

ونجد في السورة أيضا أن القرآن الكريم يغريهم بتكفير السيئات ، ودخول الجنة ـ إن هم آمنوا واتقوا ـ ويغريهم بالعيش الرغد ـ إن هم عملوا بما في التوراة والانجيل والقرآن ، : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ [١] مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾ ٦٥ ، ٦٦ .

٨٠ ـ ثم أخذ يخوفهم عاقبة كفرهم بذكر أخبار أجدادهم الذين عصوا فعاقبهم الله لعلهم يتعظون .

---

(١) جماعة قليلة معتدلة وأكثرهم فاسقون : غير معتدلين .

فذكرهم بمن بدلوا أمر الله وقوله عند دخول القرية ، وبمن اعتدوا في السبت : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾(١) .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(٢) ، ﴿ وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(٣)

٨١ ـ ولما لم تجد كل هذه الوسائل مع بني إسرائيل أخذ القرآن الكريم يبادلهم كيدا بكيد ، وعداء بعداء ، يعنف عليهم حتى إننا لنراه في بعض الآيات يشبههم بالحمار في عدم الانتفاع بما في أيديهم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤) ويتوعدهم ـ إن لم يؤمنوا بما أنزل على محمد مصدقا للتوراة ـ أن يمحو ما في وجوههم من سمع وبصر فتكون كالقفا ، أو ينزل عليهم عذاب أهل السبت ، وأمر الله لاراد له ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾(٥)

## عداوتهم للدعوة ولمحمد عليه السلام :

٨٢ ـ بينا آنفا أن القرآن الكريم استمال قلوب اليهود وحببهم في الاسلام ،

---

(١) سورة الأعراف ١٦١ ، ١٦٢

(٢) سورة البقرة: ٦٥

(٣) سورة الأعراف: ١٦٣ ـ ١٦٦

(٤) سورة الجمعة ٥ حملوا : أنزلت عليهم ، لم يحملوها : لم يعملوا بها .

(٥) سورة النساء: ٤٧ .

وأن اليهود مع أكيد علمهم بصدق الدعوة ، ومن جاء بها كانوا أول من كفر ، ويا ليتهم كفروا وتركوا غيرهم يؤمن ، بل كانوا يؤيدون المشركين ، ويشدون أزرهم ضد محمد ودعوته ، فقد اجتمع زعماء قريش يوما يناقشون الرسول في أمر الدعوة ، ويتعنتون في مطالبهم ورأوا أن يعززوا موقفهم بأهل كتاب ، وأن يستشيروهم فيما يفعلون معه ، فاختاروا اثنين من أشدهم عداوة لمحمد : هما : النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، وقالوا لهما : سلا أحبار يهود بالمدينة عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء .

وسأل النضر وعقبة أحبار اليهود عن محمد ، ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.وقد كان حريا بأحبار اليهود أن يأمروهم باتباعه ، وأن يبينوا لهم صدقه ـ كما هو في توراتهم ـ ولكنهم قالوا لهما : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، وعند ذلك ترون فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف ، قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ، ما هي ؟ ، فاذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . (١) .

٨٣ ـ وفرح المشركون بما ظفروا به ، وظنوا أنهم بما جاءوا سيهزمون محمدا ودعوته ، وتوجهوا إلى الرسول بالأسئلة الثلاثة ، وكم كانت فرحتهم عندما غاب الوحي خمسة عشر يوما ـ وقد كان ذلك لحكمة يريدها الله ، وهي : أن يعم الخبر مكة كلها حتى يعلم أهلها جميعا بالجواب يوم يجيء ، وأن يعلم الجميع أن الوحي من عند الله ، وليس من عند محمد ﷺ .

وجاءت سورة الكهف ، فوضحت خبر أهل الكهف ، وخبر ذي القرنين وأجاب القرآن عن الروح : بأنها من أمر الله .(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧١ ، ٧٢

(٢) في قوله تعالى ﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ الاسراء ٨٥ .

وما كان صدق الرسول في نفس بني إسرائيل - كما في كتبهم - في حاجة إلى هذا الاختبار، ومع أن الوحي قد أيده، فلم يؤمنوا، بل ظلوا في كفرهم حسدا وبغيا.

## معاهدة النبي لهم :

٨٤ - ومنذ قدم عليه السلام المدينة مدّ يدالصفح لبني إسرائيل ليفتح معهم صفحة جديدة متناسيا ما كان منهم .

وقد وضع عليه السلام عهدا وميثاقا بينهم وبينه ، وادعهم فيه ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وذكر عليه السلام في العهد كل قبيلة على حدة ليكون ذلك أبلغ في العناية بأمرهم ، وإظهار روح الاسلام الذي حرص على اشاعة العدل .

ومما جاء في هذا العهد (١) .

٨٥ - : ( وإنه من اتبعنا من يهود فان له النصر والأسوة - غير مظلومين - وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وإليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من أظلم وأثم ، فانه لا يوتغ ( يهلك ) الا نفسه وأهل بيته .

وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف . . وان بطانة يهود كأنفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد إلا باذن محمد - عليه السلام - وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله - ﷺ - وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله - ﷺ - ) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ١٢١ - ١٢٣ بتصرف، محمد واليهود ٣٦، ٣٧.

٨٦ ـ ولكن ، هل احترم اليهود ذلك الميثاق الذي وادعهم به محمد ، وانصرفوا الى حياتهم في تلك الرحاب الآمنة .

هل أثر فيهم موادعة القرآن الكريم واستمالته قلوبهم ؟

لم يكن هذا ولا ذاك .

لقد عاودتهم طباعهم اللئيمة ، التي حاربوا بها النبيين من قبل ، وأبانوا عما تضطرم به قلوبهم من نار الحقد والحسد والبغضاء لرسول الله وللدعوة ، فأخذوا يحاربون الدعوة والرسول عليه السلام ، حربا لا هوادة فيها .

وكانت حربهم سافرة حينا وخفية أحيانا .

٨٧ ـ فلم يدخروا وسعا في أن يصرفوا الناس عن الدين الجديد بتشكيكهم فيه عن طريق المجادلة في الدعوة ، وفي إبراهيم ، وفي الرسول عليه السلام ،وعن طريق الاعنات في الطلب ، وعن طريق بلبلة الأفكار .

وقد كان القرآن الكريم لهم بالمرصاد يدحض حججهم ، ويفند مزاعمهم .

٨٨ ـ جادل جماعة منهم ، فيهم فنحاص ومالك بن الصيف، رسول الله ﷺ في الدعوة ، فقالوا له مما قالوا : إن الله لم ينزل كتابا على أي بشر ، فرد الله عليهم : بأن إنكار ذلك انتقاص لقدر الله ، وعدم إدراك لعظمته ، ومن الذي أنزل التوراة على موسى ؟ ، والتي تكتبونها في دفاتر مقطعة ، تظهرون بعضها وتخفون الكثير منها مما يتعلق بصفة الرسول وصدق دعوته :﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ وقال الله لهم : لقد تعلمتم من القرآن ما لم تكونوا تعلمونه من قبل أنتم ولا آباؤكم مما التبس عليكم واختلفتم فيه : ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾(١) .

فأي جحود بعد هذا ؟ إنهم ينفون رسالة موسى ومن قبله ، ومن بعده ، ليكذبوا محمدا ﷺ

(١) سورة الأنعام ٩١

٨٩ ـ وهذا عدي بن زيد اليهودي ـ فيما يروى ابن اسحق عن ابن عباس [١] ـ يقول لرسول الله ﷺ : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى ، فيرد الله عليهم بأنه أوحى إلى محمد، كما أوحى إلى نوح والنبيين من بعده : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٢]

فهم ينكرون كل نبوة بعد موسى ـ وإن كان في هذا إنكار نبوات أنبياء منهم ـ في سبيل أن ينكروا نبوة محمد ﷺ ، ولكن الله يقرر أن الوحي أنزل على أنبياء كثيرين ـ قص علينا بعضهم ـ ولم يقصص علينا البعض الآخر .

٩٠ ـ وهذا أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر وغيرهم من اليهود[٣] ، يأتون الرسول عليه السلام فيسألونه عمن يؤمن به من الرسل ، فيقول لهم قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[٤] فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ، ولا بمن آمن به ،فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾[٥]

٩١ ـ وقالت اليهود ـ حسداً منهم وكرهاً أن ينزل الله من خير على غيرهم ـ لا شريعة إلا شريعة موسى ، وأنكروا أن تنسخ شريعة عيسى أو شريعة محمد شريعة

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٨٥ .

(٢) سورة النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥ والأسباط: أولاد يعقوب عليه السلام.

(٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٤٠٧

(٤) سورة آل عمران ٨٤

(٥) سورة المائدة ٥٩

موسى[1] ، فرد الله عليهم بأن النبوة بيد الله يختص بها من يشاء ، وأن الشرائع من عنده ينسخ هذه لتحل محلها تلك ، وهو قادر على كل شيء ، وله ملك السموات والأرض،لو أراد إهلاككم ما منعكم منه ولي ولا نصير :

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[2]

ثم بين سبحانه أن لكل شريعة وقتها المعين ، يأتي بما هو صلاح للناس في ذلك الوقت رسول من عند الله ، وأنه سبحانه ينهي العمل بشريعة لتأتي مكانها أخرى - كما تقتضي مشيئته ، فقال:﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3]

وبينّ كذلك أن لكل أمة شريعتها ومنهاجها - وإن اتحد الأصل : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4] . .

٩٢ - ويؤكد ذلك أنهم قالوا للنبي عندما دعاهم للإيمان بالقرآن : لا نؤمن إلا بالتوراة ونكفر بما عداها - مع علمهم بأن القرآن حق مصدق للتوراة - وقد ندد الله بهم ، هل من إيمانكم بالتوراة قتل الأنبياء - الذين حرم الله قتلهم وأمركم باتباعهم - ؟ وهل من الأيمان عبادة العجل ورفض ما جاء به موسى ؟ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ * وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[5]

٩٣ - ومما قالوه : إن اليهودية هي طريق الحق ، أما الإسلام فليس بشيء .

---

(١) وتجد دحضا لحجج اليهود وردا شافيا عليهم في: النسخ في القرآن ج ١/ ٢٦ - ٤٤ لأستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى زيد.

(٢) سورة البقرة : ١٠٥ - ١٠٧

(٣) سورة الرعد ٣٨, ٣٩

(٤) سورة المائدة ٤٨

(٥) سورة البقرة ٩١ ، ٩٢ .

عن ابن عباس قال : إن عبدالله بن صوريا الأعور - من اليهود - قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتدي - وقالت النصارى مثل ذلك - فنزل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] أي نتبع ملة إبراهيم الحنيف ( المتجه إلى الحق ، الذي يؤمن بجميع الرسل ) وهو لم يكن مشركا - كما أنتم مشركون - ، ثم قال الله لرسوله : بين لهم طريق الرشاد - وهو الإيمان بجميع النبيين وبالقرآن - فان فعلوا ذلك فقد اهتدوا ، وأن تولوا فلا يهمنك أمرهم فسينصرك الله عليهم ، واتباع الملة الحنيفية تطهير من الله ، وتطهيره سبحانه أحسن وهو الحق ، وأما ما يفعله النصارى من غمس أولادهم في الماء الأصفر فليس بتطهير .[2] ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[3]

٩٤ - ثم بين القرآن الكريم أنهم لن يكونوا على شيء من الهدى إن لم يعملوا بما جاء في التوراة والآنجيل ، ويصدقوا ما نزل من عند الله وهو القرآن فيعملوا به : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[4].

٩٤ - وليؤكدوا زعمهم قالوا : إن إبراهيم عليه السلام ، يهودي كما قال النصارى : إنه نصراني ، وذلك لما اختصموا عند رسول الله ونسب كل فريق إبراهيم إليه ، فرد الله عليهم ، كيف يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً ، والتوراة والإنجيل انزلتا من بعده ؟ ثم دعاهم الله أن يكفوا عن الجدال فيما لا علم لهم به ، وإنما علمه عند الله ، وكفاهم أن يجادلوا فيما يعلمون مما هو موجود في شرائعهم - حتى

---

(١) البقرة ١٣٥

(٢) حاشية الجمل ١١٢/١

(٣) سورة البقرة : ١٣٦ - ١٣٨

(٤) سورة المائدة من الآية ٦٨

مبعث محمد عليه السلام - : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١)

ثم أكد سبحانه أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، وإنما كان مسلماً غير مشرك ولا تنتمون أنتم إليه - وإن كان جد أبيكم الأكبر يعقوب - لأنكم لم تتبعوه ، وإنما أولى الناس به أبناؤه من إسماعيل الذين اتبعوه، وهذا النبي وهو محمد عليه السلام، والذين آمنوا معه، والله ولي المؤمنين، يرعاهم و يتولى أمورهم.

﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٢)

٩٥ - وقالوا أيضاً : إن اسماعيل واسحق ويعقوب ، والأسباط كانوا هوداً أو نصارى، فندد الله بهم ، أأنتم أعلم أم الله ؟ إنهم لم يكونوا إلا مسلمين ، وأنتم تشهدون بذلك - ولكنكم تكتمون ، ولا أحد أظلم ممن يكتم شهادة الله، بأن الدين عند الله الإسلام ، وأن إبراهيم حنيف مسلم ، وليس الله بغافل عما فعلتموه ، وسيجازيكم عليه : ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾(٣)

٩٧ - ثم دحض الله حجتهم بهذا الرد : إنكم لم تحضروا ما كان من يعقوب لبنيه ساعة حضرته الوفاة ، إذ قال لهم ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إلهاً واحداً ونحن له مسلمون منقادون طائعون :

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ

---

(١) سورة آل عمران : ٦٥ ، ٦٦.

(٢) سورة آل عمران ٦٧ ، ٦٨

(٣) سورة البقرة : ١٤٠

بَعۡدِى قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1]

٩٧ ـ ثم قضى سبحانه ، أن من يعدل عن ملة إبراهيم يظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره، حيث يترك الحق إلى الضلال ، ويخالف من اصطفاه الله في الدنيا للهداية والرشاد ، وهو في الآخرة من السعداء ؟ لأنه عليه السلام أمره ربه بالإسلام فأسلم ، ووصى بنيه بذلك ، ووصى أبوكم يعقوب بنية بأن الله اختار لهم الدين الاسلامي فلا يموتن إلا مسلمين : ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِى ٱلدُّنۡيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2]

٩٨ ـ ولقد حرصوا كل الحرص على اهتبال أية فرصة للشكوك والتساؤل حتى يزعزعوا عقيدة المسلمين ليصرفوهم عن دينهم .

ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر إلى المدينة أمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس في صلاته ستة عشر شهراً ،كما يروي عن ابن عباس[3]

فظلَّ عليه السلام يتوجه إلى ربه بالدعاء كي يرده إلى قبلة أبيه إبراهيم ، فقبل الله دعاءه ، وأمره بالتوجه إلى البيت الحرام وأوجب على المسلمين في أي مكان من الأرض أن يتجهوا إلى الكعبة : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً تَرۡضَىٰهَا فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾[4] أي، وإن اليهود الذين أنكروا تحولكم إلى الكعبة ليعلمون أن هذا التحول حق حسبما جاء في كتبهم ، فإن التوجه إلى الله يكون بأمره ، وحيثما اتجهنا فنحن نتجه إليه ـ ولكنهم يكتمون ذلك ويجادلون بالباطل ، ولن يغفل الله عن أعمالهم ، بل سيجازيهم عليها .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٣

(٢) سورة البقرة : ١٣٠ ـ ١٣٢

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٩

(٤) سورة البقرة: ١٤٤

٩٩ ـ لما حدث ذلك قال بنو إسرائيل : ما الذي صرف محمداً عن قبلتنا ؟ ترى ؟ أقبلتنا هي الحق أم الكعبة ؟ إن كانت الأولى هي الحق فلم ينصرف عنها ؟ وإن كانت الثانية هي الحق وما عداها باطل ، فما الذي جعله يبقى على الباطل ستة عشر شهرا ؟ ، إن هذا لدليل على أنه مزعزع غير صادق ، ونسي هؤلاء السفهاء ، أن لله الدنيا كلها مشرقها ومغربها ، وأينما نتجه فنحن نتجه إليه سبحانه :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١)

١٠٠ ـ وكان في هذا الأرجاف وذلك التحول اختبار لقلوب المؤمنين حتى يظهر للرسول ومن معه حال من يتبعه فيتجه إلى ما يتجه إليه ـ ممن ينقلب ـ على عقبيه فيرتد عن دينه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾(٢)

ثم قال اليهود أيضاً للمسلمين : ما تقولون في صلاة من مات منكم قبل أن تتحول القبلة ؟ ولا شك أنها باطلة ، فقال عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) أي ليذهب ثواب صلاتكم إلى بيت المقدس ، أو كما يروي(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ أي بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى أي ليعطينكم أجرهما جميعاً .

١٠١ ـ ويروي أن رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ، جاءوا إلى النبي يقولون له : يا محمد ، ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها ـ وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ـ ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها ، نتبعك ونصدقك(٥) ولا شك أن هذا خداع ! فمهما عمل الرسول لن يتبعوا قبلته ويؤمنوا به ، ولن يعود عليه السلام إلى قبلتهم بل ولن يتحدوا هم على قبلة : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ

---

(١) سورة البقرة: ١٤٢

(٢) البقرة من الآية ١٤٣.

(٣) سورة البقرة من الآية : ١٤٣

(٤) تفسير ابن كثير : ١٩٢/١

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩١

﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

١٠٢ ـ وقال بنو اسرائيل للمسلمين[2] : إن قبلتنا قبل قبلتكم وبيت المقدس أفضل من الكعبة ، لأنه مهاجر الأنبياء وقبلتهم ، فقال المسلمون : بل الكعبة أفضل ، فجاء القرآن ليرد زعم اليهود ، ويبين أن الكعبة أفضل، لأنها أول بيت وضع للعبادة والتكريم ، ومن يدخله يكون آمنا ، ويجب على المستطيع من الناس الحج إليه من لدن إبراهيم ، وإن هذا البيت من بناء إبراهيم عليه السلام ، الذي تزعمون أنكم على دينه ومنهجه ـ ثم لا تحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر ربه[3] ـ وأذن في الناس بحجه، وفي هذا البيت آيات واضحة تدل على أنه من بناء إبراهيم ، وهي مقامه عليه السلام ، ثم حذّرهم الله عاقبة كفرهم ، لأنه شهيد على ما يعملون : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾[4] .

١٠٣ ـ ومن جدالهم بالباطل ـ عملا على إثارة الشكوك ـ ما قاله أحبارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما[5] يروي عن ابن عباس يا محمد، أرأيت قولك : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » إيانا تريد أم قومك ؟ ، فقال عليه السلام: أريد كلا . قالوا : ألست تتلو فيما جاءك ، أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء ؟ فقال عليه السلام : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم وأنزل الله سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6]

(١) سورة البقرة : ١٤٥ . وقبله اليهود بيت المقدس ، وقبلة النصارى مطلع الشمس . البحر المحيط : ٤٣٢/١ .
(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٢٩٧/١
(٣) تفسير ابن كثير ٣٨٣/١
(٤) سورة آل عمران ٩٦ ـ ٩٨
(٥) تفسير ابن كثير ٤٥١/١ ،
(٦) سورة لقمان : ٢٧ .

وهذا مثل ضربه الله لهم على قدر عقولهم ليوقنوا أن علم الله لا ينفد ، ولا ينتهي ، ولا يمكن تدوينه أو تسطيره .

١٠٤ ـ كما كتم بنو اسرائيل ما بأيديهم من التوراة ، مما فيه تصديق لمحمد ودعوته، يريدون بذلك إضعاف هذه الدعوة، وانصراف الناس عن محمد عليه السلام ـ على الرغم من معرفتهم له كما يعرفون أبناءهم :﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾(١)

١٠٥ ـ وعلى الرغم من أن الله قد أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء ـ أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام ، وأن ينوهوا بذكره ، وألا يكتموا شيئا مما في الكتاب من الأحكام والأخبار ، التي من جملتها أمر نبوته صلى الله عليه وسلم ـ فإنهم تركوا ذلك العهد ، واشتروا بالنعيم الذي وعدوا به عرض الدنيا الزائل :﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾(٢)

١٠٦ ـ ومن هذا القبيل إنكارهم الشهادة على صدق الرسول عليه السلام ـ فقد دخل جماعة(٣) من أحبارهم على الرسول ، وأخذوا يجادلونه بالباطل ، فقال لهم عليه السلام في حزم : أما والله إنكم لتعلمون أني رسول الله إليكم ، فقالوا : «ما نعلمه وما نشهد عليه» فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾

فما قيمة إنكار قوم لئام ، يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يريدون أن يعترفوا بأي نبي ، ولا أن يخضعوا لأي دين ؟ .

١٠٧ ـ ودعاهم الله في القرآن الكريم أن يدعوا كتمان الحق ، وخلطه بالباطل فقال : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ

(١) سورة البقرة : ١٤٦، ١٤٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٧

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٤٠٣

(٤) سورة النساء : ١٦٦ .

تعلمون﴾(١)، «ونهاهم عن ذلك حيث يقول: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾(٢) والحق هو صدق محمد الذي يعلمونه تماما.

١٠٩ ـ ولما لم يجد هذا الدعاء وذلك النهي، توعدهم سبحانه باللعنة منه، ومن الناس، ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾(٣) وتوعدهم يوم باعوا الحق بالثمن البخس بأنهم سيأكلون النار في بطونهم، ولن يكلمهم الله يوم القيامة ـ ويا ويل من لم يكلمه الله ـ ولا يطهرهم من دنس الذنوب، ولهم عذاب أليم: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾(٤)

١١٠ ـ ومن هذا القبيل أيضا كفرهم مع وجود شاهد منهم، فلما أراد(٥) «الحصين» ـ الذي سماه الرسول ـ عليه السلام ـ بعد إسلامه: عبد الله بن سلام، أن يسلم ـ قال: يا رسول الله، قد علمت أني من علمائهم، وأن أبي كان من علمائهم، وإني أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة، فأرسل إلى فلان وفلان ومن سماه من بني إسرائيل، وخبئني في بيتك، وسلهم عني وعن أبي، فخبأه في بيته، وأرسل إليهم فدخلوا عليه فقال لهم عليه السلام ـ ما الحصين فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال عليه السلام: أرأيتم إن أسلم تسلموا؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فدعاه النبي فخرج ثم قال: أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة، وأنك تبعث بالهدى ودين الحق، فقالوا: إنه شرنا وابن شرنا، وأخذوا ينتقصونه وخرجوا كفارا فأنزل الله قوله: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾(٦).

(١) سورة ال عمران: ٧١.
(٢) سورة البقرة ٤٢.
(٣) سورة البقرة ١٥٩.
(٤) سورة البقرة ١٧٤.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦١ بتصرف.
(٦) سورة الأحقاف الاية: ١٠.

فإذا ثبت أن القرآن من عند الله ، وشهد شاهد منكم بذلك ، وكفرتم استكبارا ، فأنتم ظالمون ، والله لا يوفق الظالمين إلى الصراط المستقيم .

١١١ ـ وأسلم يهودي يدعى « مخيريق » من بني ثعلبة بن الفطيون[١] ، وكان حبر قومه وسيدهم ، ودعا اليهود الى نصرة الرسول يوم أحد قائلا : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ولكنكم تخاذلتم بحجة يوم السبت ولا سبت لكم .

ولم يكن حظ مخيريق بأوفر من حظ الحصين ، فقد عابوه ونالوا منه بألسنتهم رغم مكانته فيهم ، وقد تركهم مخيريق ، وحمل السلاح ونصر الرسول .

وقد كان في شهادة علمائهم أوضح الآيات على صدق الرسول ، ووجوب اتباعه : ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٢].

ولكن بني إسرائيل عموا وصموا ، حسدا منهم وبغيا ـ حتى لقد قالوا للرسول ﷺ : إن أفئدتنا مغلقة فلا تصل إليها دعوتك فحقت عليهم لعنة الله ـ جزاء كفرهم ـ وقل أن يؤمنوا : ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٣]

١١٢ ـ وكان من كيد بني إسرائيل أيضا أن يحرفوا ما جاء في التوراة ـ مما من شأنه تصديق النبي عليه السلام ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٤] أي يتأولونه على غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل ـ قصدا منهم وافتراء[٥] .

١١٣ ـ ومن تحريفهم أن أحبارهم كانوا يكتبون أشياء مختلفة من عندهم ، يغيرون فيها ما ذكر عن النبي ﷺ ، ويقدمونها للعامة منهم ، مدعين أنها من التوراة ، يريدون بذلك عرض الدنيا ، ولن يكون لهم إلا العذاب الشديد يوم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٢ والفطيون : كلمة عبرية تطلق على من ولي أمر بني إسرائيل وملكهم .
(٢) سورة الشعراء ١٩٧؛
(٣) سورة البقرة ٨٨ .
(٤) سورة النساء من الآية ٤٦ .
(٥) تفسير ابن كثير : ١/ ٥٠٧ .

القيامة : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(١)

١١٤ ـ وكان فريق منهم ككعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب ، وأبي ياسر ، وشعبة بن عمرو الشاعر ، يلوون ألسنتهم بالكتاب ، أي إذا قرأ الواحد منهم في التوراة ووصل إلى الكلمة الحق يحرف لسانه عنها ، وينطق بكلمة أخرى غير حق ليحسب الناس أن هذا المحرف من التوراة ، وما هو منها ، ويقولون : إن هذا من عند الله ، وما هو من عنده ـ في الواقع وفي اعتقادهم ويكذبون على الله وهم يعلمون أنهم يكذبون : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

١١٥ ـ وإذا كان هذا شأنهم ـ فهو ينبىء عن لؤم . وخبث طوية ، وتأصل في الضلال والكفر . فلا يطمع المسلمون في إيمانهم : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٣)

وهم لهذا ، ولكثرة نقضهم للمواثيق ، قد استوجبوا لعنة الله ، وأن تصير قلوبهم قاسية لا تتأثر بموعظة : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ( أي تركوا العمل به رغبة عنه ) وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ( أي على مكر وغدر وخيانة لك ولأصحابك ) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤)

١١٦ ـ ومن عدائهم للدعوة ، وبغضهم لها وللرسول ، اعناتهم في الطلب فقد ذهب جماعة منهم ، وفي مقدمتهم رافع بن حريملة ووهيب ابن زيد إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له : نزيد أن تنزل علينا كتابا من السماء كما نزلت التوراة على

---

(١) سورة البقرة : ٧٩

(٢) سورة آل عمران : ٧٨

(٣) سورة البقرة : ٧٥

(٤) سورة المائدة : ١٣ .

موسى ، أو كما يقول ابن جريج: نريد صحفا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان ، بتصديقه فيما جاءهم به ، وهذا إنما قالوه على سبيل التعنت والعناد ، والكفر والالحاد ، فقال الله لنبيه : لقد سألوا موسى شيئا أكثر من ذلك حيث طلبوا رؤية الله جهرة ـ والسائل في الحقيقة أجدادهم ، ونسب إليهم لبيان أن جبلتهم جميعا واحدة في الكفر والعناد ـ فأخذتهم الصاعقة ، : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾[1]

١١٧ ـ وطلبوا من الرسول عليه السلام ، أن يأتي[2] لهم بكتاب محرر بخط سماوي على ألواح تنزل جملة كما كانت التوراة ، يعاينونه حين نزوله ، فرد الله عليهم بأن شأن محمد فيما نوحي إليه كشأن سائر الأنبياء ، فنحن نوحي إليه كما أوحينا إلى نوح ، وإلى النبيين من بعده . كما آتينا داود الكتاب المسمى بالزبور ، وكان إنزاله منجما كالقرآن ، فلم يكن القرآن بدعا في إنزاله منجما :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[3]

١١٨ ـ ولقد قالوا ـ كذبا وافتراء ـ إن الله أمرنا في التوراة ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار .

قال الكلبي[4] : إن كعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف ، ووهب بن يهوذا ، وزيد بن التابوت ، وفنحاص بن عازر ، وحيي بن أخطب ، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا ، وأنزل عليك كتابا ، وإن الله عهد إلينا في التوراة ألا نؤمن لرسول حتى يأتي بقربان ، يقدمه لله ، فإن قبل جاءت نار فأحرقته ، وإلا بقي مكانه فافعل ذلك حتى نتبعك ، وإلا فلا . فرد الله

---

(١) سورة النساء ١٥٣
(٢) تفسير القرآن الكريم ٦/ ١٧
(٣) سورة النساء ١٦٣
(٤) حاشية الجمل ١/ ٣٤٢ ، تفسير القرطبي ٤/ ٢٩٥ .

عليهم ووبخهم ، لقد جاءكم رسل - كزكريا ويحيى - مؤيدين بالمعجزات وبما طلبتم ، فلم قتلتموهم - إن كنتم صادقين في أنكم تؤمنون عند الاتيان به : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١) ؟

١١٩ - ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما(٢) - أن رافع بن حريملة ، ولفيفا معه ، قالوا للرسول عليه السلام : إن كنت رسولا حقا ، فقل لربك فليخاطبنا بنبوتك ، أو لتأتينا آية مما طلبنا تدل على صدقك ، فقال الله لرسوله : إن قولهم هذا يشبه قول من سبق منهم ، اذ طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة .

فالآيات الدالة على صدق الرسول في غاية الوضوح لمن أراد اليقين قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ( في العناد والكفر والجحود ) قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٣)

١٢٠ - حاول اليهود هذه المرة أن يسلكوا طريقا آخر لمعاداة الدعوة ، ربما كان أكثر لؤما وأشد أثرا ، فلقد وجدوا أن طريق الجدال والانكار والتحريف لم يحقق ما يريدون ، ولا بعض ما يريدون ، من صرف الناس عن الدعوة ، وسوف نراهم في هذه المرة يلجئون الى بلبلة أفكار المسلمين .

فقد تآمر جماعة منهم - فيما بينهم - أن يؤمنوا بما أنزل على النبي - عليه السلام - أول النهار فيصلون معه ، وآخر النهار يكفرون ، فيقول المسلمون : إن هؤلاء أهل كتاب ، وأعلم منا بما أنزل على محمد ، ولولا أنهم وجدوا فيه باطلا ما انصرفوا عنه ،فينصرفون عن محمد .

اجتمع لهذه المؤامرة الدنيئة من بني إسرائيل(٤) ، عبد الله ابن صيف ، وعدى ابن زيد ، والحارث بن عوف ، ولكن الله كشف أمرهم ، وأنزل فيهم قوله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٣

(٢) تفسير ابن كثير : ١/ ١٦١

(٣) سورة البقرة : ١١٨ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٤

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(1)

وتواصوا -فيما بينهم -ألا يطمئنوا أو يظهرواسرهم وما عندهم إلا لمن تبع دينهم،فلا يظهرونه للمسلمين فيحتجوا به عليهم ، ونسوا أن الله سيؤتى المسلمين أكثر مما آتاهم،لأن الفضل بيده سبحانه ، يؤتيه من يشاء : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(2)

١٢١ ـ كما حرص جماعة من بني إسرائيل ، أمثال زيد بن اللصيت ، وسلسلة بن برهام ، وكنانة بن صوريا أن يسلكوا أخبث الطرق في سبيل حرب الدعوة والمسلمين ، فتظاهروا بالاسلام ليندسوا في صفوف المسلمين فيسمعوا ويسخروا ويوسوسوا ؛ فهذا زيد بن اللصيت(3) يقاتل عمر بن الخطاب في سوق بني قينقاع ، وتضل ناقة رسول الله ﷺ فيقول : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ . وعلم بذلك الرسول ـ وقد دله الله على ناقته ـ فقال : إن قائلا يقول : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، واني ـ والله ـ ما أعلم إلا ما علمني ربي ، وقد دلني على الناقة ، فهي في هذا الشعب ، فقد حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كما قال عليه السلام وكما وصف . . .

١٢٢ ـ وقد التف حولهم جماعة من الأوس والخزرج ، يظهرون الاسلام ، ويبطنون الكفر ، التقوا يوما بالمسجد ، ورآهم الرسول يتحدثون خافضي أصواتهم ، وقد لصق بعضهم ببعض ، فتبين عليه السلام في وجوههم الكفر والكيد للاسلام ، فأمر بهم فأخرجوا ، وطردوا شر طردة ، وفى هؤلاء يقول سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ

(1) سورة آل عمران : ٧١ ، ٧٢

(2) سورة آل عمران : ٧٣

(3) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٩، ٣٧٠

لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] وقال الله في شأن بني إسرائيل بعد أن بين ألا يطمع المسلمون في إسلامهم : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي أتحدثون أتباع محمد بما عرفتموه في التوراة من أخباره لتكون لهم الحجة عليكم به ، ونسوا أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[2] .

١٢٣ ـ وكان منافقوهم إذا أتوا النبي ﷺ قالوا : آمنا ، والحقيقة أنهم دخلوا عند النبي بالكفر ، ولم تتفتح قلوبهم للهدى ، ولم يخشعوا للذكر ، ويخافوا العذاب ، فخرجوا بالكفر كما دخلوا به ، والله أعلم بما أسروا وكتموا .
﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[3]

١٢٤ ـ حاول اليهود هذه المرة ـ أن يوقعوا بين المسلمين من أهل الأوس والخزرج ليشفوا غليل نفوسهم ، فلطالما فتنوهم وعملوا بالوقيعة بينهم ، فلما جاء محمد عليه السلام جعلهم إخوة متحابين .

وقام بهذا التدبير الشنيع يهودي عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، اسمه « شاس بن قيس »[4] ساءه اجتماع الأوس والخزرج ، في ظل الاسلام ، فقال : لقد اجتمع ملأ بني الأوس والخزرج بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار ، ثم أمر شابا من اليهود أن يشعلها نارا ، وذلك بأن ينـدس بينهم ، ويذكرهم « يوم بعاث » وما كان قبله وهو يوم اقتتلت فيه القبيلتان ، وكان الظفر للأوس ، وقتل فيه كثيرون .

---

(١) سورة البقرة ٨ ـ ١٥
(٢) سورة البقرة: ٧٦ ، ٧٧
(٣) سورة المائدة : ٦١
(٤) سيرة ابن هشام ٢/٣٩٦

١٢٥ ـ واستطاع الشاب إشعال نار الفتنة ، حتى تواعدوا بالظاهرة ، وحمل كل فريق السلاح وخرجوا إليها .

وعلم بذلك الرسول ، فهب مسرعا فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم وقال : يا معشر المسلمين « الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للاسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ؟ »

فعرف القوم أنها نزعة شيطان ، فألقوا السلاح وتعانقوا ، وعادوا مع الرسول طائعين مطيعين ، فأنزل الله في شأن هذا اليهودي وفيمن تخاصموا من الأوس والخزرج : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١)

١٢٦ ـ وهكذا فشلت مؤامرة اليهود الدنيئة ، التي دبروها للايقاع بين المسلمين ، ولكن شدة كراهيتهم للمسلمين ، وشدة حسدهم للرسول عليه السلام ، والذي بينه القرآن الكريم في قوله : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٢)

كل هذا جعلهم يسعون بشتى الطرق لصرف المسلمين عن دينهم ، حتى إننا لنرى نفرا من أحبارهم يقولون(٣) لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر ـ رضي الله عنهم ـ بعد وقعة أحد : ألم تروا ما أصابكم ، ولو كنتم على الحق ما هزمتم ، فارجعا إلى ديننا ، فقال عمار : إني عاهدت الله تعالى : ألا أكفر بمحمد عليه السلام ما حييت ، وقال حذيفة : قد رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبالقرآن إماما ،

---

(١) سورة آل عمران ٩٨ ـ ١٠١

(٢) سورة البقرة : ١٠٥

(٣) حاشية الجمل على الجلالين : ١/ ٩٤

وبالكعبة قبلة . . . . ثم أخبروا الرسول عليه السلام بذلك فنزل قوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]

وقد طلبوا[2] من معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ مثل ذلك ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]

١٢٧ ـ ومن لؤم بني إسرائيل وتبجحهم ، أن حاول جماعة منهم فتنة الرسول ، وصرفه عن تطبيق ما نزل عليه من أحكام القرآن الكريم .

روى[4] ابن اسحق عن ابن عباس قال : قال كعب بن أسيد ، وعبد الله بن صوريا ، وشاس بن قيس : اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فجاءوه فقالوا : يا محمد : إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين قومنا خصومة ، فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ، فأبى ذلك عليه السلام ، وأنزل الله فيهم : « وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ » أي فان أعرضوا عما جئت به من الهدى ، ورأيت أنا لم نهلكهم ، فاعلم أن الله يريد أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم في الدنيا ، وسيعاقبهم على بقيتها في الدار الآخرة.ثم وبخهم الله عز وجل حيث أرادوا حكم الجاهلية ـ من المداهنة والميل ـ وعدلوا عن حكم الله ، وهو أحسن الحاكمين : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[5]

---

(١) سورة البقرة : ١٠٩

(٢) حاشية الجمل على الجلالين : ١/ ٢٨٥

(٣) سورة آل عمران : ٦٩

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٧ ، أسباب النزول ٢/ ٧٣ ، حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٤٩٩

(٥) سورة المائدة ٤٩ ، ٥٠

١٢٨ ـ ولم يتورع بنوا إسرائيل أن يؤذوا رسول الله ـ الذي أكرم جوارهم ـ بالقول كما عملوا جهدهم على صرف الناس عنه .

فهذا(١) رفاعة بن زيد بن التابوت ، الذي كان معدودا من عظماء اليهود وأحبارهم يكلم رسول الله ، فيلوى لسانه ويقول : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ، ثم يطعن في الاسلام ، ويدعو على الرسول بعدم السماع ـ إما لصمم أو لموت ـ ويقول له : راعنا من الرعونة ، فيقول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣).

وعلم الله المؤمنين ألا يقولوا مثل هؤلاء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٤).

١٢٩ ـ وكان اليهود وأذيالهم من المنافقين ، إذا قدموا على النبي قالوا له : السام عليك يا محمد ، والسام هو : الموت والهلاك ، وكان عليه السلام يسمع حقيقة ما يقولون ، فيرد عليهم بقوله : ( عليكم ) .

ومرة سمعتهم السيدة عائشة رضي الله عنها ، فغضبت وقالت : بل عليكم السام واللعنة ، فلم يرض عليه السلام أن تستعمل ألفاظا مثل ألفاظهم ، وأراد لها أدب الخطاب حتى مع السفهاء والأعداء فقال لها : ( مهلا يا عائشة ، إن الله يكره فاحش الكلام ، بل قولي لهم مثلما قلت : ( عليكم ) واسكتي(٥) )

وكانوا أيضا يتناجون بما يؤذي المؤمنين ، فكان المسلم إذا قرب منهم سكتوا ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٠ ، ٤٠١ .
(٢) سمعنا قولك وعصينا أمرك ، وراعنا : كلمة سب في لغتهم .
(٣) سورة النساء ٤٤ ـ ٤٦ .
(٤) سورة البقرة ١٠٤ .
(٥) تفسير ابن كثير : ٤/٣٣٣ .

وفي ذلك من الريب والشك ما يحزن المؤمنين ، فنهاهم الرسول عن المناجاة بالأثم ، وكانوا يقولون : لو أن محمدا رسول حقا ، فلم لا يعذبنا الله بدعائنا عليه فنزل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(1).

١٣٠ ـ ومن إرجافهم ما قالوه عن الرسول ﷺ فقد عيروه(2) بكثرة نسائه ، وقالوا : ما لهذا الرجل هم إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النساء فرد الله عليهم ، بأن الله أرسل رسلا قبل محمد عليه السلام ، وجعل لهم أزواجا وذرية فلم ينكر ذلك عليهم أحد ، ولم يشغلهم أمر نسائهم وأولادهم عن أمر النبوة،وكانوا قد طلبوا من الرسول آيات ، فبين سبحانه أن الآيات بإذن الله ، وليست في وسع الرسول ولا أي رسول إلا بإذن ربه .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(3) .

١٣١ ـ ومن جملة كيدهم للاسلام ، وإيذائهم للمسلمين ، استهزاؤهم بالدين والصلاة ، فيروى(4) عن الكلبي : أن منادى رسول الله ﷺ ـ كان إذا نادى إلى الصلاة ـ وقام المسلمون إليها ، قالت اليهود : قد قاموا وصلوا لا صلوا ، ويضحكون على سبيل الاستهزاء .

وكان لا يزال هناك ـ من طيبي القلب من المؤمنين ـ من يحفظ لهم حق الجوار ، فنهاهم الله عن أن يتخذوا هؤلاء المستهزئين بالدين أولياء ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(5).

(1) المجادلة ٨ .

(2) تفسير القرآن الكريم ١٣/ ٧٨ .

(3) الآية ٣٨ الرعد .

(4) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٥٠٤ .

(5) المائدة ٥٧ ، ٥٨ .

عداوتهم للملائكة :

١٣٢ ـ ومن أباطيلهم ما قالوه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم مر بهم فسألوه : من يأتي صاحبك بالوحي ؟ فقال : جبريل عليه السلام ، فقالوا : إننا لا نحب جبريل ، لأنه ملك عذاب ، ولذلك لا نؤمن به ، ولو كان الذي يأتيه ميكائيل لآمنا به واتبعناه ، لأنه ملك رحمة ، فرد الله عليهم مبينا أن جبريل جاء بالقرآن بإذن الله ، وهذا القرآن مصدق للتوراة والإنجيل ـ وفيه هدى ورحمة : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)

ثم بين سبحانه تبعا لذلك : أن معاداة ملائكة الله معاداة لله سبحانه ، فهم رسله ، ومتبعو أمره ، وأن من عادى جبريل عادى ميكائيل ، وهؤلاء الكافرون الله عدوهم ، ويا ويل من كان الله عدوه : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢) .

سوء الأدب مع الله :

١٣٣ ـ لم ينفك بنو إسرائيل يسيئون إلى المسلمين ويؤذونهم بما يثيرونه من أباطيل ، ويتمردون حتى على خالق الأرض والسماء تمردا استوجب لعنة الله والملائكة والناس ، وان يصلوا عذاب الحريق .

لقد(٣) دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس ، فوجد به كثيرا من اليهود ، قد التفوا حول رجل منهم ، يدعى « فنحاص » وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر يقال له : « أشيع » فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله ، قد جاءكم بالحق ، تجدونه ،مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل ،فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من حاجة ، وإنه إلينا لفقير ، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ـ وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا كما يزعم صاحبك ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا . يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى

---

(١ ، ٢) سورة البقرة ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٣٤/١ وسيرة ابن هشام ٣٩٩/٢ . والمدراس هو بيت عبادة لليهود سمى بذلك لأنهم يتدارسون فيه كتبهم.

يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١)

فغضب أبو بكر رضي الله عنه ، وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال : والذي نفس بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله .

١٣٤ ـ فذهب فنحاص الى الرسول عليه السلام وقال له : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك . فقال الرسول : ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر ؟ فقص عليه ما كان ، وقال : لقد غضبت لله مما قال ، فضربت وجهه فجحد فنحاص ذلك ، فأنزل الله قوله : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾(٢)

ثم قال الله لأبي بكر وللمسلمين ـ لما غضبوا من ذلك ـ ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(٣)

١٣٥ ـ ولما ضيق الله عليهم ـ جزاء كفرهم ـ وصفوه بالبخل الشديد في أقبح عبارة ، فقد طلب رسول الله منهم العون المالي حسب العهد الذي بينهم ، فاعتذروا عن شحهم بهذا القول الفاحش الذي لم يقله غيرهم ـ قال شاس بن قيس ، وفنحاص وغيرهما : إن يد الله مغلولة ، وقد بخل علينا فمن أين نجد ما ننفقه ؟ فرد الله عليهم ولعنهم ، وبين لرسوله أن ما ينزل من القرآن ، سيزيد اليهود طغيانا وكفرا ، وإن اليهود سيلقى الله بينهم العداوة، ومهما عملوا من فتن فإن الله سيبطلها ، وهم سيكونون ـ ما عاشوا ـ ساعين للفساد والله لا يحبهم . ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٤)

---

(١) سورة البقرة ٢٤٥ . ولقد قال المؤمن عند سماع هذه الآية : يالكرم الله ؛ يستقرض منا ما أعطانا !!

(٢) سورة آل عمران ١٨١ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٦ .

(٤) سورة المائدة ٦٤ .

١٣٦ ـ وبعد ما تبين أن اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمؤمنين : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾(١) فقد نهى الله المؤمنين أن يعاملوا اليهود بروح التسامح والمسالمة ، ورعاية حق الجوار ، لأنهم لا يدخرون وسعا في سبيل إفساد ما بينهم ، وإضلالهم ، ويتمنون مشقتهم ، وإن المؤمنين ليرون البغض في أفواه اليهود ، ولكن ما في قلوبهم أكبر ، وإن المؤمنين يحبونهم ، وهم لا يحبون المؤمنين ، ويؤمنون بالقرآن والتوراة وهم يتظاهرون بالأيمان ، ولكن إذا خلوا إلى أنفسهم عضوا الأنامل من الغيظ ثم دعا الله على بني إسرائيل بأن يموتوا بغيظهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٢)

(١) المائدة ٨٢ .
(٢) سورة ال عمران ١١٨ ، ١١٩ .

# الفصل الرابع

## حربهم العسكرية وتطهير الحجاز منهم

* تآمر بني إسرائيل مع المنافقين .
* تآمرهم مع المشركين .
* نقضهم العهد وتطهير المدينة منهم .
* إجلاء بني قينقاع وبني النضير ، ومعاقبة بني قريظة .
* فتح خيبر ومصالحة أهل القرى .
* اضطهاد بني إسرائيل في العالم بعد الإسلام .

١٣٧ ـ لم يزل اليهود يرجفون ويوسوسون ، حتى كانت لهم طبقة من المنافقين ، يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر . وكان هؤلاء المنافقون إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم ـ وهم اليهود ـ قالوا : إنا معكم على الكفر والعداوة لمحمد ، ولكنا كنا نستهزىء بمحمد ومن معه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1]

ولعل في قوله تعالى : « خلوا » ، « إلى شياطينهم » أوضح بيان على أن اليهود هم أصحاب الأثر الأكبر في حركة النفاق ، وعلى التضامن الوثيق بين الفريقين ، « إنا معكم » ضد الدعوة وصاحبها .

وهذا النشاط الخبيث من جانب اليهود كان مبكرا ، فمنذ نزل الرسول عليه السلام المدينة وهم يزاولونه ، وقد استطاعوا في كثير من المواقف ، أن يخذلوا المنافقين عن نصرة الرسول ، وأن يشيعوا جوا من التشكيك والرعب والفزع .

١٣٨ ـ واستطاع اليهود أيضا أن يردوا بعض من آمن إلى الكفر بوسوستهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾[2].

ومن يكره ما نزل الله غير اليهود والمشركين ؟ ونطيعكم في بعض الأمر ـ يعني فيما فيه مخالفة لمحمد ، فنبطن عداوته ، ونظهر مسالمته ، ونعين على معاداته ، ونقعد

---

(١) سورة البقرة ١٤ ، ١٥ .

(٢) سورة محمد ، ٢٥ ، ٢٦ .

عن الجهاد معه ، ونعمل على الفت في عضد أتباعه ، وقد وضح ذلك منهم في أحد والأحزاب .

١٣٩ ـ وقد تمكن اليهود من أن يجعلوا المنافقين عونا لهم ونصيرا ، وأن يظاهروهم على محمد عليه السلام والمسلمين ، حتى قالوا لهم : لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم ، ولئن قوتلتم لننصرنكم ،ولا نطيع في عدم موالاتكم أحدا أبدا ، والله يشهد إن هذا لكذب منهم ، فلن يخرجوا معهم ، ولن ينصروهم .

ومن حكمة الله أن يجعل الجزاء من جنس العمل ، فاليهود حريصون على أن يخذل المنافقون محمدا ، فخذلوهم هم ، ولم ينصروهم ـ ساعة غدروا وأراد الرسول تطهير المدينة منهم ـ .

والله سبحانه يندد بالفريقين ،ويفضح نواياهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(١)

١٤٠ ـ وقد ندد القرآن الكريم بالمنافقين ، لموالاتهم قوما غضب الله عليهم وهم اليهود : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

واذا كان المنافقون يطمعون في العزة والمنعة عند اليهود ـ باتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، فهيهات ان تكون لهم عزة؛ لأنها لله سبحانه ولمن يواليه ويتبع تعاليمه من المؤمنين، يقول الله لنبيه : « ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(٣)

١٤١ ـ ومن أشد ما كان من عداوة بني إسرائيل للنبي والمسلمين مؤازرتهم للمشركين ، وتآمرهم معهم على النبي ، وتحريضهم إياهم على قتال المسلمين في غير ما موقعة ، في أحد والأحزاب ، . . بل وأكثر من ذلك نراهم يقسمون الأيمان

(١) سورة الحشر ١١ ، ١٢ .
(٢) المجادلة ١٤ .
(٣) سورة النساء ١٣٨ ، ١٣٩ .

المغلظة للمشركين ، أن دينهم - وهو عبادة الاصنام والأوثان - أهدى وأخير مما جاء به محمد عليه السلام .

لقد ذهب إلى قريش نفر من اليهود على رأسهم حيي بن أخطب عدو الاسلام الأول - يدعونهم إلى حرب الرسول، وقالوا لهم: سنكون معكم حتى نستأصل محمدا ونقضي على دعوته.

وتم الاتفاق بينهم ، وذهب الوفد وزعماء المشركين إلى فناء الكعبة وألصقوا بها أكبادهم ، وأقسموا عند الأصنام على الوفاء في الحلف ، والجهد في تنفيذه ، ومما يروى أيضا : أن زعماء مكة سألوا اليهود - سؤال المحنق الفزع من انتشار الأسلام - فقالوا : يا معشر اليهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، فما رأيكم ؟ أديننا خير أم دين محمد ؟ وسنحت الفرصة لليهود ليشفوا غيظهم فأجابوا : بل دينكم خير من دين محمد ، وأنتم أولى بالأمر منه[1] .
وإلى هذا يشير قوله تعالى : « ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾[2] .

١٤٢ - وقد نعى الله على بني إسرائيل موالاتهم للمشركين وكتب عليهم لعنته على لسان داود وعيسى بن مريم ، وذلك لعصيانهم وعدوانهم وعدم تناهيهم عن المنكر ، وأشد منكر لهم أن يوالوا الذين كفروا .

وهم بذلك قد استوجبوا سخط الله ، وحق عيهم العذاب ولو كان هؤلاء يؤمنون بالله والنبي وبما أنزل إليه ما والوا المشركين ، ولكن كثيرا منهم فاسق ، وهم مع المشركين أشد الناس عداوة للمؤمنين : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٢ ، ٣/ ٧٠٠

(٢) النساء ٥١ ، ٥٢ الجبت: الشرك وعبادة الأوثان ، الطاغوت الشيطان أو كل ما يعبد من دون الله .

﴿ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾[1] .

١٤٣ ـ لم يقنع اليهود بكل وسائلهم سالفة الذكر ، ضد النبي ودعوته ، من إنكار وجحود وتشكيك ، وعمل متواصل للوقيعة بين المسلمين ، ومحاولة فتنهم في دينهم ، وسوء أدب مع الله والنبي وموالاة للمنافقين والمشركين ـ لم يقنعوا بهذا كله ، بل أرادوا مغرورين بقوتهم أن يقاتلوا الرسول وصحبه ، ونسوا أو تناسوا حسن معاملة النبي لهم ، وموادعتهم ، ونقضوا العهد الذي بينه وبينهم .

ولم يجد الرسول عليه السلام بدا من أن ينزل بالغادرين منهم سوء العقاب .

وقد ذكرت في مطلع الفصل الثالث بالفقرة ( ٦٧ ) أن يثرب كان بها : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة . وذكرت في الفقرة ( ٨٥ ) العهد الذي عاهدهم به النبي عليه السلام ، ولكنهم غدروا وكان لزاما أن يلقوا جزاء غدرهم ، وإليك ما فعلته كل قبيلة حتى استوجبت عقاب النبي لها .

## ١٤٤ ـ بنو قينقاع :

لما نصر الله رسول وصحبه على المشركين في بدر حزن اليهود لذلك أشد الحزن ، حتى قال[2] رجل اسمه : كعب بن الأشرف ، لما سمع بمن قتل من المشركين : أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل أبا جهل وأمية بن خلف ، وعتبة وشيبة ابني ربيعة ، وغيرهم وغيرهم ؟ والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

ولم يكتف عدو الله بهذا ، بل ذهب إلى مكة ، وأخذ يبكي من طرحهم النبي في القليب من المشركين ، ويحرض الجميع على حرب الرسول ويشعلها نارا ضد النبي وأصحابه . وتم له ما أراد فكانت وقعة أحد .

ولم يكف هذا اللعين ما فعل ، بل عاد إلى المدينة معلنا عداوته ، ينال من المسلمين في أخبث الصور ، فقد جعل يشبب بنساء المسلمين ، ويتناولهم باللفظ

---

(١) المائدة من ٧٨ ـ صدر الآية ٨٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٤ وما بعدها .

الجارح ، في شعره ، وتألم الرسول لذلك فقال لأصحابه : من لي بابن الأشرف هذا ؟ فقال له محمد بن مسلمة رضي الله عنة أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله وان

اعتصم بأعلى الحصون. وليس له بعد التشبيب بنساء المسلمين، وتحريض المشركين على قتال المسلمين، ونقضه بذلك العهود والميثاق إلا القتل. وقد استطاع ابن مسلمة رضي الله عنه ـ مع أصدقاء له ـ أن يدبروا حيلة قضوا بها على رأس من رؤوس الفساد والشر.

١٤٥ ـ ورأى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الحزم لعله يكسر غرورهم ، ويحطم تمردهم ، فذهب[١] الى بني قينقاع ، وجمعهم بسوق بالمدينة ثم خاطبهم قائلا : يا معشر يهود . احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا ، فانكم قد علمتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم .

فرد اليهود في عناد وغرور : يا محمد إنك ترى أنا قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا ـ والله ـ إن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

ونزل القرآن ينذرهم بالهزيمة والعذاب ويريهم موطن العبرة في هزيمة قريش يوم بدر رغم كثرة عدد المشركين: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٢]

١٤٦ ـ ولم يرتدع اليهود بما حدث لكعب ، ومن قبله لقريش ولم ينفعهم وعيد ولا نذير ، بل دفعهم غرورهم إلى أن يفعلوا ما هو أدنأ من هذا .

لقد قدمت[٣] امرأة من المسلمين إلى سوق بني قينقاع ، ثم جلست إلى صائغ منهم لتشتري حليا ، فجعل اليهود يرغمونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٠، ٥٦١.
(٢) سورة آل عمران ١٢، ١٣.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦١

الصائغ في وقاحة إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ـ دون أن تشعر ـ فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا منها ساخرين ، فصاحت مستغيثة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

١٤٧ ـ فلم يجد عليه السلام بدا من أن يضع حدا لتمردهم وشرودهم ، فحاصرهم وضيق الخناق عليهم . وحاول عبد الله بن أبي ـ رأس المنافقين ـ أن ينصرهم ، وأنى له ذلك ؟ فلم يستطع ولم تقبل شفاعته ، وتقدم عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى الرسول ، وكان بينه وبين بني قينقاع عهد ـ فأعلن براءته من حلف هؤلاء اليهود الذين نقضوا العهد وخانوا الجوار[١] .

وإلى نقضهم العهود يشير قوله تعالى : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

ولقد روى ابن سعد[٣] : أنه لما كانت وقعة بدر أظهر بنو قينقاع البغي والحسد ، ونبذوا العهد وكانوا أشجع اليهود ، فأنزل الله : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[٤]. فقال رسول الله : أنا أخاف بني قينقاع ، فسار إليهم بهذه الآية .

١٤٨ ـ ورأى عليه السلام إخراجهم من المدينة ، ولكنه أراد أن يلزمهم الحجة ، فعرض عليهم الاسلام ـ كما سبق ـ فلم يثوبوا الى رشدهم ويقلعوا عن سفههم وتمردهم ، ويعلنوا المحافظة على العهد .

حاصرهم صلوات الله عليه خمس عشرة ليلة في حصونهم حتى رأوا الهوان فخضعوا لحكمه ، ونزلوا على إرادته ، ورجوه أن يخلي سبيلهم على أن يجلوا عن المدينة ، ويأخذوا معهم النساء والذرية ، ويتركوا بقية الأموال والسلاح وآلات

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٢
(٢) سورة البقرة ١٠٠ .
(٣) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٩
(٤) الانفال ٥٨ .

الصياغة ، وغيرها لمحمد ﷺ والمسلمين .

وقبل صلوات الله عليه ذلك وأخلى سبيلهم بهذه الشروط ، فخرجوا صاغرين من المدينة الى أذرعات بأرض الشام[1] » .

## ١٤٩ ـ بنو النضير :

لقد كان بنو النضير أسوأ حالا من بني قينقاع وأكثر شرا ،فلم يرعووا مما كان لبني قينقاع ، ولم يحفظوا عهد رسول الله الذي أكرم جوارهم وحدثت منهم عدة أشياء ، تكفي الواحدة منها لشن حرب عليهم فهم أهل لؤم وغدر وخداع . . .

١ ـ لما خرج المشركون لحرب النبي والمسلمين في أحد طلب الرسول عليه السلام منهم ـ بحكم العهد ـ أن يساعدوه بالمال فقالوا : إن يد الله مغلولة وقد بخل علينا فمن أين نجد ما ننفقه ـ كما سبق ف ـ ١٣٥ .

٢ ـ لم يكتفوا بهذا بل أخذوا يحرضون الأنصار الا يسهموا بأموالهم في سبيل الله ، ويقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم ، فانا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ، ولا تسارعوا في النفقة ، فانكم لا تدرون علام يكون[2] ؟ ـ يعني علام تكون الدائرة ـ فأنزل الله فيهم قوله « ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[3].

وقد حاولت كتيبة من اليهود أن تشترك مع النبي فرفض ، وما كانت تريد الا تخذيل المسلمين ومؤازرة المنافقين والمشركين ، رفض النبي عليه السلام اشتراكهم لأنه يرى بنور الله ، وقال : إنا لا نستعين بكافر على مشرك .

## ١٥٠ ـ محاولتهم قتل الرسول :

في هذه المرة عاود بني إسرائيل فسق وفجور أسلافهم الذين قتلوا زكريا وولده يحي عليهما السلام ، وحاولوا قتل سيدنا عيسى لولا أن نجاه الله من شرهم .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٢ وأذرعات كما في معجم البلدان١/١٦٢ : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء في عمان .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢/ ٤٠٠

(٣) سورة النساء ٣٧ .

وهاهم أولاء اليوم يحاولون قتل الرسول الكريم :

قدم[1] على المدينة أبو براء عامر بن مالك ، وعرض عليه الرسول الاسلام ولم يسلم ، وطلب من الرسول أن يرسل رجالا من أصحابه الى أهل نجد ليدعوهم إلى الاسلام علهم يستجيبون ، فقال الرسول عليه السلام : إني أخشى عليهم من أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا جار لهم ، فقبل الرسول وبعث أربعين رجلا من خيار المسلمين ، على رأسهم المنذر بن عمرو حتى نزلوا « بئر معونة » وبعثوا رجلا منهم اسمه « حرام بن ملحان » بكتاب رسول الله ، الى عدو الله والرسول : عامر بن الطفيل زعيم بني عامر ، يدعوه إلى الاسلام ، فقتل عامر حراما ، ثم استصرخ على أصحابه قبيلة بني عامر فأبوا ، لأنهم عاهدوا أبا براء الا يعتدوا على المسلمين ، فاستصرخ قبائل بني سليم فأجابوه ، وقتلوا المسلمين جميعا إلا واحدا استطاع أن يفلت ويخبر الرسول .

وأنبأت الطير تحوم حول الجثث عمرو بن أمية الضمري ، ورجلا من الانصار بمصاب المسلمين ومصرعهم ، وأدركا عامرا ومن معه فقاتلاهم حتى قتل الانصارى ، وأخذ عمرو أسيرا ، ثم أطلق عامر سراحه ، وتوجه إلى المدينة يضمر الانتقام والثأر للمسلمين ، حتى إذا كان بمكان يسمى « القرقرة » على مقربة من المدينة ـ لقيه رجلان من بني عامر ـ كان الرسول أعطاهما عهدا وأمانا وجوارا ، ولم يعلم بذلك عمرو ـ فتغفلهما وقتلهما ـ أخذا بثأر واحد وأربعين من المسلمين .

ولما علم الرسول بذلك تألم ، وأخذ يجمع دية القتيلين . . . .

١٥١ ـ توجه عليه السلام إلى يهود بني النضير ، يطلب منهم ـ بحكم العهد ـ المعونة في دية القتيلين ، فتظاهروا بتلبية رغبته وقالوا له : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم إلى بعض ـ في غدر وخسة ودناءة ـ وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، وكان عليه السلام يجلس إلى جانب جدار من بيوتهم ، فمن رجل منكم يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فتقدم منهم عمرو بن حجاش[2] بن كعب قائلا : أنا لذلك ، ثم

---

(١) سيرة بن هشام ٣/ ٦٧٨ ، ٦٧٩

(٢) المرجع السابق. ٣/ ٦٨٢ ، ٦٨٣

صعد ليلقي الصخرة على الرسول ، وكان معه أبو بكر وعمر وغيرهما .

وأخبر الله رسوله بما أراد القوم ، فهب راجعا إلى المدينة وتبعه أصحابه . .

وحفظ الله رسوله من كيدهم كما حفظه من كيد أبي سفيان ـ في مؤامرة قتل كهذه ـ وإلى هذا يشير قوله تعالى[1] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2] وهنا أمر الرسول أصحابه بالتهيؤ لحرب بني النضير والسير اليهم .

١٥٢ ـ حاصر النبي بني النضير في أول الأمر ست ليال فتحصنوا منه في الحصون ، يظنون أنها ستمنعهم من الله ، فأمر الله الرسول بقطع بعض نخيلهم وتحريقها ، ليلقي الرعب في قلوبهم ، فشق ذلك عليهم ، فقالوا يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الإصلاح ؟ أفمن الإصلاح قطع النخيل وحرق الشجر ؟ فلم يلتفت إليهم الرسول ، لأنه لايفعل شيئا إلا بإذن الله ، ثم أمر النبي أصحابه بالكف عن قطع النخيل ، ونزل ما يؤكد أن القطع والترك بيد الله ، ليخزي اليهود الآثمين : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[3] .

١٥٣ ـ ظل عليه السلام محاصرا لهم حتى طال الحصار خمسا وعشرين ليلة ، وقذف الله الرعب في قلوبهم ، فتوسلوا إلى الرسول أن يسمح لهم بالجلاء ، وأن يكف عن دمائهم على أن يأخذوا معهم ما تستطيع إبلهم حمله من مال ، وأن يتركوا الأرض والنخيل والسلاح .

وقبل عليه السلام ذلك فخرجوا يحملون ما يستطيعون حمله من أنقاض بيوتهم ـ بعد أن خربوها ـ على ظهور إبلهم ، وكان لكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا ، وتفرقوا فمنهم من قصد خيبر ، ومنهم من قصد الشام .

١٥٤ ـ ونزل في يهود بني النضير سورة الحشر ، وفيها يبين الله سبحانه أنه أخرج بني النضير من ديارهم لأول جمع وأول لقاء بين المسلمين وبينهم ، ولشدة

(١) أسباب النزول ٧٠/٢

(٢) سورة المائدة ١١

(٣) الحشر ٥

حصونهم ما ظن المسلمون خروجهم وظنوا »هـم أن حصونهم ستمنعهم ، فقذف الله الرعب في قلوبهم ، فخربوا بيوتهم بأيديهم من الداخل ، حتى لا يدعوها عامرة للمسلمين ، وحملوا المسلمين على تخريبها من الخارج لينفذوا إليهم ـ فهم سبب هذا وذاك ـ وتدعو الآياتُ ذوي العقول والألباب أن يتعظوا ، ولولا قضاء الله عليهم بترك ديارهم ـ لعذبهم في الدنيا بالقتل كما عذب قريشا يوم بدر ، ومع نجاتهم من عذاب الدنيا فلهم في الآخرة عذاب جهنم ، وذلك لأنهم عادوا الله ورسوله ومن يعاد الله فانه شديد العقاب : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1]

١٥٥ ـ وقد أرسل عبد الله بن أبي[2] بن سلول رئيس المنافقين الى بني النضير يقول لهم : قاتلوا محمدا ، ولا تخرجوا ، ولكم علينا إذا أكرهتم على الخروج أن نخرج معكم ، وإذا طلب إلينا أن ننضم إلى محمد في قتالكم فلن نطيع ، وإذا قاتلكم فسنقاتل معكم ، والله يعلم كذب المنافقين ، فلن يخرجوا معهم ، ولن ينصروهم ، ويعلم كذلك أنهم جميعا ـ المنافقون ويهود بني النضير ـ يخافون المؤمنين أكثر من خوفهم لله ، فيخشون عاجل الشر في الدنيا ، ولا يخشون عقاب الله في الآخرة ،وهم لا يقاتلون إلا مجتمعين في قرى محصنة ، أو من وراء جدر ، فلا يقدرون على مواجهة جيش جبنا وضعفا ، ولا ترى لهم بأسا وشدة إلا في معاداة بعضهم بعضا ، أو مخاصمة بعضهم بعضا ، وإن قلوبهم لمتنافرة ، وأهواءهم لمتفرقة ـ على الرغم من ظهورهم بمظهر التجمع ـ ومثل هؤلاء كمثل كفار قريش ـ يوم ذاقوا وبال أمرهم في بدر ـ وكمثل بني قينقاع ،يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً

(١) سورة الحشر ٢ ـ ٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣/ ٦٨٣ ؟

فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

## ١٥٦ - بنو قريظة :

كان بنو قريظة مستضعفين قبل مقدم النبي عليه السلام إلى المدينة فكان بنو النضير يبغون عليهم ، وينزلونهم منزلة دون منزلتهم ، ومن هذا أنهم كانوا يجعلون دية الواحد من بني قريظة نصف دية الواحد من بني النضير ، فشكوا هذه التفرقة للنبي ، فسوى بينهم في الديات والدماء ، وصان لهم كرامتهم .

فهل عرفوا هذا الجميل للرسول ، وحفظوا عهده ، وساعدوه على عدوه ، أووقفوا منه على الأقل موقف الحياد ؟ لم يكن هذا ولا ذاك ، وإنما كان غدر ولؤم ونقض للعهد دون اتعاظ بما جرى لبني قينقاع أو بني النضير .

١٥٧ - سبق أن قلت[2]: إن جماعة من اليهود ذهبوا إلى مكة وتعاهدوا مع المشركين على حرب الرسول ، وأن هذه الجماعة وعلى رأسهم حيي بن أخطب أقسموا على صدق عهدهم ، وقالوا للمشركين : إن دينكم خير مما جاء به محمد .

ذهب هذا النفر من اليهود إلى غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب الرسول ، وأخبروهم أنهم هم وقريشا سيكونون معهم ، فقبلت غطفان ، وانضم إليهم - بتحريض اليهود - بنو مرة وبنو أشجع وبنو سليم وبنو أسد وغيرهم من قبائل العرب .

وتجمعت الأحزاب في عشرة آلاف مقاتل ، وأراد حيي بن أخطب اليهودي أن يكمل المؤامرة ، فتوجه إلى حليفه في الشر : كعب بن أسد سيد قبيلة بني قريظة ، وحرضه على نقض العهد مع محمد ، والانضمام إلى قريش والأحزاب ، فقبل ذلك

---

(١) سورة الحشر ١١ - ١٥

(٢) الفقرة : ١٤٠

ونقض بمن معه من بني قريظة عهد[1] رسول الله ﷺ . . .

وأرسل عليه السلام زعيمي الأوس والخزرج سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة إلى محلتهم ، وكانت وراء بيوت عرب المدينة ، فأتياهم فوجداهم على أشر وأخبث ما بلغهم ، حتى نالوا من رسول الله وقالوا : من رسول الله ؟ وأنكروا العهد ، وجعل سعد بن معاذ ـ وكان حليفهم ـ يشاتمهم فشتموه ، فقال له ابن عبادة : دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة[2] .

ولم يشأ عليه السلام أن يفاجىء المسلمين أو يطلعهم على ذلك حتى لا يفت في عضدهم ، بل قال عندما أخبروه : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين.

١٥٨ ـ ويبين القرآن الكريم أنهم شر الدواب عند الله لنقضهم العهود ، ويدعو الرسول عليه السلام الى التنكيل بمن ظفر به منهم في القتال ، حتى يخاف غيرهم من الأعداء : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ[3] وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[4]

١٥٩ ـ جاءت الأحزاب ، ومنعها من دخول المدينة الخندق الذي حفره الرسول والمسلمون بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه .

ووقع المسلمون بين نارين: الأحزاب الذين أتوا من كل جهة وبنو قريظة الذين نقضوا العهد، حتى كانوا كالحبة بين فكي الرحى :﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠[5] ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[6]

---

(١) محمد واليهود ١١٨

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٧٠٦

(٣) عاهدهم الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يمالئوا عليه أحدا ، فأعانوا المشركين فذكرهم فقالوا نسينا ، ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا مع مشركي مكة يوم الخندق . تفسير القرآن الكريم ١٠/ ١٧ ، ١٨ ، محاسن التأويل ٨/ ٣٠٢٠ ، تفسير البيضاوي ٢٤٣ .

(٤) سورة الأنفال:

(٥) ظن المؤمنون ثابتو القلوب : أن الله منجز وعده ، وظن المنافقون : أن الله سيخذلهم .

(٦) سورة الأحزاب ١١ ، ١٢

١٦٠ ـ وطال حصار المشركين للمدينة بعد أن حاولوا اقتحام الخندق فلم يفلحوا ، وظلوا كذلك حتى أوقع الله بين صفوفهم بفضل نعيم بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

وذات ليلة أرسل الله ريحا اقتلعت خيامهم ، وأكفأت قدورهم ، ففروا لا يلوى أحد على أحد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[1] ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾[2]

١٦١ ـ ورجع عليه السلام وصحبه إلى بيوتهم بعد أن رد الله عدوهم ، ووضع الناس السلاح ، « وبينما[3] رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء تلك المرابطة ـ في بيت أم سلمة رضي الله عنها ـ إذ تبدّى له جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : لكن الملائكة لم تضع أسلحتها . . . ثم قال : إن الله تبارك وتعالى ، يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة ، وكان ذلك بعد صلاة الظهر ، فأمر عليه السلام مناديا فنادى : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة »

١٦٢ ـ خف عليه السلام هو وأصحابه حتى أتوا بني قريظة ، وقدم الرسول عليا برايته فلما دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة ضد النبي عليه السلام ، فرجع على رضى الله عنه ولقي الرسول عليه السلام بالطريق فقال له : يا رسول الله ما نرضى أن تدنو من هؤلاء الاخابث ، قال النبي : لم ؟ ، أظنك سمعت منهم لي أذى ؟ قال علي : نعم ، قال عليه السلام : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا ، فلما دنا عليه السلام من حصونهم قال : يا إخوان القردة : هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته ؟ فأجابوه في ذلة وخبث : يا أبا القاسم ما كنت جهولا[4] .

---

(١) سورة الأحزاب ١٠

(٢) سورة الأحزاب ٢٥

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٧

(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ٧١٦

١٦٣ ـ وحاصرهم صلوات الله عليه خمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقيل لهم انزلوا على حكم رسول الله ، فاستشاروا أبا لبانة بن عبد المنذر ، فأشار اليهم : أنه الذبح ، قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فقبل عليه السلام ذلك ، وجيء بسعد بن معاذ رضي الله عنه ، وجعل قومه يشفعون لهم ، فلم يرد عليهم حتى إذا دنا من دورهم قال : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم أتى الرسول فقال له : ( احكم فيهم ) فقال سعد : أحكم فيهم أن تقتل مقاتليهم، وتسبى ذراريهم ونساءهم ومستضعفيهم، وتقسم أموالهم ، فقال عليه السلام : لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله ، ونفذ فيهم عليه السلام الحكم وكان قبل أن يقتل الواحد منهم يعرض عليه الاسلام ، فإن قبله حقن دمه ، ولم يقبله منهم إلا ثلاثة ، فأمنهم رسول الله ﷺ على أنفسهم وأهليهم وأموالهم .

١٦٤ ـ وكان عمرو[1] بن سعد ـ من بني قريظة ـ على غير رأيهم في نقض العهد مع الرسول والمسلمين ، فأطلق سراحه ، وذهب إلى حيث لا يعلم أحد بمكانه ، فقال عليه السلام : ذاك رجل نجاه الله بوفائه وكان رفاعة بن السموءل قد استجار بأم المنذر الأنصارية ، فاستوهبته رسول الله ﷺ فوهبه لها ، فأسلم .

وكان الزبير بن باطا القرظي ، قد من على ثابت بن قيس الأنصاري حيث أطلق سراحه بعد أسره يوم بعاث ، فأراد ثابت أن يكافئه عن يده ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ واستوهبه دمه ، فأجاب الرسول طلبته ، فلما علم الزبير ما فعل ثابت قال له : شيخ كبير مثلي ، لا أهل له ولا ولد ، ماذا يصنع بالحياة ؟ فاستوهب ثابت رسول الله دم امرأته وأولاده ، فوهبه له ( يعني الفكاك من الاسترقاق والأسر فلا يقتل إلا المحارب ) . ثم استوهبه ماله ، فوهبه له .

فلما اطمأن الزبير إلى أهله وولده وماله ، سأل عن كعب بن أسد ، وحيي ابن أخطب ، وعن زعماء بني قريظة ، فلما علم أنهم قتلوا ، ، قال : يا ثابت إني أسألك بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فضربت عنقه بمشيئته .

---

(١) المرجع السابق ٧١٦/٣

وقد قال حيي بن أخطب حين قدم ليقتل لرسول الله ﷺ : والله ما لمت نفسي في عداوتك .

وهكذا لقى الغادرون الخائنون جزاء عادلا من جنس جرمهم ، فقد كانوا يعتزمون استئصال شأفة المسلمين ، ثم إنهم لو أجلوا - كما حدث لغيرهم - لألبوا المشركين ثانية ، فهم لن تهدأ نفوسهم حتى يفنوا محمدا وأصحابه ، فالمسألة إذا مسألة حياة أو موت . ثم ما الذي منعهم من الدخول في الاسلام وحقن دمائهم ؟؟

وقد أراد الله عز وجل أن يفني هؤلاء ليحيا المسلمون ولتنتشر دعوة الخير ويعم نفعها ، ولا راد لمشيئته سبحانه .

وإلى هذا كله يشير قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[1]

## ١٦٥ - فتح خيبر :

لما طهر النبي عليه السلام المدينة من رجس اليهود وخبثهم ، وقضى على شرورهم ، جماعة بعد جماعة ، وكان صلوات الله عليه ينزل بكل فريق ما يستحقه جزاء غدره .

وبعد القضاء على آخرهم ، وهم ، بنو قريظة ، وبعد صلح الحديبية كان لزاما أن يتم عليه السلام عملية التطهير ، فأعد جيشا وتوجه إلى خيبر وما إليها ليقضي على من بقي من اليهود حتى يستريح من شرورهم ، ويفرغ لدعوته وكفاحه ضد قريش وحلفائها ، ولم يكن يهود خيبر بأقل خطرا من سابقيهم ، ولا كان أذاهم للرسول والمسلمين بأقل من أذى إخوانهم ، فقد كان زعيمهم أو ملكهم حيي بن أخطب على رأس الوفد الذي ذهب إلى مكة لعقد الحلف مع زعمائها ، وهو الذي أغرى كعب بن أسد زعيم بني قريظة بنقض العهد مع المسلمين .

١٦٦ - توجه عليه السلام في ألف وستمائة[2] من أصحابه الى خيبر ، في السنة

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٦ ، ٢٧ ، صياصيهم : حصونهم .

(٢) تفسير القران الكريم ٢٦/٧٢

السابعة للهجرة ، حتى أتاها ليلا ، فلم يغر عليهم ، وإنما تركهم حتى الصباح .

وفي الصباح غدا عمال خيبر إلى أعمالهم فلما رأوا الرسول وصحبه قالوا : محمد والخميس معه ، ثم أدبروا هربا فقال عليه السلام : الله أكبر ، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[1] »

ونزل عليه السلام بواد يقال له : ( الرجيع ) بين اليهود وبين مواليهم من أسد وغطفان ، حتى يمنعهم من إمدادهم ونصرتهم ، وقد جاءوافعلا لمساعدة أهل خيبر ، فلما رأوا النبي محاصرا لها ألقى الله الرعب في قلوبهم فولوا الأدبار .

١٦٧ ـ وكان بخيبر كثير من الحصون المنيعة ، مما جعل اليهود يقاومون مقاومة عنيفة ، حتى أبلى المسلمون بلاء حسنا ، وفتحوها حصنا حصنا ، واستغرق الفتح شهرا ونيفا ، وأصابوا ما بها من أموال وغنائم ، وكانت كثيرة .

ولما تم الفتح للنبي عليه السلام ، وحاق بالأشرار من اليهود سوء صنيعهم ، وأجلى الخطرون منهم ، دعا عليه السلام من بقي ممن لا خطر منه وقال لهم : إن شئتم دفعت إليكم هذه البساتين ، على أن تعملوا فيها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم فقبلوا فرحين . وكان عليه السلام يرسل إليهم عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل بينهم .

١٦٨ ـ وإلى هذا يشير قوله تعالى في سورة الفتح : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[2]

فالمؤمنون الذين بايعوا الرسول في الحديبية ، ثبت الله قلوبهم وجازاهم فتحا قريبا هو فتح خيبر ، ومغانم كثيرة هي مغانمها ، وقد وعدهم الله مغانم كثيرة فعجل مغانم خيبر ، وصرف أسد وغطفان عن حربهم ، بإلقاء الرعب في قلوبهم .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٧٩٣ ،

(٢) سورة الفتح الآيات : ١٨ ـ ٢٠ .

ولعل في نصر المسلمين وهزيمة اليهود ، والقاء الرعب في قلوب أعوانهم خير دليل على أن المسلمين في رعاية الله وعلى صدق الرسول فيما وعد به ، وطريقا الى التمسك بالهدى واليقين .

## ١٦٩ - أهل القرى :

ثم انصرف عليه السلام بعد ذلك إلى أهل القرى ، وكان في بعضها حصون كحصون خيبر ، فقاوم أهلها بعض المقاومة ، ولكن أمرهم صار إلى ما صار إليه أمر خيبر ، وألقى الله الرعب في قلوب أهل فدك وتيماء فأرسلوا الى النبي عليه السلام يصالحونه على نصف أملاكهم ، ويعاهدونه على المسالمة .

وإلى هذا يشير - ضمنا - قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] .

## ١٧٠ - إخراج بقية اليهود من الحجاز :

وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما » وقد وجد بأرض خيبر أنصاري مقتول على عهد رسول الله ﷺ ، فكتب عليه السلام إليهم : إنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، فوداه رسول الله ﷺ من عنده[3] وروى ابن إسحق[4] عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فعدى علي تحت الليل وأنا نائم على فراشي ، ففدعت يداي من مرفقيّ ، فلما أصبحت استصرخ عليّ صاحباي ، فأتياني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدري ، فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر رضي الله عنه فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيبا ، فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ ، كان عامل يهود خيبر ، على أنا

(١) سورة الحشر صدر الآية ٧

(٢) كتاب الجهاد ، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب

(٣) سيرة ابن ابن هشام ٣/ ٨١٥ ، ٨١٦

(٤) سيرة ابن هشام ٣/ ٨١٧

نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم ، مع عدوهم على الأنصاري قبله ، لا تشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم . فمن كان له مال بخيبر ، فليلحق به ، فإني مخرج يهود فأخرجهم .

وكان في ذلك تمام تطهير الحجاز من هذه الأرومة الفاسدة في جبلتها الخلقية ، والتي كان منها ما كان ، من أذى ومكر وبغي وعدوان .

ومنذ شرد هادريان بني إسرائيل ، وهم يهيمون على وجوههم في كثير من بلدان العالم ، وقد اختلطت دماؤهم بكثير من الشعوب كالألمان ، والأمريكان ، والانجليز ، والاسبان ، ومن إليهم ، حتى ذابوا وسط هذه الأجناس المتعددة .

ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك التاريخ ، ولن تقوم ـ بإذن الله ـ رغم كل المحاولات .

## ١٧١ ـ اضطهاد بني إسرائيل في العالم بعد الاسلام :

في نهاية الجزء الأخير من القرن الثالث عشر توالت الاضطهادات على الشعب اليهودي من دول أوربا .

فقد جاء في كتاب ( اليهود في القرآن[١] ) نقلا عن كتاب ( الفكر اليهودي[٢] ) عن اضطهادات اليهود في إسبانيا والبرتغال ( يرجع اضطهاد العنصر اليهودي إلى فجر العهد الذي تسلمت فيه المسيحية ادارة الشئون المدنية ، اذ ظلت كراهية اليهود لعدة قرون رمزا من رموز الصلاح والتقوى عند المسيحيين ، لقد هاجمتهم جميع الأمم المسيحية فأشبعتهم امتهانا واحتقارا . . . فلم يجدوا ملجأ إلا الأندلس حيث أحاطهم أمراء الاسلام بعطف خاص ، ولكن عندما احتل النصارى الأندلس انهدم هذا الملاذ الوحيد . . . إذ تقرر إخراج اليهود منها ) .

١٧٢ ـ (ففي سنة ١٣٩٠ م ، ألقى واعظ معروف يدعى (هرناندو مارتينز) خطبة مثيرة هاج لسماعها الكاثوليك باشبيلية فهاجموا حي اليهود ، وقتلوا منهم ٤٠٠٠ نفس ، وفي العام التالي وقعت حوادث مماثلة في بلنسيا وقرطبة . . وطليطلة

(١) ص ٨٩ وما بعدها للأستاذ عفيف طبارة

(٢) تأليف ج . هـ . هرتس الحاخام الأكبر للامبراطورية البريطانية ترجمة الدكتور الفريد بلوز .

وبرشلونة جلها بتحريض الواعظ نفسه ، وأخيرا وقعت حرب الأندلس التي كانت تعتبر حربا صليبية . . . فأذكت حمية الدين عند المسيحيين . . . وقد بذل رجال الكنيسة كل جهودهم في سبيل طرد العنصر اليهودي . . . ففي أقل من ثلاثة شهور أرغم جميع اليهود الذين لم يعتنقوا المسيحية على مغادرة البلاد الاسبانية وإلا حكم عليهم بالاعدام .

١٧٣ ـ ( وقد وقع كثيرون منهم في يد القرصان الذين انتشروا حول الشاطىء فجردوهم من أموالهم واتخذوهم عبيدا أرقاء ، هذا ما عدا الذين ماتوا جوعا أو أصيبوا بالطاعون فأهلكهم . . . ثم لجأ ثمانون ألفا إلى البرتغال ارتكانا على وعد ملكها ، ولكن القساوسة الاسبانيين أثاروا الرأي العام في تلك البلاد ، وعمدوا الى إقناع ملك البرتغال بعدم إيوائهم ، فأصدر أمرا يقضي بإبعاد جميع اليهود البالغين أما الأولاد الذين لا تتجاوز سنهم أربعة عشر عاما فقد انتزعوا من أحضان أمهاتهم لكي يربوا وينشأوا على مبادىء الدين المسيحي[1] )

١٧٤ ـ لم يقتصر الأمر على طرد اليهود من إسبانيا والبرتغال فقط ، بل طردوا وشردوا من جميع دول أوربا واليك لائحة هذا الطرد :

في انجلترا : طرد الملك ادوارد اليهود سنة ١٢٩٠ م .

وفي فرنسا : طردهم الملك فيليب الجميل سنة ١٣٠٦ م وسمح لعدد ضئيل منهم بالعودة ولكنهم طردوا ثانية سنة ١٣٩٤ م .

وفي المجر : طردوا سنة ١٣٦٠ م ، ولكنهم ما لبثوا أن عادوا فيما بعد ، وفي سنة ١٥٨٢ م طردوا ثانية .

وفي بلجيكا : طردوا عام ١٣٧٠ م .

وفي تشيكوسلوفاكيا : شردوا من براغ سنة ١٣٨٠ م ، وعاد منهم كثيرون فاستوطنوها سنة ١٥٦٢ م ، وفي سنة ١٧٤٤م طردتهم الامبراطورة ( ماريا تيريزا ) .

---

(١) تاريخ مذهب ناكري الوحي في أوروبا فصل ٦ ص ٢١٥ . وقد أورد هذا النص كتاب ( الفكر اليهودي ) .

وفي النمسا : طردوا سنة ١٤٢٠ م ، على يد الملك ( البريخت ) الخامس .

وفي هولندا : طردوا من أوتريخت عام ١٤٤٤ م .

وفي إيطاليا : طردوا من مملكة نابولي وسردينيا سنة ١٥٤٠ م .

وفي ألمانيا : نفوا من بافاريا سنة ١٥٥١ م ثم كثر اضطهادهم على يد النازيين في الحرب العالمية الثانية ، وأزهقت فيها أرواح مئات الألوف منهم .

وفي روسيا : طردوا سنة ١٥١٠ م . ثم عادوا تدريجيا إليها متعرضين لأنواع شتى من الاضطهادات ، وأبرزها الاضطهاد الذي حصل في أوكرانيا طيلة عام ١٩١٩ م .

وجاء في كتاب ( الفكر اليهودي ) بشأن هذا الاضطهاد : ( لقد ذبح أكثر من مائة ألف يهودي ـ رجالا ونساء وأطفالا ـ وأهرقت دماؤهم في الشوارع . ارتكب تلك الأعمال جنود غير نظاميين تحت إمرة القائدين : ( دنكين وتبلورا ) ، وقد أسكرتهم حمرة الدماء فابتكروا وسائل تعذيب شيطانية )[1]

١٧٥ ـ وإن أهم الأسباب التي من أجلها اضطهدت هذه الشعوب بني إسرائيل : هو عدم اندماجهم بها ، وعدم إخلاصهم ووفائهم لمن استضافوهم ، وظنهم العقيم بأنهم شعب يمتاز عن بقية الشعوب ، ( كما يسمو الانسان على الحيوان ، كذلك يسمو اليهودي على باقي أهل الأرض ذوي الطبيعة البهيمية[2] ) وأنهم يحق لهم اغتصاب حقوق غيرهم ، فقد جاء في تعاليم التلمود : ( إن أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهودي أن يتملكه « وان » الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات وحياة كل الشعوب[3] )

١٧٦ ـ وتعطشهم لسفك الدماء وشربها ، وأكل الفطير المعجون بها ، وأكل شرائح من لحم الضحية وسنرى ذلك ف ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

وهكذا يتحقق ما قضى الله به على هذا الشعب المتمرد الذي لم يحفظ لله عهدا ، ولم يرع لأنبيائه وملائكته حرمة ولم يرج لهم وقارا ، فقد قضى عز وجل كما يحدثنا

(١) نقلا عن التقرير الذي وضعته لجنة اغاثة منكوبي مذابح كييف تحت اشراف الصليب الأحمر الروسي .

(٢) سفر سنهدرين .

(٣) فصل بابا بثرا وفي سفر حيكريم (جـ ٣، ف ٢٥) نقلا عن مجلة المشرق ١٨ ـ ٧٧٠

القرآن الكريم على بني إسرائيل بأن يسلط عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، فإنه سبحانه سريع العقاب لمن يتمرد عليه ويعصي أمره من الأمم وإنه لغفور رحيم لمن تاب وأناب .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

وهم لا يزالون في فسقهم وعصيانهم ، وما زال وعيد الله لهم قائما ، وقريبا بإذن الله يلقون سوء ما ارتكبوا من فظائع ضد الأبرياء المسلمين في الأرض المحتلة ، وستطهر البلاد من رجسهم ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾[2]

(١) سورة الأعراف آية ١٦٧

(٢) سورة الروم عجز الآية ٤ وصدر الآية ٥ .

# البَابُ الثَّانِي

# العَقيدَة وَالشَرِيعَة عِنـدهم

# الفَصْلُ الأوّل

## العقيــدة

* ـ جاءت التوراة بعقيدة التوحيد ، وبتنزيه الله عن كل نقص .
* ـ انتكاس هذه العقيدة عندهم ،وتصويرهم الإله بصور البشر .
* ـ قولهم بتعدد الآلهة ، وباتخاذ الله ولدا .
* ـ ارتقاء تصورهم للذات العلية ، انتكاس عقيدتهم مرة أخرى .
* ـ كفرهم بالرسل ونسبتهم العيب إليهم
* ـ كفرهم بالكتب وتحريفهم التوراة وصنعهم العهد القديم والتلمود .
* ـ عداوتهم للملائكة ونسبتهم العيب إليهم .
* ـ عدم إيمانهم بيوم القيامة الذي جاءتهم به التوراة .

١٧٧ ـ كانت الديانات كلها ـ ومنها ديانة بني إسرائيل ـ ديانة توحيد ، تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال ، والتنزه عن كل نقص ، والمخالفة للحوادث في كل شيء .

فقد اقتضت مشيئة الله تعالى ، أن يبعث في كل أمة رسولا يدعوهم الى عبادة الله وحده ، واجتناب عبادة الشيطان والأوثان ، فبلغوا أممهم ، فمن الناس من آمن ، ومنهم من استحب العمى على الهدى ، فحاق به سوء العذاب : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١).

فما بعث الله رسولا إلا أوحى اليه أنه لا إله إلا الله ، فيجب أن نعبده وحده : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٢).

١٧٨ ـ وقد قضى سبحانه أن الدين عنده هو الاسلام : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(٣) وأن من يطلب غير دين الاسلام ويعتنقه فلن يقبل منه ذلك ، وله الخسران يوم الدين : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٤).

وندد الله بمن يطلب غير دين الله الذي انقاد له كل شيء واستسلم وخضع

---

(١) سورة النحل : ٣٦

(٢) سورة الأنبياء : ٢٥

(٣) سورة آل عمران صدر الآية ١٩

(٤) سورة آل عمران ٨٥ .

وذل ، واليه المرجع والمآب : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(١) وجاء في سبب نزول هذه الآية فيما يروى(٢) عن الكلبي : أن كعب بن الأشرف وأصحابه ، اختصموا مع النصارى إلى النبي ﷺ فقالوا : أينا أحق بدين إبراهيم ؟ فقال عليه السلام : « كلا الفريقين بريء من دينه » فقالوا : ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت .

١٧٩ ـ وادعى كل فريق ـ كما أسلفنا(٣) ـ أن إبراهيم ـ بوصفه أبا الأنبياء ـ يهودي أو نصراني ، ورد الله كيف يكون ذلك والتوراة والانجيل أنزلتا من بعده ؟ وأنه كان حنيفا مسلما غير مشرك كما أوصى عليه السلام بنيه ـ وفيهم يعقوب ـ بالاسلام : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٤).

وحين حضرت يعقوب عليه السلام الوفاة قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي قالوا : نعبد الهك وإله آبائك إلها واحدا ونحن له مسلمون ، : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٥) .

١٨٠ ـ وإن الله قد أخذ على بني إسرائيل الميثاق في حياتهم ، وعلى ألسنة أنبيائهم ، ألا يعبدوا إلا الله ، وعبادته إثبات توحيده ، وتصديق رسله ، والعمل بما أنزل في كتبه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾(٦).

ولم يأمر الله عز وجل بني إسرائيل ـ كغيرهم ـ إلا باخلاص الدين له ، فلا يشركوا بعبادته أحدا ، وأن يكونوا حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ

---

(١) سورة آل عمران : ٨٣

(٢) تفسير القرطبي ٤/١٢٧

(٣) راجع الفقرات : ٩٥ ـ ٩٨

(٤) سورة البقرة ١٣٢

(٥) سورة البقرة ١٣٣

(٦) سورة البقرة من الآية : ٨٣ .

أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾(١).

١٨١ ـ وها هو ذا نبي الله يوسف عليه السلام يقول لرفيقيه في السجن مشيراً إلى ما حدث منه من إخبار ببعض الغيب ، وتأويل للأحلام ، ذلك مما علمني الله بطريق الوحي ، وقد تركت دين الكنعانيين والمصريين وغيرهم من عبدة الأوثان والكواكب وغيرها ، ممن كفروا باليوم الآخر ، واتبعت ملة آبائي : إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وهي قائمة على التوحيد، وعبادة الله ، وليس لنا أن نشرك مع الله غيره ، والهداية تفضل منه سبحانه علينا وعلى الناس، لنهديهم صراطا مستقياً ، ولكن أكثرهم يتخبطون في الأديان الفاسدة ، ثم دعا رفيقيه الى التفكير أيهما أقرب إلى العقل أن نعبد آلهة متعددة ، لا تضر ولا تنفع ، قد صنعتموها بأيديكم وليست بشيء ، وإنما هي أسماء سميتموها لتميزوا بينها ، ونحلتموها صفات الربوبية ، وليست كذلك ، ولا أذن الله بهذا ، وإنما أمر ألا نعبد سواه ، أهذا أخير أم أن نعبد إلها واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله ، ولا يستطيع أحد أن ينكره ، قاهر قادر مريد عزيز ؟! : ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

١٨٢ ـ وموسى عليه السلام ـ الذي أرسله الله لتخليص بني إسرائيل ـ يأتيه الوحي أول ما يأتيه ليقرر الواحدانية وإفراده سبحانه بالعبادة : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ

---

(١) سورة البينة ٥ وفي حاشية الجمل على الجلالين ٤/ ٥٧٠ الحنيف المطلق : هو الذي يكون متبرئا من أصول الملل الخمسة : اليهود ، النصارى ،الصابئين ،المجوس ، المشركين .

(٢) سورة يوسف من الآية ٣٧ ـ ٤٠ .

بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾[1]

١٨٣ ـ وسيدنا هرون عليه السلام، يقول لبني إسرائيل بعد إذ ضلوا واتخذوا العجل: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾[2]

وسيدنا سليمان يقول له الهدهد عن أهل سبأ: « ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[3]

وبلقيس تقول: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4]

١٨٤ ـ إن رسل بني إسرائيل ـ كما تبين ـ جاءوهم بالتوحيد دين الفطرة السليمة ، ولكنهم نبذوا هذا التوحيد ، ودانوا بالوثنية .

ففي عهد موسى عليه السلام، برغم ما أراهم من آيات ربه في نجاتهم وإغراق عدوهم ـ طلبوا منه حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم ، أن يتخذ لهم أصناماً يعبدونها[5] ، وعبدوا العجل عندما ذهب لمناجاة ربه.[6]

ولم يكن الحالُ بعدُ بأحسن من ذي قبل ، فالمتأمل في أقدم أسفار توراتهم المزعومة يجدهم قد تصوروا الاله تعالى في صور مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل ، وظهر ذلك في كثير من قصص هذه الأسفار .

١٨٥ ـ ففي سفر التكوين الإصحاح الثالث في قصة آدم وحواء وإخراجهما

(١) سورة طه ٩ ـ ١٤
(٢) سورة طه : ٩٠
(٣) سورة النمل : ٢٥ ، ٢٦
(٤) سورة النمل عجز الآية ٤٤
(٥) راجع ف(١٠) .
(٦) راجع الفقرتين : ١٦ ، ١٧ .

من الجنة ( فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلوا منه، ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة : لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر) (فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل) (وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة . . . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله ، في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت ، فقال: من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟) (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر) .

١٨٦ ـ وقد عرض القرآن الكريم في أكثر من سورة لعدة مواقف من قصة آدم وحواء ، وأكلهما من الشجرة، وإخراجهما من الجنة ، بدون أن يبدو في أي منها ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ، ومخالفته للحوادث .

ففي سورة الأعراف : ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ[١] لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا[٢] مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ[٣] عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[٤]

١٨٧ ـ وفي سفر التكوين ـ الإصحاح الثامن عشر ـ في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سودوم وجومورة[٥] ؛ (وظهر له ـ اي لإبراهيم ـ عند بلوطات[٦] ممرا وهو

---

(١) لتكون عاقبة أكلهما كشف ما ستر وغطى من عوراتهما .

(٢) لئلا تكونا .

(٣) أخذا يضعان على عورتيهما من ورق الجنة ورقة فوق ورقة

(٤) من الآية ١٩ ـ ٢٣ .

(٥) الاسفار المقدسة د . وافى ٢٥ .

(٦) البلوطات : جمع بلوطة: شجر كبير غليظ الساق ، ثمرتها بيضوية الشكل لها قمع يغطى قاعدتها ، وقشرة يابسة قاسية تضم بذرة واحدة .

جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم) (ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم ، وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا ) فالله يسير ويتعب، ويستظل بالشجرة ، ويغسل قدميه ،ويشرب ويأكل. ويمضي السفر فيذكر أن إبراهيم اشترك مع الله في نقاش ومساومة حول القريتين بغية أن يثنيه عن ذلك لأن بعض أهلها أتقياء ، ولا يصح أخذ المحسن بذنب المسيء (حاشالك أن تفعل مثل هذا الأمر، أن تميت البار مع الأثيم ، فيكون البار كالأثيم ، حاشالك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟).

١٨٨ ـ وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة على حقيقتها فبين أن الذين وفدوا على إبراهيم عليه السلام كانوا ملائكة مشكلين في صورة آدميين، فظنهم بشرا فقدم إليهم طعاماً ، فلما راهم لا يأكلون ـ لأن الملائكة لا تأكل ـ خاف ، فأعلموه بأمرهم ، وبشروه بغلام ، ثم أخبروه بمهمتهم : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾(١) ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾(٣)

١٨٩ ـ ومن هذا القبيل أيضاً ما جاء في سفر التكوين الإصحاح الثاني من أن الله كالبشر يحتاج إلى الراحة فقد خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في

(١) الذاريات ٢٤ ـ ٢٨ وسلام قوم منكرون : سلام عليكم أنتم قوم لا أعرفهم .
(٢) الذاريات ٣١ ـ ٣٥ .
(٣) هود ٦٩ ، ٧٠ .

اليوم السابع وكان يوم السبت ، ولذا بارك الله هذا اليوم وحرم العمل فيه (فأكملت السموات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً) .

وعلى هذا الزعم الخاطىء يرد القرآن الكريم : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[1] .

١٩٠ ـ وقد تصوروا الله عز وجل ينام، ففي مزمور ٧٨ من مزامير داود (فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط[2] من الخمر) ويقول ابن حزم الظاهري رضي الله عنه : ما سمع في الحمق ولا في الكفر بمثل هذا الفعل ، مرة يشبه قيام الله تعالى بالمنتبه من نومه ، وقد علمنا أنه لا يكون المرء أكسل ولا أحوج إلى التمدد ولا أثقل حركة منه حين قيامه من النوم،ومرة يشبهه بجبار ثمل ، وما عهد للمرء وقت يكون فيه أنكد ولا أخبث نفساً ، ولا آلم صداعاً ، ولا أضعف عويلا منه في حان الخمار[3]

وفي المزمور ٤٤ : (استيقظ، لماذا تتغافى[4] يارب ، انتبه لا ترفض إلى الأبد) وأي سوء أدب بعد هذا؟ .

١٩١ ـ وتصوروا إلههم أحد آلهة متعددين ، ففي المزمور ٤٥ : (كرسيك يا ألله إلى دهر الدهور . . . أحببت البر وأبغضت الإثم ، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك) قال ابن حزم رضي الله عنه : «هذه سوءة الأبد ، ومضيعة الدهر ، وقاصمة الظهر ، إثبات إله آخر على الله تعالى، دهنه بالزيت إكراماً له ومجازاة على محبته الصلاح ، وإثبات شريك لله تعالى[5]»

ويرد على هذا كله ويبطله، وينزه الله جل جلاله عنه القرآن الكريم حيث يقول : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا

---

(١) ق ٣٨. لغوب : تعب .
(٢) عيط تعييطا : صاح، معيط : مصيح .
(٣) الفصل لابن حزم ١/ ٢٠٦ .
(٤) تتغافى: تتناوم،أغفى : نعس : نام نومة خفيفة .
(٥) الفصل ١/ ٢٠٥ .

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]

١٩٢ ـ وتصوروا الإله ذا زوجة وحظيات ، ففي المزمور ٤٥ أيضاً : (بنات ملوك بين حظياتك ، جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير[2]. اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك ، وانسي شعبك وبيت أبيك ، فيشتهي الملك حسنك ، لأنه هو سيدك فاسجدي له).

ويرد على هذا قوله تعالى على لسان الجن : ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[3] والمعنى كما يقول ابن جرير: قال النفر من الجن : علا ملك ربك وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة أو وقاع شيء يكون منه ولد[4].

١٩٣ ـ وادعوا أن عزيرا ابن الله ، وقد رد الله عليهم وعلى النصارى الذين ادعوا أن المسيح ابنه ، ولم يقتصر ضلال هؤلاء واولئك عند هذا ، بل اتخذوا علماءهم من الأحبار والرهبان آلهة من دون الله ، كما اتخذ النصارى المسيح إلهاً ، فندد الله بهم جميعاً ، وبينّ أن لا إله غيره ، ولا معبود سواه : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5]

وهم بذلك مثل المشركين من قبلهم الذين كانوا يقولون : اللات والعزى ومناة ، بنات الله ، ويقولون : الملائكة بنات الله ، كما عبدوا الأوثان والأصنام من دون الله ، فياعجباً لشناعة القول ، وسوء الفهم ، كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل ، ويميلون عن الهدى إلى الضلال تنزه سبحانه عن أن يكون له شريك في

---

(١) صدر آية الكرسي، سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) وقفت زوجتك عن يمينك وعقاصها (شعرها) من ذهب ـ الفصل ١/ ٥٠٦ .

(٣) الجن ٣.

(٤) محاسن التأويل ١٦/ ٥٩٤٦ .

(٥) التوبة ٣٠ ، ٣١ .

الملك ، وعن أن يكون له ولد، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

١٩٤ ـ وقد بين القرآن الكريم عظيم جرم من قالوا : إن الله اتخذ ولداً ، حيث يقول: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ (١) وَلَدًا ﴾

وإذا كان الله عز وجل قد تنزه عن اتخاذ زوجة ، فكيف يكون له ولد ؟ :﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)

١٩٥ ـ وفي أحدث أسفار توراتهم المزعومة ، كالتثنية والعدد واللاويين، ارتقى تصورهم للذات العلية بعض الشيء حين تخلص تخلصا كبيرا من شوائب النقص والتجسيم، كما بقى لديهم الاعتقاد بأن لهم إلهاً خاصاً بهم ، وأنهم هم أولاده وأحباؤه ، كما زعم ذلك النصارى أيضاً . .

وقد رد الله هذا الزعم ، وبين أن تعذيبهم بذنوبهم دليل كذبه ، وأكد أنهم بشر كغيرهم ، ويعذبهم الله إذا أذنبوا ويغفر لهم إذا تابوا :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾(٣).

١٩٦ ـ ولم يتخلص إلههم هذا كل التخلص من جميع صفات الحوادث، بل ظل عالقا به في نظرهم بعض هذه الصفات .

فمن ذلك ما نراه في سفر اللاويين حيث يذكر في أكثر من موضع، أن الضحايا المحرقة يرتاح لها الإله ويفيد منها ،وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها : (ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب . . . إنه محرقة وقود رائحة سرور للرب ) الاصحاح الأول ، (ويأخذ الكاهن من التقدمة

---

(١) مريم ٨٨ ـ ٩٢.

(٢) سورة الانعام ١٠١ .

(٣) سورة المائدة ١٨ .

تذكارها ، ويوقد على المذبح وقود رائحة سرور للرب ) الإصحاح الثاني

وعلى هذا الزعم الباطل يرد القرآن الكريم﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(1)

١٩٧ ـ وبعد أن ارتقى تصورهم للإله ، انتكس مرة أخرى انتكاسا كبيرا في العهد الذي ألف فيه التلمود ( القرون الستة الأولى بعد الميلاد )

فأسفار التلمود تظهر إله بني إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص ، ويبدو ذلك على الأخص فيما يرويه التلمود عن نشاط الله وأعماله في الليل والنهار .

فيقرر بعض أسفاره أن الله يقضى الساعات الثلاث الأولى من النهار في مذاكرة الشريعة ، والثلاث الثانية في شؤون الحكم بين الناس ، والثلاث الثالثة في تدبير العيش للخلق ، والثلاث الأخيرة في اللعب مع الحوت ،وساعات الليل يقضيها الإله في مذاكرة التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين الذي يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلمية .

وقد تغير هذا النظام بعد هدم الهيكل ، وتشريد بني اسرائيل ، فقد اعترف الإله بخطئه وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء .

ويزعم التلمود أن الله يردد في أثناء بكائه ونحيبه : تبا لي أمرت بخراب بيتي ، وإحراق الهيكل ، وتشريد أولادي(2) .

١٩٨ ـ ومن أقبح تصوراتهم لله عز وجل ما يرويه ابن حزم الظاهري ـ رضي الله عنه ـ: (وأشنع من هذا كله ، نقلهم الذي لا تمانع بينهم فيه ، عن كثير من أحبارهم المتقدمين ، بأن رجلا اسمه إسماعيل كان إثر خراب البيت المقدس سمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة ، ويبكي وهو يقول : الويل لمن أخرب بيته ، وضعضع ركنه وهدم قصره ، وموضع سكينته ، ويلي على ما أخربت من بيتي ، ويلي على ما فرقت من بني وبناتي ، قامتي منكسة حتى أبني بيتي ، وأرد إليه بني وبناتي . . .

---

(1) سورة الحج ٣٧ .

(2) الاسفار المقدسة د. وافى ٢٨ .

ـ قال هذا النذل الموسخ ابن الأنذال إسماعيل ـ : فأخذ الله تعالى بثيابي ، وقال لي : أسمعتني يا ابني يا إسماعيل ؟ قلت : لا يا رب فقال لي: يا ابني يا إسماعيل بارك عليَّ ، قال الجيفة المنتنة فباركت عليه ومضيت . (قال أبو محمد رضي الله عنه): لقد هان من بالت عليه الثعالب .والله ما في الوجود أرذل ولا أنتن ممن يحتاج إلى بركة هذا الكلب الوضر ، فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع . فمنها إخباره عن الله تعالى: أنه يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة، الويل حقاً على من يصدق بهذه القصة وعلى الملعون الذي أتى بها ، ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على ما فعْل، وما الذي دعاه إلى الندامة، أتراه كان عاجزا؟ هذا عجب آخر، وإذا كان نادماً على ذلك، فلِمَ تمادى على تبديدهم، وإلقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحكة في أدبارهم كما نص عليه في آخر توراتهم؟؟ ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والأنين ، ومنها وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أو لا ؟ حتى سأله عن ذلك،ثم أظرف شيء إخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب ، وأن الله تعالى قنع بكذبه وجاز عنده ولم يدر أنه كاذب ، ومنها كونه بين الخرب وهي مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية ونحوها ، ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس القامة ، ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنة والمنتن ، وبالله الذي لا إله إلا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ التي بلغها هذا اللعين ومن يعظمه ، وبالله تعالى نتأيد[1]) .

١٩٩ ـ ومما يقرر التلمود كذلك ، أن الإله تستولي عليه نزوة غضب، فيقسم ليأتين أعمالا شريرة أو غير عادلة ، ثم يثوب إلى رشده فيتحلل من يمينه، كما حدث يوم أن غضب على بني إسرائيل في الصحراء، وأقسم أن يبيدهم ، ثم رجع عن عزمه ، وتحلل من يمينه بعد أن انقشعت نزوة غضبه[2].

ويذكر القرآن الكريم ما كان من طلب بني إسرائيل رؤية الله ، ومن صعق الله لهم ، واستغفار سيدنا موسى وتضرعه حتى عفا الله عنهم وبعثهم لعلهم يشكرون ، مما فصلناه في الفقرتين ٢٦ ، ٢٧ بما يظهر جلال الله وعظمته وصفحه وغفرانه .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٢٢/١، ٢٢٣

(٢) الاسفار المقدسة، د . وافي ٢٨، ٢٩

٢٠٠ ـ وقد عبد بنو إسرائيل الطاغوت ، ولذا ندد الله بهم في سورة المائدة : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾(١) ونراهم أيضاً قد آمنوا بالشرك وعبادة الأوثان والطاغوت حين قالوا لأهل مكة : دينكم خير وأهدى من دين محمد كما سبق ف ـ ١٤٠ ـ ونراهم قد وصفوا الله بأقبح صفات البشر كالفقر وغل اليد أي شدة البخل(٢)، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

٢٠١ ـ ينكر بنو إسرائيل ـ عنادا ـ رسالة النبيين جميعا ومنهم محمد عليه السلام ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء(٣)، وينكرون كل الرسل إلا موسى حين قالوا : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى(٤). ويكفرون بعيسى ومحمد لأنه آمن به ، فقد سألوا الرسول عمن يؤمن به من الرسل فذكر منهم عيسى عليه السلام ، فقالوا لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به(٥).

٢٠٢ ـ ويكفرون كذلك بنبوة سليمان ، عليه السلام ـ ويتبعون الشياطين فيما قالته عنه ، فقد قال الله فيهم : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾(٦) فالله يندد باليهود لإعراضهم عن الرسول عليه السلام المصدق لما معهم من التوراة ، فإن النبي عليه السلام لما جاءهم عارضوه بالتوراة وخاصموه بها ، فاتفق القرآن وتوراتهم الصحيحة ، ولكنهم نبذوا كتاب الله ، ولم يعملوا به ، شأن من لا يعلم شيئا عن محمد رغم ذكره في كتبهم ، نبذوا القرآن والتوراة ، ولم يتبعوا حقاً لهم فيه شبهة ، وإنما اتبعوا ما ترويه الشياطين حين عرفوا موت سليمان بن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر ، وضمنوها كتابا ختموه بما يشبه خاتم سليمان ونسبوه إليه ، ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك

(١) ٦٠، والطاغوت: الشيطان أو كل ما عبد من دون الله .
(٢) راجع الفقرات ١٣٣ ـ ١٣٥ .
(٣) راجع ف٨٨.
(٤) راجع ف٨٩.
(٥) راجع ف٩٠.
(٦) سورة البقرة صدر الآية ١٠٢ .

بقايا بني إسرائيل؛ فلما عثروا عليه قالوا : والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا ( يعنون السحر ) فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وذكر داود وسليمان قالت اليهود : انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل ، يذكر سليمان مع النبيين ، إنما كان ساحراً يركب الريح . .

فرد الله عليهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾(1) وسمي السحر كفرا لاتحادهما في المضرة .

## نسبتهم العيب إلى الرسل عليهم السلام

٢٠٣ ـ وقد نسب بنو إسرائيل إلى رسل الله العيب والفواحش، فالمتصفح للإصحاحين : الثاني عشر والعشرين من سفر التكوين ، يراهم يصورون سيدنا إبراهيم عليه السلام بشخص يتكسب بزوجه سارة لدى ملك مصر، ولدى أبيمالك ملك جرار .

وجاء في الإصحاح التاسع عشر من السفر نفسه عن سيدنا لوط عليه السلام (وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه . . . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرا ، ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . . . . فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ،والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بني عمون إلى اليوم) .

٢٠٤ ـ ورموا زكريا عليه السلام بالزنى بمريم رضي الله عنها ، وعدوا عليه حتى قتلوه على ما سيأتي إن شاء الله . واتهموا هرون عليه السلام بأنه هو الذي اتخذ لهم العجل ليعبدوه من دون الله (فقال لهم هرون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في

---

(١) سورة البقرة صدر الآية ١٠٢ .

آذانهم وأتوا بها إلى هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا) سفر الخروج إصحاح ٣٢. مع أنه هو القائل لهم : ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ [1] ﴾

فها نحن أولاء نراهم لا يعرفون شيئا عن عصمة الأنبياء الذين اختارهم الله واصطفاهم ليكونوا هداة أممهم و﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ [2] رِسَالَتَهُۥ ﴾وإن في نسبة العيب إليهم نسبته إلى من اختارهم ، وإذا كان الله قد هان عندهم حتى قالوا فيه ما أسفلنا، فرسله أهون .

## عدم إيمانهم بالكتب:

٢٠٥ ـ لقد انكر اليهود الكتب، وقالوا: لم ينزل الله على بشرمن شيء، كما كفروا حتى بالتوراة التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وحرّفوها وبدّلوها، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[3] .

ولقد كانوا يظهرون من التوراة ما يوافق أهواءهم ويخفون منها ما يتعارض مع أطماعهم وقد فضحهم الله وألزمهم الحجة وذم صنيعهم هذا حيث يقول: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[3] .

وقد كانوا كذلك يكتبون أشياء وينسبونها إلى الله: لينالوا بذلك عرضاً من أعراض الدنيا، وهؤلاء لن يفلتوا من عقاب الله ، قال تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[5] .

---

(١) سورة طه ٩٠، ٩١.

(٢) سورة الانعام من الآية ١٢٤.

(٣) النساء ٤٦

(٤) الأنعام ٩١

(٥) البقرة ٧٩

وهكذا كفر اليهود بالكتب المنزلة، وضيعوا التوراة وبدلوها وحرفوها، واعتمدوا على كتابين من صنع أيديهم هما: العهد القديم، والتلمود.

### ٢٠٦ ـ العهد القديم

اعتمد اليهود من أسفارهم تسعة وثلاثين سفراً سميت في العصور المسيحية «العهد القديم» للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي سموها «العهد الجديد» وكلمة عهد تعني الميثاق، فالقديم يمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى، والجديد يمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى ـ عليهما السلام.

### أقسام العهد القديم

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام[1]:

الأول: كتب موسى، أو الأسفار الخمسة، وهي: التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، التثنية.

أما سفر التكوين، فيقص تاريخ العالم منذ خلق السموات والأرض إلى استقرار بني إسرائيل بأرض مصر.

وسفر الخروج، يحكي تاريخ بني إسرائيل في مصر، وقصة موسى ورسالته، وخروجه ببني إسرائيل من مصر، وتاريخهم في مرحلة التيه في سيناء.

وسفر اللاويين، شغل بشئون العبادات، وبخاصة ما يتعلق منها بالذبائح والقرابين، وما يحرم من الحيوانات والطيور.

وسفر العدد، شغل باحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم.

وسفر التثنية، شغل بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة والاقتصاد والمعاملات، والعقوبات، والعبادات.

الثاني: الأسفار التاريخية وهي اثنا عشر، تعرض تاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على أرض الكنعانيين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث المهمة في حياتهم، وهي: يوشع، القضاة، راعوث، صموئيل: سفران،

---

(١) اليهودية واليهود د. على عبد الواحد وافى.

الملوك: سفران، أخبار الأيام: سفران، عزرا، نحميا، استير.

الثالث: أسفار الأناشيد، وهي أناشيد ومواعظ، معظمها ديني، وعددها خمسة وهي: سفر أيوب، مزامير داود، أمثال سليمان، الجامعة من كلام سليمان، نشيد الأنشاد لسليمان.

الرابع: أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر، يعرض كل منها لتاريخ نبي من الأنبياء الذين أرسلوا بعد موسى، وهي: أشعيا، أرمياء، مراثي أرمياء، حزقيال، دانيال، هوشع، يونيل، عاموس، عويديا، يونس، ميخا، ناحوم، حبقوق، صَفنيا، حجّى، زكريا، ملاخي.

٢٠٧ ـ هذه الأسفار كلها من صنع أيديهم:

وأهم هذه الأسفار هي أسفار القسم الأول التي ينسبها اليهود إلى موسى عليه السلام ويعتقدون أنها من الله، وأنها تتضمن التوراة.

ولكن ظهر للباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم أنها ألفت بعد عصر موسى - عليه السلام - بزمن بعيد. فمعظم سفري التكوين والخروج، قد ألفا في حوالي القرن التاسع ق.م أي بعد موسى بنحو خمسة قرون. وسفر التثنية قد ألف في القرن السابع ق.م.

وسفرا العدد واللاويين، قد ألفا في القرنين: الخامس والرابع ق. م.

وأما بقية أسفار العهد القديم، فواضح من تسميتها أنها بعد موسى عليه السلام بأمد طويل، إذ أنها تحكي أخبار أنبياء وملوك جاء بعضهم بعد موسى عليه السلام بأكثر من ألف عام.

٢٠٨ ـ وإن أوضح الأدلة على أن هذا الكتاب من صنع أيديهم، ما نجده فيه من تصوير الإله بصورة البشر، يأكل ويشرب ويتعب وينام، وله زوجة وحظيات وله ولد، وله إله أكبر منه يرضى عنه ويباركه، كما مر بك في الفقرات ١٨٥ ـ ١٩٦.

كذلك ما نجده فيه من نسبة العيب إلى رسل الله الكرام، واتهامهم ظلماً ـ بارتكاب الآثام والخطايا، كما مر بك في الفقرات ٢٠١ ـ ٢٠٤.

ومن أوضح الأدلة كذلك ما نراه في هذا الكتاب من تضارب في التشريع.

فسفرا الخروج[1] والتثنية[2] يقرران أنّ الاسرائيلي الذي يبيع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الاسرائيلي في حالة عوزه، لا يدوم رقه إلا ست سنين، على حين أن سفر اللاويين يقرر أن رقه لا ينتهي إلاّ بحلول اليوبيل الاسرائيلي[3]، فيمكن بحسب هذا السفر أن يدوم رق الشخص خمسين سنة إلا يوما.. مع أننا نجد في سفر اللاويين الاصحاح الخامس والعشرين نهياً عن استرقاقه، حيث يقول: (وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك، فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه..)

٢٠٩ ـ ومن أكبر الشواهد كذلك على أن هذا الكتاب من صنع أيديهم ما نراه فيه من تفرقة عنصرية حيث يرون أنفسهم فوق كل الشعوب. ففي سفر التثنية، الاصحاح الرابع عشر: (لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض).

وسفر اللاويين الاصحاح الخامس والعشرون يقرر أن رق غير الاسرائيلي رق مؤبد حيث جاء فيه ف٤٥: (وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون، ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك، تستعبدونهم إلى الدهر).

بينما نجد في الاصحاح نفسه ف ٢٧ أن رق الواحد منهم ينتهي في سنة اليوبيل، وفي سفري الخروج والتثنية ينتهي الرق بعد ست سنوات ـ وفي سفر اللاوين تحريم استرقاق الإسرائيلي كما مر من قبل ـ

وفي سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثين، نجد الربا بين اليهودي واليهودي حراما، ولكنه لليهودي من غير اليهودي حلال: « لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا أي شيء مما يقرض بربا للأجنبي تقرض بربا. ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك. كما أن قانون الحرب المدون في

(١) اصحاح ٢١ ف ٢: إذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً

(٢) اصحاح ١٥ ف ١٢: إذا بيع لك أخوك العبراني أو اختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تطلقه حرا من عندك.

(٣) اصحاح ٢٥ ف ٢٧: وإن لم تنل يده كفاية ليرد له يكون مبيعه في يد شاريه إلى سنة اليوبيل. ثم يخرج في اليوبيل فيرجع إلى ملكه.

سفر التثنية الاصحاح العشرين والذي يقضي بأن يسترق اليهود جميع المحاربين - إذا استسلموا - أما إذا دافعوا وحاربوا ، فإنهم يذبحون الذكور بحد السيف ، ويسترقون النساء والأطفال ويأخذون جميع المال غنيمة ، هذا بالنسبة للمدن البعيدة عن اليهود ، أما الأمم المجاورة لليهود فعندما ينتصر اليهود عليهم لا يستبقون منهم نسمة ما .

٢١٠ - ولهذا قرر غير واحد من العلماء بأن العهد القديم من صنع اليهود وليس من عند الله . فهذا هو العالم الألماني الدكتور مورتكات يقول في كتابه تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٢٧٢ : «لا يمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة (العهد القديم)، إذ برهنت الأحداث الأثرية على عدم صحة أكثر تلك الأساطير التي وردت فيها. كما توجد أبحاث تبرهن عكس تلك الأساطير.

وهذا هو العالم اليهودي سيلفر يعترف صراحة بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى من أية ناحية .

وقد مر بك في المقدمة(هـ) ما قاله تيودور في تاريخ العالم من أن أخبار الكتاب المقدس جاءت في عهد متأخر، وقصاراها أن تمدنا ببيان ناقص مشوب بالهوى، وتاريخهم بأسره من عمل الخيال.

وقد ذكر العلامة المرحوم العقاد في كتابه الصهيونية العالمية ص ١٥ : ومن أعجب العجب أن تنسب هذه الأسفار الخمسة (القسم الأول) إلى موسى، وفيها وصف موته ودفنه ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء، ومعنى ذلك ان الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام، فمن الثابت قطعاً أن هذه الأسفار العبرية كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون.

٢١١ - التلمود

لم يقنع اليهود بما حواه العهد القديم من شرور ومفاسد، فألف أحبارهم هذا الكتاب الذي يعتمدون عليه، ويعتبرونه مصدر عقيدتهم وشرائعهم، وجميع شئون حياتهم.

وقد تكوّن من بحوث أحبار اليهود وفقهائهم المنتمين إلى فرقة الفريسيين (وهي أشهر فرق اليهود) في شئون العقيدة والشريعة والتاريخ المقدس ثلاثة وستون

سفراً، ألفت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وأطلق عليها اسم (المشناة) بمعنى المثنى او المكرر، أي أنها تكرار وتسجيل للشريعة.

ثم شرحت هذه المشناة فيما بعد، وأطلق على هذه الشروح اسم (الجمارا) بمعنى الشرح والتعليق وألفت هذه الشروح في فترة طويلة امتدت من القرن الثاني إلى أواخر السادس بعد الميلاد وتألف من المتن والشرح (المشناة والجمارا) ما أطلق عليه إسم (التلمود) بمعنى التعاليم[1].

**أهمية التلمود عند اليهود**

يتشبث اليهود في جميع أنحاء العالم بتعاليم التلمود، ويعتبرونه كتاباً مقدساً يعينهم على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمعات تمهيداً لإقامة امبراطورية عالمية، ويمكن معرفة أهمية التلمود ـ عند اليهود ـ وأنه أقدس من التوراة (العهد القديم) بواسطة هذا النص من التلمود نفسه: «إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشناة، فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة».

**٢١٣ ـ خطر هذا الكتاب[2]**

لعل أوضح دليل على خطورة هذا الكتاب أن اليهود ـ عبر تاريخهم ـ يقومون بجمعه من الأسواق والمكتبات وحرقه، لأنهم أول من يعلم أن ما في التلمود ينطوي على شر وتدمير للانسانية وهم لا يحرقونه حباً في الانسانية، ولكن خوفاً من نشره بين الناس، وفضح أساليبهم ،والكشف عن نفسيتهم تجاه الأمم الأخرى، تلك النفسية التي تظهر على حقيقتها عندما يملكون أو يسيطرون ويصبح في مقدورهم تنفيذ ما يعتقدون.

وطبائعهم اليوم تظهر على حقيقتها ـ كما ربتها فيهم نصوص التلمود، فما نراه من الوحشية ضد المسلمين وما نراه من نفوذ اليهود وتحكمهم في أمور كثيرة من

---

(١) اليهودية واليهود د . على عبد الواحد وافى ص ٢٣

(٢) التلمود شريعة بني إسرائيل محمد صبري ص ٢٦

الدول، وما تخطط له الصهيونية العالمية في كل مكان في العالم ليظهر بوضوح مدى تعلقهم بوصايا التلمود.

### ٢١٤ ـ فساد هذا الكتاب

ولقد مر من قبل أكبر الأدلة على فساد هذا الكتاب، وهو تصويره الله عز وجل بصورة لا تليق بجلاله(١).

واليهود يعترفون بأن هذا التلمود ليس من عند الله، فحين تقسيمهم وقت الله ليلا، قالوا: إنه يقضي ساعات الليل في مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع الشيطان، فكيف يذاكر الله كتاباً أنزله؟

ومن أكبر الشواهد كذلك على فساد هذا الكتاب ما يأتي:

أ ـ التفرقة العنصرية، فهو يعتبر الشعب اليهودي أرقى الشعوب، ويعتبر غير اليهودي حيوانات دنيئة، كلاباً أو أقل من الكلاب، حيث جاء فيه: الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب وإن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب.

ب ـ استحلاله دماء وأموال غير اليهودي.

فقد دعاهم التلمود إلى قتل غير اليهودي، لأن في ذلك مرضاة لالهمم حين جاء فيه «اقتل الصالح من غير الاسرائيليين» وإذا أمر بقتل الصالح فقتل الطالح من باب أولى. وجاء فيه: وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله. وجاء فيه كذلك: من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم كافر يقرب قربانا لله، وإن الكفار هم يسوع المسيح ومن اتبعه ونلاحظ أن النص لم يرد فيه ذكر لمحمد ﷺ وأتباعه، وذلك لأن التلمود ألف قبل مجيء النبي بعدة قرون، وإلا فإنهم يعتبرون محمداً ﷺ وأتباعه ألدّ أعدائهم على الاطلاق، ومن تعاليم التلمود كذلك: إن أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهودي أن يتملكه وإن الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات وحياة كل الشعوب.

---

(١) الفقرات ١٩٧ ـ ١٩٩

سوء الأدب مع الملائكة :

٢١٥ ـ وهل ترى أن حظَّ الملائكة عندهم أوفر من حظ الرسل؟ كلا . فعلى الرغم من أن توراتهم الصحيحة ، وكل الكتب التي أنزلت تشهد بالملائكة على أنهم جند الله المكرمون ، وأنهم في طاعة ربهم عز وجل ، وعن عبادته لا يفترون ـ فعندما ذكر الله لمحمد عدد خزنة جهنم أراد بذلك فتنة الكافرين وليستيقن أهل الكتاب صدق محمد ، فهذا هو الذى عندهم : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١)

على الرغم من هذا نراهم قد عادوا جبريل لأنه يأتي محمدا عليه السلام بالوحي(٢) .

٢١٦ ـ ونسبوا ظلما وكذبا إلى الملائكة أن اثنين منهم ، هما هاروت وماروت عجبا لخطيئة ابن آدم فقيل لهما : لو كنتما بشرا لفعلتما ما يفعل البشر . فطلبا أن يكونا بشراً ، فاستجاب الله لهما ، ونهاهما عن الخمر والزنى والشرك والقتل ، وما أن صارا بشرا حتى اقترفا ذلك كله . وهذا كما روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ منقول عن كعب الأخبار عن كتب بني إسرائيل(٣) . وقد ندد أبو السعود في تفسيره بهذه الأسطورة ، فقال : لا تعويل على ذلك ، لأن مداره رواية اليهود ، ولأنه يخالف العقل والنقل ، فكيف تتأتى المخالفة من الملائكة الكرام وهم كما يقول الله : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٤) .

٢١٧ ـ عدم إيمانهم بيوم القيامة الذي جاءتهم به التوراة . وقد كانت عقيدتهم في أصلها الأصيل ـ كما جاءهم بها موسى عليه السلام تقرر البعث والنشور والحساب والجنة والنار ، كما ينبئنا بذلك القرآن الكريم ، ففي قصة البقرة ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٥)

(١) سورة المدثر من الآية ٣١ .

(٢) راجع ف ١٣٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١٣٨ عند تفسير قوله تعالى : «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» البقرة من الآية ١٠٢

(٤) التحريم عجز الآية ٦

(٥) سورة البقرة ٧٣ .

وقال الله عز وجل لنبيهم موسى عليه السلام: «إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ»[1]

وفي قصة عزيز: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2]

وفي قتالهم بقيادة طالوت ـ رضي الله عنه ـ لجالوت ومن معه وعندما خافوا وقالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده رد من يظنون لقاء الله في اليوم الآخر : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ[3] ﴿٢٤٩﴾﴾

وفي سورة الأعراف : ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[4]

وفي سورة الأنعام : «﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[5]

٢١٨ ـ ومن فاسد معتقداتهم : أن النار لن تمسهم إلا اياما معدودة ، سبعة ، كما يروي عن مجاهد ، كانت اليهود تقول : إنما الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما ، ثم ينقطع العذاب ، أو أربعين ، كما يروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن اليهود قالوا : لن ندخل النار إلا الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ، فإذا انقضت انقطع عنا العذاب[6] .

وقد رد الله عليهم وبينَّ إفكهم،هل عهد الله إليكم بذلك فلن يخلف عهده؟أم أنكم تكذبون وتقولون مالا تعلمون؟ وأكد سبحانه أن مَنْ كسب سيئة وغمرته الخطيئة من جميع جوانبه ، فإنه سيخلد في جهنم أبدا : ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ

(١) سورة طه ١٥.

(٢) البقرة صدر الآية ٢٥٩ .

(٣) البقرة عجز الآية ٢٤٩ .

(٤) صدر الآية ١٥٦ .

(٥) الآية ١٥٤ .

(٦) محاسن التأويل ٢/ ١٧٦ .

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (1).

٢١٩ ـ وادعوا أن الجنة لن يدخلها إلا اليهود كما ادعى ذلك النصاري، فبين الله سبحانه أنها أماني، ولا برهان لهم على صدق دعواهم ، وقرر أن الجنة لمن أسلم ، واتبع ما جاء به محمد ، ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(2) وادعوا كذلك أن الدار الآخرة لهم خالصة من دون الناس، فبكتهم الله تعالى: إن كان الأمر كذلك فتمنوا الموت، لأنه الطريق الوحيد إلى تنعيمكم بما ادعيتم إن كنتم صادقين، وإذ لم تتمنوه ـ وهو الحاصل لما قدمتم من سوء ـ فهذا دليل كذبكم وظلمكم : ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(3).

٢٢٠ ـ وبعد أن تبين لنا أن اليوم الآخر مما قررته عقيدتهم نجد(4) اسفار العهد القديم قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ـ ومن ثم لا نجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام ، ففرقة الصادوقيين تنكر قيام الأموات وتعتقد أن العقاب والثواب يحصلان في الحياة ، وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينتشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان ، لينقذ الناس من ضلالهم ، ويدخلهم جميعا في ديانة موسى أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا ومهما يكن من خلاف بين الفرقتين فإنهما تتفقان في إنكار اليوم الآخر على النحو الذي يقرره الاسلام .

---

(1) سورة البقرة ٨٠ ، ٨١ وفي سورة آل عمران «ذلك بأنهم قالوا : لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون» ٢٤ ، يعني ثبتهم على باطلهم هذا الافتراء.

(2) البقرة ١١١ ، ١١٢

(3) سورة البقرة ٩٤ ، ٩٥ .

(4) الاسفار المقدسة د. وافى ٢٩ .

٢٢١ ـ وقد[١] ورد في بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار ، ولكن في صورة مضطربة ، أدنى إلى الخرافة منها إلى ظل حقائق العقيدة ، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح الزكية ، وأنه لا يدخلها إلا اليهود وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة ، كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ، ولحم إوز سمين ، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم وأن النار لغير اليهود من المسلمين والنصارى ومن إليهم .

---

(١) المصدر نفسه ٣٠

الفصل الثاني

# الشـــريعــــة

* وجوب الصلاة والزكاة والصوم والجهاد .

* حرمة الدم : تحريم قتل النفس ، القصاص ، وجوب القود ، القسامة .

* حرمة العرض : تحريم الزنى ، جعل عقوبته الرجم ، الزواج .

* حرمة المال : تحريم السرقة والربا وأكل المال بالباطل ، وجوب العوض .

* إهدارهم حرمة النفس : إستحلالهم دم غيرهم ، تعطشهم لسفك الدماء ، اشعالهم للحروب ، قتلهم الأبرياء والأنبياء .

* إهمالهم حرمة العرض : عدهم ضروب البغاء تكريما لالههم عشتروت ، اشاعتهم الفساد والزنى .

* إهمالهم حرمة المال : استحلالهم أموال غيرهم ، أكلهم السحت وأخذهم الربا .

* ماحرم عليهم من الطعام .

* حرمة العمل يوم السبت ، وعقاب من اعتدى فيه .

٢٢٢ - وجوب الصلاة والزكاةوالصوم والجهاد .

أرسل الله رسله لهداية الناس إلى ما فيه صلاحهم ، فكان لا بد أن يشرعوا من العبادات ما يطهر نفوسهم ، ويوثق علاقتهم بالخالق والمخلوق ، وليس كالصلاة والزكاة والصوم مطهرا وموثقا .

والرسل - كما يقول عليه السلام - أبناء لعلات[1] ، فهم متفقون جميعا في الأساس والكليات ، وإن اختلفوا في تفريعات جزئية تخدم مصلحة كل أمة .

وقد جاء في حاشية ابن عابد بن ( إن الصلاة لم تخل عنها شريعة مرسل ) أي عن أصل الصلاة، قيل : الصبح صلاة آدم ، والظهر لداود ، والعصر لسليمان ، والمغرب ليعقوب ، والعشاء ليونس عليهم السلام .

فالله سبحانه قد شرع لنا من الدين مثلما شرع للأنبياء من قبل : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[3]

وقال الله لموسى عليه السلام﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[4].

٢٢٣ - ففي شريعة الله لبني إسرائيل أوجب عليهم الصلاة[5]

---

(١) علات : ضرائر: بنو أمهات شتى لرجل واحد ، والمعنى أنهم متفقون في الأصل، ونص الحديث «إنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» (بخارى) باب ما جاء في عيسى وموسى وإبراهيم .

(٢) ١/ ٣٥١

(٣) الشورى صدر الآية ١٣ ، وإنما ذكر هؤلاء النبيون لشرفهم .

(٤) طه ١٤

(٥) لم يرد تفصيل لكيفية تلك الصلاة ولا لعدد أوقاتها ، وإن كان الذي يفهم من نصوص القرآن : =

والزكاة[1] وحثهم على البر والإنفاق ومعاملة الناس بالحسنى، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[2] ، أي توليتم يا بني إسرائيل معرضين عن هذه التعاليم ، ولم يفعلها إلا قليل منكم ، ويقول : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُم ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ

= أ - أنها كانت ذات قيام وركوع وسجود : يقول الله عن سيدنا زكريا عليه السلام : « فنادته الملائكة وهو قائم يصلي» ويقول لمريم رضي الله عنها: «يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين» آل عمران ٤٣ ، ويقول سبحانه عن سيدنا داود : « فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب» ص ٢٥ وفي تفسير البيضاوي : راكعا : ساجدا على تسمية الركوع سجودا لأنه مبلؤه ، أو خر للسجود راكعا أي مصليا كأنه أحرم بركعتي الاستغفار - ٦٠١ -.

ب - وأنها كانت تستلزم المحراب ، فلا تصح في غيره ، لقوله عليه السلام : (أعطيت خمسا . . . وجعلت لي الأرض مسجدا . البخاري باب التيمم . وقال سبحانه عن سيدنا زكريا : « وهو قائم يصلي في المحراب ».

حـ - وأنها كانت تستلزم قبلة ، فاليهود كانوا يتجهون الى بيت المقدس ، وطلبوا من الرسول ان يتجه اليها بعد أن تحول عنها الى الكعبة - وأمره الله ألا يتجه : «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم» راجع ف١٠٢ ، ١٠٣ .

وأما عدد أوقاتها فالبعض كان عليه وقت والبعض كان عليه وقتان وقت في الصباح ووقت في العشى لقوله تعالى عن سيدنا زكريا « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا» « صباحا ومساء . . سورة مريم ١١ .

(١) والزكاة لم يرد في كتب التفسير تحديد لها، وجاء في القرطبي ١٧/٢ ،قال ابن عطية: وزكاتهم هي التي كانوا يضعونها فتنزل النار على ما يتقبل ، ولا تنزل على ما لم يتقبل ولم تكن كزكاة أمة محمد عليه السلام ، قلت وهذا يحتاج الى نقل كما ثبت ذلك في الغنائم - (يعني حيث قال الرسول : وأحلت لي الغنائم ) - وقد روي عن ابن عباس انه قال: الزكاة التي أمروا بها : طاعة الله والاخلاص والراجح الى أنها زكاة تدفع الى الفقراء ، لأن حرق القربان كان لولدي آدم أي قبل أن ينتشر الناس ، وبنوا اسرائيل كانوا كثرة يوزع القربان عليهم ، وأيضاً فان الله طلب منهم القرض ، وما القرض الحسن إلا أن يدفعوا للفقراء والمحتاجين ، فأي معنى لأن يتصدقوا ثم تحرق الزكاة ؟ وقد كان في بني اسرائيل فقراء فكيف يعقل أن يترك الله هؤلاء الفقراء ويأمر الأغنياء بتقديم زكاتهم الى الحرق ، كما أوجب عليهم الله البر بذي القربى واليتامى والمساكين ، وما البر الا الانفاق .

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] وقال لسيدنا موسى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾[2] وعن سيدنا زكريا : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾وقال سيدنا عيسى لهم وهو المصدق للتوراة : ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[4] .

٢٢٤ ـ وقد كتب الله على بني إسرائيل الصيام بمعناه الحقيقي[5] ـ لا مجرد الامتناع عن نوع من الطعام ـ كما كتبه على كل الأمم وعلى أمة محمد عليه السلام حيث يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[6].

ولاخلاف بين المفسرين في أن المقصود بمن كان قبلنا يشمل اليهود والنصارى ، ويكادون يجمعون على أن كيفية الصوم هي إمساك عن الطعام والشراب والجماع من العشاء الثانية الى العشاء الأولى ،أي المغرب إلا إذا نام الواحد منهم قبل العشاء الثانية ، فإنه يمسك من ذلك الوقت ، ولا يحل له شيء من المفطرات ـ وهكذا كان صيامنا أول الأمر حتى نزل قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[7] .

٢٢٥ ـ ولكن المفسرين اختلفوا في وقت الصوم ، فقال الشعبي وقتادة وغيرهما : إن الله تعالى كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان فغيروا ، وزاد

---

(١) سورة المائدة ١٢

(٢) سورة طه الآية ١٤ : خالصة لي وابتغاء مرضاتي .

(٣) سورة آل عمران ٣٩

(٤) سورة مريم عجز الآية ٣١

(٥) وهو الامتناع عن شهوتي البطن والفرج من العشاء إلى المغرب كما كان عندهم أو من الفجر إلى المغرب كما هو عندنا .

(٦) سورة البقرة ١٨٣ .

(٧) سورة البقرة ١٨٧

أحبارهم عليهم عشرة أيام، ثم مرض أحد أحبارهم فنذر إن شفاه الله أن يزيد في صومهم عشرة أيام ففعل - فصار خمسين يوما، فصعب عليهم في الحر فنقلوه إلى الربيع، واختار هذا القول النحاس.

وقال مجاهد : كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل أمة ، ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ وهم اليهود - ثلاثة أيام ( أى من كل شهر ) ويوم عاشوراء ثم نسخ هذا في هذه الأمة بشهر رمضان .[1]

وأيا ما كان الأمر فقد فرض الله عليهم الصوم لما له من منافع ، ولكنهم ضيعوه[2] .

٢٢٦ - كما فرض الله عليهم الجهاد - لأنه ضروري لكل رسول يدعو إلى الحق - فقد سبق[3] ذكر أن موسى عليه السلام طلب منهم بأمر ربه دخول الأرض المقدسة ، ولكنهم أحجموا خوفا ممن فيها ، وضرب عليهم التيه ، ثم دخلوها بعد ذلك . وقد طلبوا[4] من نبي لهم أن ينصب عليهم ملكا يقاتلون تحت لوائه ، فقال لهم : ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5]

**حرمة الدم :**

**٢٢٧** - وقد كفلت شريعة بني إسرائيل حرمة الدم وذلك :

حيث حرمت قتل النفس إلا بالحق ، وجعلت كما يقول ابن عباس من قتل نفسا واحدة وانتهك حرمتها مثل من قتل الناس جميعا ، ومن ترك قتل نفس واحدة

---

(١) تفسير القرطبي ٢/ ٢٧٤ ، ٢٧٥

(٢) وقد ذكر صاحب كتاب «وعد الله واسرائيل ص ٥٩ ، ٦٠ أنواع صيامهم الحالي وهي مختلفة كل الاختلاف عن الصيام الذي فرضه الله .

(٣) فقرات ٣٢ - ٣٧

(٤) فقرات ٤٢ - ٤٧

(٥) البقرة ٢٤٦

وصان حرمتها ،واستحياها خوفا من الله مثل من أحيا الناس جميعا ، يقول الله تعالى مشيرا إلى جريمة القتل التي ارتكبها ابن آدم عليه السلام حين قتل أخاه : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1] .

وقد أخذ الله عليهم الميثاق ألا يسفك بعضهم دم بعض ، وألا ينفيه أو يسترقه ، وقد أقروا بهذا الميثاق وشهدوا بقلوبهم عليه ، ولكنهم لم ينفذوا حرفا منه - كما سنرى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾[2]

٢٢٨ - وحيث شرعت القصاص العادل في كل شيء ، فقد كتب الله عليهم في التوراة ما يحكيه القرآن الكريم : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[3]

ويذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن بني إسرائيل أهملوا القصاص ولم يطبقوه ، فكانوا لا يقتلون النضيري بالقرظي ، ويقتل به القرظي ، فلما جاء الاسلام راجع بنو قريظة رسول الله ﷺ في ذلك ، فحكم بالاستواء ، فقال بنو النضير قد حططت منا فنزلت الآية[4] .

٢٢٩ - وتغليظا عليهم لم يجعل الله في شريعتهم الدية - لكثرة جرائمهم - ففي القرطبي[5] : ( روى البخاري والنسائي والدار قطني عن ابن عباس قال : كان في بني إسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية فقال الله لهذه الامة : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه

---

(١) سورة المائدة : ٣٢

(٢) سورة البقرة : ٨٤

(٣) سورة المائدة : ٤٥ فمن تصدق به : أي بالقصاص كان ذلك التصدق كفارة له .

(٤) تفسير القرطبي ٦/ ١٩١

(٥) تفسير ٢/ ٢٤٤ ، لا تقبل الدية في القتل العمد كما في شريعتنا وإنما يتعين القود .

شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » فالعفو أن يقبل الدية في العمد ) .

وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني يضع الأثقال التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل تعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية . اللهم إلا إذا لم يعرف القاتل فتكون القسامة . . .

٢٣٠ ـ وقد جاءت شريعتهم بالقسامة ـ كما هو الحال في شريعتنا ـ وهي أنه إذا وجد قتيل لا يعلم قاتله أجريت القسامة على أهل البلدة التي وجد في طرفها أو بالقرب منها ، واذا كان بين بلدين أجريت على أقربهما مسافة من مكان جثته ، والقسامة أن يستحلف ولي الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة ، فيحلفون أنهم ما قتلوه ، ولا علموا له قاتلا ، وعندئذ يسقط القصاص وتجب الدية على أهل البلدة جميعا يدفعونها متضامنين .

غير أننا نجد في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التثنية ( إذا وجد قتيل في الأرض . . لا يعلم من قتله يخرج شيوخك وقضاتك ، ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل ، فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير ، وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واد دائم السيلان ، لم يحرث فيه ولم يزرع ، ويكسرون عنق العجلة في الواد . . . ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي ، ويصرخون ويقولون : أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر ) .

وهذا إجراء غريب قد أقحم على إجراءات القسامة فنحر العجلة وغسل أيديهم عليها بالماء الملوث بدمها ، لا يصلح أن يكون رمزا للبراءة ، بل انه لرمز للاقتراف ، ويلاحظ أن العجلة التي ذكرها السفر فيها صفتان من صفات البقرة التي أمروا بذبحها على لسان سيدنا موسى ـ وسيأتي في الباب التالي ذكر قصتها ان شاء الله ـ كما يلاحظ أن محرري السفر قد اختلط عليهم ، فجعلوا ذبح العجلة جزءا من القسامة مع أنه غريب عنها كل الغرابة[1] .

---

(١) الأسفار المقدسة د . وافى ٣٨

## ٢٣١ ـ حرمة العرض :

وقد كلفت شريعتهم حرمة العرض فحرمت الزنى ، وجعلت عقوبة الزاني الرجم ، فالمفسرون[١] يذكرون أن سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾[٢] هو زنى اليهود يين وقصة الرجم[٣] وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال : مر على النبي ﷺ بيهودى محمما [٤] مجلودا فدعاهم فقال : ( هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ) قالوا : نعم، فدعا رجلا من علمائهم فقال له : ( أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : لا . . ولولا أنك نشدتني لم أخبرك ـ نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : ( اللهم إني أول من أحيي أمرك إذ أماتوه ) فأمر به فرجم . فأنزل الله : « يأيها الرسول لا يحزنك » الى قوله : « إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا » يقول : ائتوا محمدا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا ،وقد روى أن العقوبة لا تثبت إلا بشهود أربعة يشهدون أنهم رأوا كذا في كذا منها كما في شريعتنا ، وأن الرجم للمحصن بدليل الرواية : . . . . . ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن ؟ »[٥] .

---

(١) تفسير القرطبى ٦/ ١٧٦ وما بعدها .

(٢) سورة المائدة من الآية ٤١

(٣) تفسير القرطبى روي الأئمة مالك والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود قال ابو داود عن جابر بن عبدالله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : (ائتوني باعلم رجلين منكم فجاءوا بابني صوريا فنشدهما الله تعالى (كيف تجد ان أمر هذين في التوراة ) ؟ يشير إلى رجل وامرأة قد زنيا ـ قالا : نجد في التوراة اذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة رجما ، قال: (فما يمنعكما أن ترجموهما)؟ قالا : ذهب سلطاننا فكرهنا القتل . فدعا عليه السلام بالشهود فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة، فأمر عليه السلام برجمهما .

(٤) طلى وجهه بالفحم .

(٥) تفسير القرطبى ٦/ ١٧٨ ، نيل الأوطار ج٧ ص ١٠٦

٢٣٢ ـ وصونا للأعراض وحفاظا عليها سنت شريعتهم الزواج كما سنته كل الشرائع إذ هو من الضروريات التي لا محيص عنها .

غير أننا نجد إحدى فرقهم ، وهي فرقة الحسديين[١] تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء ، وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت ترى أن الزواج واجب ديني لكل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل ، لأن كليهما على حد تعبيرهم ( يطفىء نور الله ، وينقص ظله في أرضه ، ويبعد رحمته عن إسرائيل ) ، بل لقد رأى بعض فقهائهم أن من يبلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج[٢] .

## ٢٣٣ ـ حرمة المال :

حرمت شريعة بني إسرائيل عليهم ـ صونا للمال ـ السرقة ، وجعلت حد السارق القطع أي قطع اليد كما هو الحال في شريعة محمد ﷺ يشير إلى ذلك قوله ﷺ فيما يروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها[٣] ، ( . . . . . أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، فمن كان قبل يشمل اليهود والنصارى . .

بل إننا لنجد الحكم السائد لدى سيدنا يعقوب عليه السلام وبنيه أن من يسرق يأخذه صاحب المتاع المسروق عبدا رقيقا ، كما حدث لسيدنا يوسف عندما أرادت عمته أن تبقيه معها لمزيد حبها له ـ وقد طلبه أبوه منها ـ فقد وضعت منطقة ورثتها عن أبيها اسحق عليه السلام تحت ثيابه دون أن يشعر ثم أعلنت أنها افتقدت المنطقة فأخذوا يبحثون عن سارقها حتى وجدوها تحت ثياب سيدنا يوسف ، فقالت : هو عبدي إذا ، واستبقته معها حتى ماتت ، وكما حدث أيضا أن سيدنا

---

(١) فرقة حديثة لم تظهر إلا حوالي القرن الثاني قبل الميلاد ، وهي إحدى الفرق الثلاث التي بقيت من الفرق العديدة لليهود في العصور الأخيرة السابقة للميلاد ، والحسديين «من كلمة «حسديم» العبرية بمعنى المشفقين . .) .

(٢) الأسفار المقدسة د. وافى ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، «قصة الراج والعزبة في العالم» للدكتور وافى ٦ ، ٧ ، ٥٥ .

(٣) رواه البخاري ومسلم كتاب الحدود باب حد السرقة

يوسف لما أراد أن يستبقي معه أخاه بنيامين جعل المكيال في رحله ثم أعلن أن إخوته سارقون ، وطلبوا منهم أن يحكموا على السارق فقالوا : جزاؤه عندنا أن يسترق ، « من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين » على ما سيأتي ف٣١٨ -

٢٣٤ - كما حرمت شريعتهم عليهم أكل أموال الناس بالباطل ، وأكل السحت، وأخذ الربا ، قال تعالى في صدد تعداد ظلمهم الذي كان من سببه تحريم بعض الطيبات عليهم ، وذلك أنهم كانوا يعرضون عن دين الله وهو الايمان بمحمد ، ويصدون الناس عنه ، ويأخذون الربا مع أنهم نهوا عنه في التوراة ، ويأكلون المال بالباطل كالرشوة والاغتصاب ، وقد أعد الله للكافرين منهم عذابا أليما : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(١)

كما ذمهم الله لأنهم كثيرو الأكل للسحت ، وهو المال الحرام ، وسمى سحتا لأنه يسحت الطاعات أي يذهبها ، ويستأصلها قال سبحانه : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾(٢) وقال : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾(٣) .

٢٣٥ - كما أوجبت شريعتهم - حفاظا على المال - العوض عما أتلف منه ، نرى ذلك في الحادثة التي حكم فيها داود وسليمان عليهما السلام ، وذلك أن غنما لقوم أقبلت ليلا على مزرعة ، ولم يكن معها راع فأفسدت الزرع وأتت عليه ، فاحتكم أصحاب الزرع الى سيدنا داود ، وقالوا : لقد حرثنا أرضنا وزرعناها وتعهدنا هذا الزرع حتى إذا آن أوان حصاده جاءت غنم هؤلاء فأتت عليه ، فقال لأصحاب الغنم : أحق هذا ؟ قالوا : نعم ، فقدر المزرعة والغنم فكان الثمنان متقاربين ، فقال لأصحاب الغنم : ادفعوا غنمكم لأصحاب المزرعة عوضا عن زرعهم ، فقال

(١) سورة النساء الآيتان ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٤٢ .

(٣) سورة المائدة ٦٢ ، ٦٣ ، لولا : أفلا ، الربانيون : العلماء الحكماء ، الأحبار: الفقهاء .

سليمان عليه السلام وكان حاضرا : إن أذنت لي يا أبت تكلمت ، فقال له : تكلم ، فقال : ليأخذ أصحاب المزرعة الأغنام ينتفعون بأصوافها وألبانها ونتاجها ، حتى يزرع أصحابها المزرعة فإذا استوى الزرع على سوقه ، وحان وقت حصاده أخذوا أغنامهم ، وسلموا المزرعة لأصحابها . فقال له سيدنا داود : وفقت يا بني وأنفذ ما قضى به . ا ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[1]

٢٣٦ ـ وهكذا تبين لنا أن شريعتهم التي جاء بها أنبياؤهم تقرر أن الناس جميعا سواسية أمام الله والقانون ، كما أنها تحرم قتل النفس إلا بالحق ، وإخراج الناس من ديارهم ، وتحرم الزنى والربا وأكل المال بالباطل . ولكنهم ضيعوا ذلك كله وأهملوه ، فالشريعة التي ينتهجونها والمسطرة في توراتهم المزعومة تقوم أساسا على التفرقة العنصرية ، فتجعل اليهود الشعب المختار الذي اصطفاه الله وفضله وتنظر الى بقية الشعوب على أنها وضيعة ، وبذلك لا تسوى بينها وبين بني إسرائيل أمام القانون وفي كثير من شئون الاجتماع ، بل وأعجب من هذا نراهم يستحلون دماء وأموال غيرهم من بقية الشعوب ، فسفر التثنية يقرر : أن الاسرائيلي حرام عليه دم أخيه الاسرائيلي وماله ، وإخراجه من داره ، ولكن الواجب عليه غزو جميع الشعوب الأخرى ـ وخاصة شعب كنعان ـ وقتل جميع الرجال البالغين ، واسترقاق النساء والأطفال ، ونهب جميع الأموال : ( وإذا دفعها أي المدينة التي حاصروها » الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا . . . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمةً ما[2] .

٢٣٧ ـ ولم يحترم بنو إسرائيل في معاملاتهم حتى هذه القوانين التي وضعوها بأنفسهم ، بل فضلوا من كان من بني النضير على من هو من بني قريظة ـ كما ذكر قبل قليل ـ وكما[3] روى النسائي عن ابن عباس قال : كان قريظة والنضير ، وكان

(١) الأنبياء ٧٨ ، ٧٩. نفشت الغنم : رعت ليلا بلا راع .

(٢) إصحاح ٢٠ من سفر التثنية .

(٣) القرطبي ٦/ ١٨٧.

النضير أشرف من قريظة ، وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به ، وإذا قتل رجلا من النضير رجلا من قريظة ودى مائة وسق[1] من تمر ، فلما بعث رسول الله ﷺ ، قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه إلينا لنقتله ، فقالوا بيننا وبينكم النبي - عليه السلام - فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾[2] : النفس بالنفس ونزلت: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[3] .

٢٣٨ - ولم يرعوا كذلك حرمة النفس ، والا يخرجوا الناس من ديارهم ، ومن ذلك ، أنه كان بالمدينة قبيلتا الأوس والخزرج ، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس ، وبنو النضير حلفاء الخزرج ، فإذا اقتتلت القبيلتان عاون كل فريق حلفاءه في قتال الفريق الآخر ، وتخريب دياره وإخراج أهله منه ، فإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له مالا وافتدوه فإذا سئلوا : لم تقاتلونهم ثم تفادونهم ؟ قالوا : نقاتل لننصر حلفاءنا خشية أن يستذلوا ، ونفديهم لأننا أمرنا بفداء الأسرى منا .

ولهذا التناقض العجيب قال الله لهم : أتؤمنون ببعض ما في التوراة من وجوب افتداء الأسرى ، وتكفرون ببعضها الآخر بمخالفة النهي فيها عن القتل ، وعن الاجلاء ، وعن التعاون مع غيركم على هذا ، قال سبحانه ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[4]

٢٣٩ - تعطشهم لسفك الدماء وإشعالهم الحروب .

إن الفظائع التي ارتكبها اليهود الصهاينة مع المسلمين لم تغب ولن تغيب عن ذهن أي مسلم ، فعلى يد هذه الفئة الباغية التي لم تعرف الرحمة ولا الانسانية إلى قلبها سبيلا تعرض العرب الفلسطينيون الأبرياء لكل أنواع الغدر والقتل الجماعي

---

(١) الوسق : ستون صاعا .

(٢) سورة المائدة من عجز الآية ٤٢ .

(٣) سورة المائدة صدر الآية ٥٠ .

(٤) البقرة ٨٥، راجع تفسير هذه الآية في ابن كثير ١٠/١٢٠، ١٢١، وفي تفسير القرآن الكريم ٦٧/١ .

في سبيل إجلائهم عن وطنهم وممتلكاتهم ، وإن دماء الضحايا في مذبحتي دير ياسين وفي قبية التي أخضلت بها أرض الوطن السليب لأكبر شاهد على غدر هؤلاء الصهيونيين، وإجرامهم فقد قتلوا الرجال والولدان والنساء من المسلمين ومثلوا بهم بصورة تقشعر منها الأبدان .

٢٤٠ ـ ولا غرابة في أن نرى صهاينة اليوم متعطشين لسفك الدماء فليس الغدر والاجرام بجديدين على بني إسرائيل ، بل هو خلقهم منذ كانوا يوارثه الأبناء عن الآباء .

فتاريخ بني إسرائيل مليء بكل أنواع الغدر والبطش والفتك . حتى استوجبوا سخط الله والناس ، ولست أقول ذلك لما بيني وبينهم من شنآن، فها هو ذا الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون يقول : ( لم يكن تاريخ اليهود الكئيب غير قصة لضروب المنكرات ، فمن حديث الأسارى الذين كانوا ينشرون بالمنشار أحياء أو الذين كانوا يشوون في الأفران فإلى حديث الملكات اللائي كن يطرحن لتأكلهن الكلاب ، فإلى حديث سكان المدن الذين كانوا يذبحون من غير تفريق بين الرجال والنساء والشيب والولدان[1] ) .

٢٤١ ـ وماذا ننتظر من بني إسرائيل ، وقد دعتهم توراتهم المزعومة إلى قتل كل من بالمدينة التي يحتلونها رجلا كان أو امرأة أو طفلا أو شيخا حتى البقر والغنم والحمير ، بل وأكثر من ذلك عليهم بعد الاستيلاء على المدينة أن يحرقوها بالنار ، ففي سفر يشوع الاصحاح السادس : ( وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ) وفي السفر نفسه الاصحاح الثامن : ( ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار)[2] فأية وحشية بعد هذا ؟ وصدق الله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾[3]

٢٤٢ ـ لقد سبق أن رأينا بني إسرائيل يشعلون نار الحرب بين الرسول الكريم

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ٦ .

(٢) (١) أين هذا من وصية أبي بكر الصديق لجيوشه: (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)؟

(٣) المائدة من الآية ١٣

والمسلمين وبين المشركين كما حدث في أحد والأحزاب ، ونرى اليوم كثيرا من العداوات والشقاق بين بعض الدول العربية ، وليس من سبب لهذا الشقاق إلا ما يبثه اليهود وما يقومون به هم وأعوانهم من دسيسة وإيقاع ، ولقد أوقعوا بين الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم ، فبنو إسرائيل في كل زمن ينتهجون شتى الأساليب ليشعلوا نيران الحرب بين الناس .

ان أدولف هتلر يعترف بأنهم هم الذين ( أشعلوا نيران الحرب العالمية ، وبذروا في داخل الريخ بذور الثورة الحمراء واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالا بارعا[1] . . )

ويعترف أيضا بأن الصراع الذي احتدم في ألمانيا بين الكاثوليك والبروتستنت هو من فعلهم فيقول : ( ولكن اليهودي اشتم رائحة الخطر ، وبادر الى تنظيم الدفاع عن نفسه معتمدا على تكتيته التقليدي فقد أثار إحدى القضايا المذهبية في ثلاث صحف مأجورة : ووقف يتفرج على الجدل الديني العقيم بين الكاثوليك والبروتستنت وعلى ما يترتب على هذا الجدل من انقسام ) ويقول أيضا : ( . . ولأجل تحويل غضب السواد عنه عمل على بذر بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد ، فحرض بافاريا على بروسيا ، وهذه على تلك ، ووقعت كلتاهما في الشرك[3] . . ) ويقول: (لقد رأينا اليهود يدخلون أنوفهم في قضايا العالم الكبرى فكان لهم يد في كل ثورة ذات طابع انقلابي . . )

ومن عجب أننا نجد القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا حيث يقول سبحانه : ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾[4] .

٢٤٣ ـ قتلهم الأبرياء من أصحاب الأخدود :

لم يرع اليهود تحريم قتل النفس ، وأن شريعتهم حملت قاتل النفس الواحدة وزر قاتل الناس جمعا تهديدا ووعيدا ، ولم يبالوا بتهديد أو وعيد ، بل نراهم

---

(١) كفاحي ترجمة الأستاذ لويس الحاج ٣٤١ .

(٢) المصدر نفسه ٣٠٢

(٣) المصدر نفسه ٣٠٢

(٤) سورة المائدة من الأية ٦٤ .

ينقمون من المؤمنين من أهل نجران ، وكانوا قد اتبعوا ديانة عيسى قبل أن يدخلها الالحاد فأراد بنو إسرائيل أن يفتنوهم عن دينهم ، واستعمل الملك اليهودي ذونواس[1] كل أساليب البطش والتعذيب ليرد هؤلاء المؤمنين عن الإيمان بالله العزيز الحميد إلى ما هو فيه من وثنية والحاد ، ولكن المؤمنين لم يفتنوا فأمر جنده فشقوا شقا عظيما في الأرض وأضرموا فيه النيران وجاء بالمؤمنين فلم يرجع أحد منهم عن دين الله ، فجعلوا يلقونهم في النار واحدا بعد الآخر يمتعون أنفسهم برؤيتهم يحترقون ، ولم يصل القلب الإنساني إلى جمود كهذا . . . قال سبحانه في شأنهم قاضيا عليهم بالهلاك والابعاد ، والجمع بين عذاب الدنيا والآخرة : ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[2]

٢٤٤ - وروى ابن جرير عن ابن عباس في أصحاب الأخدود قال : هم ناس من بني إسرائيل خدوا أخدودا في الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء ، فعرضوا عليها ، وهكذا قال الضحاك : هم من بني إسرائيل أخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم أخدودا ، ثم أوقدوا فيها النيران ، فأقاموا المؤمنين عليها فقالوا : تكفرون أو نقذفكم في النار[3].

## ٢٤٥ - قتلهم الأنبياء :

ومن أبشع جرائمهم - عليهم لعائن الله تترى - قتلهم الأنبياء فقد قتلوا زكريا ويحيى وأشعيا[4] عليهم السلام ،وقتلوا حزقيال صلوات الله عليه قتله قاض يهودي لما نهاه عن منكر فعله[5] وحاولوا قتل سيدنا الياس لولا أن آوته أم البسع ، كما دبروا مؤامرة لقتل عيسى عليه السلام لولا أن رفعه الله إليه ، ونفذوا القتل في الشبيه

(١) قصص القرآن ٢٧٦ . محاسن التأويل ١٧/ ٦١١٥.

(٢) البروج ٤ - ١١.

(٣) محاسن التأويل ١٧/ ٦١١٥

(٤) تفسير القرطبي ٤/ ٢٩٦ وسيأتي في الفصل الثاني من الباب الثالث كيف قتلوا زكريا ويحيى - عليهما السلا

(٥) محاسن التأويل ٣/ ٨١٧

ليطفئوا نار الاجرام والعداوة لله ولرسله ، كما دبروا مؤامرة لقتل النبي محمد عليه الصلاة والسلام لولا أن نجاه الله من سوء تدبيرهم .

والمتأمل لآيات القرآن الكريم التي وصفت ارتكابهم هذه الجريمة النكراء يجدها تسع آيات ، جاء الفعل في ست منها بلفظ المضارع وفي اثنتين بلفظ المصدر الذي هو في الأصل فعل مضارع مسبوق بأن أو ما ، وفي مرة جاء بلفظ الماضي ، وهذا يدلنا على أن قتل الأنبياء جبلة فيهم ، وطبع خبيث يتوارثه الأبناء عن الآباء ، فروح الغدر برسل الله تسري في عروقهم منذ أسلافهم الأقدمين إلى أبنائهم المحدثين .

٢٤٦ ـ ففي معرض تكذيبهم وإظهار قساوتهم ، جاء الرد من الله عز وجل ـ عندما طلب منهم الرسول صلوات الله عليه ـ الايمان بما جاء به وهو الحق مصدقا للتوراة ، فقالوا له : إنا لا نؤمن إلا بالتوراة ونكفر بكل ما عداها ـ فرد عليهم سبحانه مقرعا ومكذبا وموبخاً، كيف تكونون مؤمنين بالتوراة وقد قتلتم أنبياء الله من قبل ؟ ووجه الخطاب للحاضرين لأنهم يوالون من قتلوا ، فهم منهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]

٢٤٧ ـ وقد قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام : إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما سبق ف١١٨ .

فرد الله عليهم موبخا ومظهرا أن الكفر سجيتهم وطبعهم لقد جاءكم رسل مؤيدون بالمعجزات ، وكانوا يذبحون القربان ثم يدعون الله فتأتى نار من السماء فتأكله ، ولكنكم كفرتم بهم وقتلتموهم ، فلم كان ذلك منكم لو كنتم صادقين ؟ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2] . .

---

(١) سورة البقرة ٩١

(٢) سورة آل عمران ١٨٣

٢٤٨ ـ وقد بين سبحانه أن الرسل لا يصادفون هوى في نفوس بني إسرائيل بما جاءوا به ، فالرسل يأتونهم بالحق ، ويدعونهم إلى نبذ المفاسد وترك المآثم والشرور ، وهذا لا يوافق ما تهواه نفوسهم ولا يلائمه ، ولذا نراهم يستكبرون عن إجابة هؤلاء الرسل احتقارا لهم ، واستبعادا للرسالة ، ففريقا من هؤلاء الرسل يكذبون ، وفريقا يقتلون .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾(١)

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾(٢)

٢٤٩ ـ وقد حسب هؤلاء الكافرون أن الله لن يبتليهم ويختبرهم بالشدائد ـ اغترار منهم ـ لا دعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ولطول الإمهال ، فعموا عن الهدى ، وصموا عن سماع الحق ، فنزل بهم البلاء ، ووقعت الفتنة ، ثم تاب الله عليهم بإرسال محمد ـ عليه السلام ـ يخبرهم بأن الله يتوب عليهم إن آمنوا ، فعمى كثيرمنهم وصموا عن الحق بعد ما تبين لهم بمحمد عليه السلام ، وليس ذلك بخاف على الله فهو بصير بما يعملون وسيجازيهم عليه،قال سبحانه : ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٣) ﴾

٢٥٠ ـ وما كان لهؤلاء المجرمين أن ينجوا من عذاب الله بعد هذه الجريمة النكراء ، فهذا هو القرآن الكريم يقول للنبي عليه السلام ، بشر الكافرين بآيات الله الدالة على قدرته وصدق نبيه والذين يقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذي يأمرون بالعدل من الناس(٤) بشرهم بعذاب أليم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ

---

(١) سورة البقرة ٨٧

(٢) سورة المائدة ٧٠

(٣) سورة ٧١

(٤) قيل إنهم هم الذين أنكروا عليهم قتل الأنبياء فعدوا عليهم وقتلوهم .

اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

٢٥١ ـ وهذا الذنب العظيم لن يضيع ولن ينسى ، فهو مكتوب مع وصفهم لله بالفقر ، وسوف يعرض الكتاب وفيه هاتان الجريمتان البشعتان ويكون الجزاء أن يلقوا في نار جهنم ، وتقول لهم الملائكة توبيخا وتحقيراً : ذوقوا عذاب الحريق .

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[2]

٢٥٢ ـ وهم بهذا الصنيع ونقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم وكفرهم بآيات الله قد استوجبوا لعنة الله والطرد من رحمته ، وقد قضى عليهم سبحانه بالذل فأينما وجدوا يكونوا محتقرين مستضعفين ، اللهم إلا أن يقوم لهم شأن بالمساعدات من الناس لأمر يريده الله وقد استحقوا غضب الله في الدنيا والآخرة ، قال سبحانه :
﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[3]

وقال سبحانه : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ . . . ﴾[4] .

أي لسبب ذلك كله كان ما كان من غضب الله عليهم ولعنهم وطرد هم من رحمته ، فلم يذكر الله المسبب لتذهب النفس فيه كل مذهب .

٢٥٣ ـ وقد جاء بجانب قتلهم للأنبياء قوله تعالى : « بغير حق » أربع مرات ، و« بغير الحق » مرة ، وقال القرطبي[5] في تفسير ذلك : « بغير حق » : تعظيم للشنعة والذنب الذي أتوه ، فإن قيل : هذا دليل على أنه قد يصح أن يقتلوا

---

(١) سورة آل عمران ٢١ .
(٢) سورة آل عمران ١٨١ .
(٣) سورة آل عمران ١١٢ .
(٤) سورة النساء صدر الآية ١٥٥ .
(٥) ١/٤٣٢ .

بالحق ، ومعلوم أن الأنبياء معصومون من أن يصدر منهم ما يقتلون به ، قيل له : ليس كذلك ، وإنما خرج هذا مخرج الصفة لقتلهم ، أنه ظلم وليس بحق ، فكان هذا تعظيما للشنعة عليهم . . . فإن قيل : كيف جاز أن يخلي بين الكافرين وقتل الأنبياء ؟ قيل : ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين،وليس ذلك بخذلان لهم .

٢٥٤ ـ ولم يرع بنو إسرائيل كذلك حرمة العرض وتحريم الزنى ، بل آل الأمر بهم عندما انتكست عقيدتهم ـ أن يعدوا ضروب البغاء تكريما لعشتروت إلههم ـ فقد جاء في كتاب اليهود في تاريخ الحضارات الأولى[1] : « وأريد لدى بني إسرائيل كما عند كل شعب ذي غلمة خلط أفظع الملاذ بالطقوس المقدسة ، وموافقة الشريعة على هذه الملاذ ، فغدت ضروب البغاء تكريما لعشتروت ،وغدا الانهماك في السكر على بسط الأزهار ، وتحت ظلال شجر الزيتون في الليالي الرطيبة نوعا من العبادة التي لم تفتأ تمارس آنئذ في فلسطين على الرغم من غضب الأنبياء » ويقول صاحب الكتاب نفسه ( وما في الفصل الثامن عشر من سفر اللاويين من المحظورات ، كسفاح ذوي القربى واللواط ومواقعة الرجال والنساء للبهائم وما إلى ذلك من الأمور التي ( لم تنص على تحريمها ) معظم الشرائع لعدم فائدة ذلك ، ليدل على درجة غلمة الشعب اليهودي[2] .

٢٥٥ ـ إشاعتهم الفساد والزنى :

لا خلاف بين الناس في أن رباط الأمة الوثيق هو الخلق ، فهو الدرع الواقية التي تحميها من التدهور والانحلال والضعف ، وقد حرصت كل الشرائع السماوية على الأخلاق ، حتى إننا لنرى الرسول الكريم يقول : ( إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[3] ) وقد قرر الشاعر العربي أن الأمم هي الأخلاق فإذا بقيت الأخلاق بقيت الأمم ، وإذا تقوضت تقوضت يقول شوقي :

---

(١) غوستاف لوبون ترجمة الأستاذ عادل دعيتر .

(٢) المصدر نفسه

(٣) مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٨١ طبع المكتب الإسلامي بيروت ، ومن الموطأ كتاب حسن الخلق: لأتمم حسن الأخلاق)

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا .

فهم بنوا إسرائيل هذه الحقيقة ، فكان من أهدافهم المرسومة تقويض الأخلاق عند غيرهم بإشاعة المفاسد لإضعافه والسيطرة عليه ، فقد جاء في كتابهم ( بروتوكول حكماء صهيون ) الذي وضعوا فيه مخططاتهم السرية ( . . . إن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين ، والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف[1] ) .

٢٥٦ ـ وقد اعترف هتلر بهذا حيث يقول( فمنذ أن وضع اليهود والبلاشفة نصب أعينهم تقويض صرح الدولة الألمانية رأينا الرذيلة تنصب شراكها في طريق الشبيبة الألمانية كيفما اتجهت وأنى وجدت ، ورأينا عرش الاباحية والخلاعة يتصب في دور العرض السينمائي والمرابع والحانات وحتى في الساحات العامة ، وكيف يرجى من شبيبة هذا شأنها أن تهب للذود عن الوطن ، وأن تستميت في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده[2] . . . )

٢٥٧ ـ وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا حيث يقول سبحانه واصفا اليهود بسعيهم في الأرض بالفساد ، ومقررا أنه لا يحبهم لأنه لا يحب المفسدين ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[3]

ثم نهاهم سبحانه بعد أن أنعم عليهم بانزال المن والسلوى، وبتفجير الحجر ماء من ضربة موسى عليه السلام ، كما دعاهم لأن ينعموا بالمأكل والمشرب ونهاهم عن أن يعيثوا في الأرض الفساد ، فقال : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[4].

٢٥٨ ـ إهمالهم حرمة المال : إستحلالهم أموال غيرهم وأكلهم السحت وأخذهم الربا .

(١) نقلا عن كتاب اليهود في القرآن ٤٧ .
(٢) كفاحي ١٤٦ ، ١٤٧ ،
(٣) المائدة عجز الآية ٦٤ .
(٤) البقرة عجز الآية ٦٠ .

تقرر توارة اليهود المزعومة أن من الواجب على الاسرائيليين غزو الشعوب الأخرى ، وضرب رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف ، واسترقاق جميع نسائها وأطفالها ، ونهب جميع مالهم من مال وعقار ومتاع[1] .

ولم ينته بنو إسرائيل عن الربا وأكل مال الناس كما نهاهم الله ، بل أصبح هذا عملهم المفضل تجاه الأجانب في كل زمن ، وذلك حسبما تقرر شريعتهم ، ففي سفر التثنية(لاتقرض أخاك بربا ـ ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا . للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك)[2] .

وقد عاقبهم الله بتحريم بعض الطيبات بسبب ظلمهم وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل كما أسلفنا ف ٢٢١ .

**٢٥٩ ـ ما حرم عليهم من الطعام .**

كانت كل الأطعمة حلالا لبني إسرائيل ومن قبلهم حتى مرض يعقوب عليه السلام بمرض آلمه ، فنذر إن شفاه الله ـ أو وصف له بعض الأطباء ـ أن يدع لحوم الإبل وألبانها ، فحرمها على نفسه ، وحرمها بنوه كما حرمها ، وظل الحال كذلك حتى جاءت التوراة فأحلت لحوم الإبل .

ويذكر أبو السعود في تفسيره ، أن اليهود لما حرم الله عليهم ما حرم عقابا لهم قالوا : لسنا أول من حرمت عليه ، وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا ، فرد الله عز وجل ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ فقالت اليهود[3] : إنما نحرم على أنفسنا لحوم الابل لأن يعقوب حرمها وأنزل الله تحريمها في التوراة فأنزل الله : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فلم يأتوا ، فقال عز وجل : ﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4] .

(١) فقرتي ١٣ ، ١٤ من اصحاح ٢٠ من سفر التثنية .
(٢) إصحاح ٢٣ .
(٣) تفسير القرطبي ٤/ ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٤) آل عمران الآيتان : ٩٣ ، ٩٤ .

٢٦٠ ـ وقد حرم الله عليهم فوق تحريمه الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله حرم عليهم كل ذي ظفر ، أي ما ليس بمنفرج الأصابع من الحيوان كالإبل ، ومن الطير كالنعام والإوز والبط ، وحرم عليهم شحوم البقر والغنم ، والمراد بالشحم : الطبقة الرقيقة من الدهن التي تغطي الكرش والأمعاء وتسمى ثربا وشحوم الكليتين .

ويستثنى من الشحوم : الشحم الذي علق بظهور البقر والغنم ، والشحوم التي اشتملت على الأمعاء والتفت عليها ، والشحوم التي اختلطت بالعظام كشحم الألية لاتصالها بالعصعص ، وكان هذا التحريم جزاء لليهود على ظلمهم ، وإن هذا لصدق كغيره من الأخبار التي يرويها الله للرسول ، ولكن اليهود ينكرون اختصاصهم بذلك ، فان كذبوك فيما حدثت به عنا فقل لهم : إن ربكم واسع الرحمة يمهلكم ولا يعاجلكم بالعذاب ، ولكن عقابه لا راد له سواء في الدنيا أو الآخرة : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1]

٢٦١ ـ وهذه المحرمات هي ما أكدها الله عز وجل في سورة النحل بقوله : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2] وهي المعنية أيضا بقوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[3].

وظلت هذه الأشياء محرمة عليهم حتى أحلها سيدنا عيسى عليه السلام ، كما أحل العمل يوم السبت وكان حراما عليهم ـ كما سيأتي قريبا ـ ولهذا يقول لهم : يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم أو من بالتوراة ، وأحل لكم بعض ما حرم عليكم بسبب ظلمكم ، وقد جئتكم بمعجزات تدل على صدقي فاحفظوا أنفسكم من

---

(١) الأنعام آيتي ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) الاية ١١٨

(٣) النساء صدر الآية ١٦٥ .

عذاب الله واتبعوني : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[1].

٢٦٢ - تشديد الله عليهم :

ومن الأمور التي شدد الله بها عليهم وكانت في شريعتهم، حرمة الغنائم، كما في حديث (أعطيت خمساً)[2]، وقرض الثوب إذا أصابته نجاسة، كما حرموا على انفسهم مجالسة الحائض أو مؤاكلتها أو مضاجعتها- من غير جماع - وقداستن بسنتهم عرب المدينة وما والاها حتى سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ونزلت آية الحيض، ففي صحيح[3] مسلم عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن - يساكنوهن - في البيوت فسأل أصحاب النبي النبي عليه السلام عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[4] فقال عليه السلام: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه)[5].

٢٦٣ - حرمة العمل يوم السبت وعقاب الذين اعتدوا فيه:

فرض الله على اليهود والنصارى أن يعظموا يوم الجمعة، ولكنهم اختلفوا فاليهود يعظمون السبت والنصارى يعظمون يوم الأحد، فقد قال عليه السلام: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد)[6] وقال محمد بن اسحق عن داود بن أبي الحصين عن عكرمة قال: قال ابن عباس: ان الله انما افترض على بني اسرائيل اليوم الذي افترض عليكم

---

(١) آل عمران ٥٠.

(٢) البخاري كتاب الصلاة، مسلم كتاب الصلاة جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا

(٣) كتاب الحيض

(٤) البقرة ٢٢٢

(٥) صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب : في قوله تعالى : ﴿ ويسئلونك عن المحيض ﴾ الآية .

(٦) البخاري : كتاب الجمعة

في عيدكم «يوم الجمعة» فخالفوا الى السبت فعظموه وتركوا ما أرموا به فلما أبو الا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره[1] .

وفي ذلك يخبرنا الله في كتابه الكريم إنه قال لهم : لا تعتدوا وتخالفوا ما نهيناكم عنه فتعملوا يوم السبت، وقد أخذ منهم الميثاق المؤكد على هذا. حيث يقول سبحانه : ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

٢٦٤ ـ وما كان بنو اسرائيل لينتهوا عما نهاهم الله عنه من العمل يوم السبت، وهم الذين مردوا على العصيان، فها هم أولاء أهل قرية (أيلة)[3] بين مدين والطور على ساحل البحر الأحمر وقد أراد سبحانه أن يبتليهم ويختبرهم هذا الاختبار الشديد بسبب فسقهم حتى يظهر عدوانهم فيستحقوا المؤاخذة، كان السمك حسبما تعود من عدم صيدهم له يوم السبت أو بإيحاء من الله ـ يأتيهم في ذلك اليوم ظاهرا على وجه الماء قريبا من الساحل، وفي بقية أيام الأسبوع لا يأتيهم، يقول الله لنبيه: سل الإسرائيليين المعاصرين لك سؤال تقريع وتوبيخ وتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله، وإعلامهم بأن هذا لا يكون إلا بوحي عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[4] .

٢٦٥ ـ ثم بين سبحانه تماديهم في العدوان، وعدم ازدجارهم رغم العظات والانذارات، فقد كانوا ثلاث فرق، فرقة عاصية معتدية، وهي التي كانت تحتال فتحفر أحواضا يدخل السمك إليها ولا يستطيع الخروج منها فيصطادونه يوم الاحد، أو كانت تصيد يوم السبت وتترك الشباك في الماء فلا تخرجه إلا يوم الأحد، ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع لا يبتلى،حتى كثر صيد الحوت ومشى به في الاسواق، وجاهر الفسقة بصيده، وفرقة مؤمنة كانت دائما تعظ هؤلاء المعتدين،

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٠٦

(٢) النساء عجز الآية ١٥٤ .

(٣) محاسن التأويل ٧/ ٢٨٨٧ .

(٤) الأعراف ١٦٣ ، الحيتان: السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمك، شرعا: جمع شارع من شرع : دنا يقال شرع علينا فلان: دنا وأشرف علينا .

وتحذرهم مغبة عصيانهم ولكن وعظهم هذا ذهب أدراج الرياح، فلم يسمعوا له بل أعرضوا عنه أعراض من لم يسمع شيئا، وان كان قد سمع فانه نسي كل شيء، وفرقة ثالثة كرهت المنكر، ولكنها لم تستحسن ان يستمر الواعظون في وعظ هؤلاء الظالمين المهلكين، فقالوا للواعظين: لم تبذلون النصح وتكررون الوعظ والتحذير لقوم مهلكين بل ومعذبين عذابا شديدا؟ فقال الواعظون: انما نفعل ذلك لنعذر أمام الله، فلا ينسب الينا تفريط، ورجاء ان يثمر النصح فيهم فيكفوا عما هم فيه، وينيبوا إلى الله ويتقوه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]

٢٦٦ - ولما تمادى العاصون في عصيانهم، وتكبروا وأبوا أن يتركوا مانهوا عنه، وأن يستمعوا لنصائحهم نجى الله الناهين عن السوء وأخذ الظالمين بعذاب شديد بسبب فسقهم وفعلهم المنكر، وكان ذلك العذاب أن مسخهم الله قردة وخنازير: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ[2]﴾. أي صاغرين أذلاء مبعدين من الناس، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[3] قال الزجاج:[4] أمروا أن يكونوا كذلك بقول سمع، وقال غيره: المراد بالأمر هو الأمر التكويني كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5]

٢٦٧ - ويروى بعض العلماء ان العاصين اصبحوا ذات يوم فاذا هم قردة تتعاوى، وأنها كانت تعرف انسابها من الانس، ولا يعرف الانس أنسابهم منها، فجعلت القردة تأتي نسبها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم ننهكم؟ فتقول برأسها: بلى. وقال قتادة: صار الشباب قردة والشيوخ خنازير[6]. ومما يشفع لرأي قتادة قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ

(١، ٢) الأعراف ١٦٤ - ١٦٦ .

(٣) البقرة ٦٥ .

(٤) محاسن التأويل ٧/ ٢٨٨٩ .

(٥) يس ٨٢ .

(٦) القرطبي ١/ ٤٤٠ .

عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] وهؤلاء الممسوخون ما أكلوا وما شربوا ولا نسلوا ولا عاشوا أكثر من ثلاثة أيام فليس القردة اليوم ولا الخنازير من نسلهم، وانما كانت قبل ذلك ويرى البعض الآخر وعلى رأسهم مجاهد[2] أنه: انما مسخت قلوبهم فقط وردت أفهامهم كأفهام القردة.

٢٦٨ ـ ومهما يكن من أمر فان الله قضى على هؤلاء بالابعاد والخزي فصاروا منبوذين من الناس، فالانسان انسان بعقله وفهمه وجوهره لا بصورته، والقرد والخنزير ممقوتان لنفسيهما لا لصورتيهما، وقد ذكر الإمام ابن القيم في (إغاثة اللهفان): ومعلوم أنهم لم يستحلوا الصيد يوم السبت تكذيبا لموسى، ولا كفرا بالتوراة، وإنما هو استحلال تأويل، واحتيال ظاهره ظاهر الايفاء وباطنه باطن الاعتداء، ولهذا ـ والله أعلم ـ مسخوا قردة لأن صورة القردة فيها شبه من صورة الإنسان، وفي أوصافه شبه منهم، وهو مخالف له في الحد والحقيقة، فلما نسخ أولئك المعتدون دين الله بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين في بعض ظاهره دون حقيقته ـ مسخهم الله قردة يشبهونهم في بعض ظواهرهم دون الحقيقة ـ جزاء وفاقا»[3].

٢٦٩ ـ وهذه المحرمات كلها هي الإصر والأغلال أي الشدة التي وضعها عنهم الرسول عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[4] فقد قال المفسرون: إنها حل الدية ـ ولم يكن فيهم الا القود ـ وجواز غسل موضع النجاسة بدل قرضه، وحل الغنائم وحل مجالسة الحائض ومؤاكلتها ومباشرتها ما عدا الجماع، وحل أكل لحوم الابل والبط والاوز وشحوم البقر والغنم، وحل العمل يوم السبت وهي نفسها التي طلب الرسول عليه السلام كما يطلب المؤمنون الا يحملنا الله مثلها في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[5].

---

(١) المائدة ٦٠.

(٢) القرطبي ١/ ٤٤٣، محاسن التأويل ٧/ ٢٨٩٠.

(٣) محاسن التأويل ٧/ ٢٨٩١

(٤) سورة الأعراف من الآية ١٥٧

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٨١ أي آخر آية، الأصر: الأمر الغليظ الصعب أو شدة العمل، الثقل، العهد، تفسير القرطبي ٣/ ٤٣٣.

# الباب الثالث

## قصصهم وأنبياؤهم ومزاعمهم وأخلاقهم

# الفصلُ الأوّل

## قصصهم

* البقرة
* من خرجوا من ديارهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم
* طالوت
* عزير
* قارون
* مريم البتول

## البقرة (١)

٢٧٠ ـ كان في بني إسرائيل رجل ثري، ذو مال وافر، ولم يكن له وارث إلا ابن أخيه، واستبطأ الفتى أجل عمه، فطوعت له نفسه أن يقتله كي يتمتع بالثروة وينعم بالمال، فاحتال عليه حتى أتى به قريبا من إحدى القرى وقتله، ثم عاد الى محلته، وفي الصبح طالب أهل هذه القرية بدمه فقالوا: لم نقتله ولا علم لنا بقاتله. والتف حول الفتى أنصاره ليشدوا أزره في المطالبة بدم عمه، وتنازع الفريقان حتى كادوا يقتتلون.

ثم رأى ذوو الحجا منهم أن يحتكموا الى موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ (٢) فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٣) فلما جاءوا سيدنا موسى، وطلبوا منه أن يسأل ربه عن القاتل كان أمر الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا الميت بجزء منها، فيحيا بأمر ربه، ويخبر عمن قتله، فلما قال لهم سيدنا موسى ذلك قالوا له: أتهزأ بنا يا موسى؟ فقال: معاذ الله أن أكون من أهل الجهل فاهزأ بعباده أو أسخر بأمر الرسالة: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾(٤)

٢٧١ ـ ولو أن بني إسرائيل ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، ولكن كيف يمتثلون وهم أهل لجاجة؟ لقد قالوا: نريد يا موسى ان نعرف أصغيرة هذه البقرة أم كبيرة؟ فسأل ربه فقال: لا كبيرة ولا صغيرة، وانما وسط بين هذا وذاك فامتثلوا لأمر الله: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ

---

(١) وهي التي سميت بها ثاني وأطول سورة من سور القرآن الكريم، ووردت في الآيات ٦٧ ـ ٧٤.

(٢) ادارأتم: تنازعتم أو أخذ كل فريق يدفع التهمة عن نفسه ويلقى بها على غيره، ولعل في التعبير بالجمع في «قتلتم»، «تكتمون» ما يوحي أن الجريمة لم تكن فردية وإنما كانت جماعية.

(٣) البقرة ٧٢ (٤) البقرة ٦٧

﴿ ذَٰلِكَ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴾ [1] فقالوا يا موسى إن البقر المتوسط كثير، ونريد أن نعرف لونها فسل ربك عنه فقال لهم: إنه يقول: إنها صفراء شديدة الصفرة، يسر منظرها من يراها: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ [2]. وعاد بنو اسرائيل ـ لأنهم جبلوا على المماطلة وعدم الامتثال ـ عادوا يسألون موسى: ادع لنا ربك يبين لنا: أهي ذلول تحرث وتسقى ام سائمة لتسمن وتذبح؟ فان البقر تشابه علينا لكثرته، وإن شاء الله اذا بينتها لنا سنهتدي اليها، واخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لولا أن بني إسرائيل قالوا: وإنا إن شاء الله لمهتدون» ما أعطوا أبداً [3] فقال لهم سيدنا موسى إن الله يقول: إنها بقرة غير مذللة لحرث أو سقي، سليمة من العيوب، وليست بها أية علامة من بياض أو سواد، فقالوا له: الآن وضحت أمامنا صفاتها: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ ﴾. [4]

٢٧٢ ـ أخذ بنو اسرائيل يبحثون عن هذه البقرة، وجدّوا في طلبها حتى وجدوها عند فتى كان أشد ما يكون الولد برا بوالديه، وكان أبوه رجلاً صالحا، وذات يوم قالت له امه: يا بني إن والدك في أخريات حياته كان قد ترك في المكان الفلاني عجلة وطلب من ربه أن يحفظها لتكون لك فاذهب الى هذا المكان وأحضرها لتبيعها وتنتفع بثمنها، فذهب وأحضرها وكانت هي التي وصفها الله لبني اسرائيل، فلم تنطبق هذه الصفات الا عليها، فاشتراها بنو اسرائيل بأغلى ثمن ـ ولعل الله بذلك يريد مكافأة الوالد والولد لصلاحهما ـ ثم ذبحوها: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ قال الضحاك [5] عن ابن عباس: كادوا ألا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا، لأنهم أرادوا ألا يذبحوها، يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذم لهم، فلم يكن لهم من غرض إلا التعنت.

---

(١) البقرة (٦٨) (٢) البقرة (٦٩)

(٣) الدر المنثور ١/ ٧٧ (٤) البقرة (٧١)

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ١١١.

٢٧٣ ـ ثم ضربوا الميت، ضربه سيدنا موسى أو أحد بأمره، بجزء منها فعادت اليه الحياة بقدرة الله، وأعلن اسم قاتله وعاد ميتا، فعوقب القاتل بالقتل وحرم من الميراث، وبهذه القدرة يحيى الله الموتى يوم القيامة فان من يقدر على إحياء نفس قادر على إحياء الأنفس كلها، كما قال سبحانه: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾(١) ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

٢٧٤ ـ وقد كان الأجدر ببني اسرائيل بعد هذه المعجزة الحسية الباهرة، والتي ظهرت على يد موسى ـ ان يؤمنوا به إيمانا صادقا أكيدا، ولكن قلوبهم لم تخشع ولم تلن بل بقيت على قساوتها وجفوتها، وصارت كالحجارة في صلابتها بل اشد، لأن من الحجارة ما تنشق منه الأنهار حين خروج الماء، ومنها ما يشقه الماء الرقيق وينفذ منه، ومنها ما يتأثر بقدرة الله فيهبط بفعل جاذبية الارض ومن أثر الصواعق، أما بنو اسرائيل فلم يتأثروا بالعظات والعبر ولم ينفذ إلى قلوبهم شيء من الايمان الصحيح، وما غفل الله عما فعلوا من السيئات، ولكنه سيريبهم بضروب النقم ما داموا لم يتربوا بضروب النعم: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ(٣) اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾. (٤)

٢٧٥ ـ ولا تخفى على المؤمن حكمة الله في هذا الصنيع، فقد اختار سبحانه البقرة بذاتها ولم يختر أي حيوان آخر، تهوينا لشأن العجل الذي عبدوه واتخذوه إلهاً، فالبقرة من جنسه، وأما الحكمة في أن يضربوا الميت بجزء منها ليحيا، فهي أن يحيا القتيل بقتل حي، فيكون ذلك أظهر لقدرته سبحانه، في اختراع الأشياء من أضدادها، وأن قدرته عز وجل على إحياء الموتى لا تتوقف على سبب، وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فيحدث هذا الشيء دون سبب أو عقب سبب لا يتصور العقل ارتباطه به، فكيف يتصور أن يكون ضرب الميت بجزء من ميت آخر سببا في بعث الحياة فيه؟

---

(١) لقمان صدر الآية ٢٨ . (٢) البقرة (٧٣)

(٣) خشية الحجارة لله: انقيادها وتسخيرها لأمره وجريانها حسب نواميس الطبيعة، أو هو كما في محاسن التأويل ٢/ ١٦١ تدكدك الجبل الذي تجلى الله له ليكلم موسى .

(٤) البقرة (٧٤)

٢٧٦ ـ وليس بخاف كذلك ما في هذه القصة من لجج بني اسرائيل وجدالهم بالباطل، وانهم شددوا فشدد الله عليهم، وان فيها تقديما وتأخيرا فكان حقها كما قال الزمخشري[1]: واذ قتلتم نفسا فادا رأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوا الميت بجزء منها، وسر ذلك كما قال: أن كل ما قص من قصص بني اسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من جنايات وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان استقلت كل واحدة منهما بنوع من التقريع، وان كانتا متصلتين متحدتين ـ فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وعدم المسارعة الى الامتثال، وإنما قدمت قصة الذبح على قصة القتل لأنه لو كان العكس لأضحت قصة واحدة، ولذهب الغرض من تثنية التقريع، ولقد روعيت نكتة فبعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها وصلت بالاولى ـ دلالة على اتحادهما ـ بضمير البقرة لا باسمها الصريح «ببعضها» حتى يتبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع، كما أن تأخير مبدأ القصة يؤدي الى التشويق.

من خرجوا من ديارهم حذر الموت فأماتهم الله ثم أحياهم.

٢٧٧ ـ يقول عز من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[2].

يروي جمهرة المفسرين: أن هذه الآية الكريمة تحكي قصة جماعة من بني اسرائيل كانوا بقرية يقال لها (ذاوردان)[3] أمرهم الله على لسان حزقيل النبي عليه السلام بالجهاد فخافوا الموت بالقتل، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، وكلمة ألوف: جمع ألف، وعلى هذا فقد كانوا أكثر من عشرة آلاف، لأن جمع الكثرة لا يقال لعشرة فما دونها، وقال ابن زيد: إن (ألوف) جمع آلف مثل جالس وجلوس، وعلى هذا فالمعنى: خرجوا مؤتلفين: أي لم تخرجهم فرقة قومهم، ولا فتنة بينهم، كما

---

(١) الكشاف ح ١ ص ٢٩٠

(٢) البقرة ٢٤٣ .

(٣) تفسير القرطبي ٣/ ٢٣٠ وما بعدها، داوردان: من نواحي شرقي واسط بينهما فرسخ، تاريخ الطبري ١/ ٤٥٨، التفسير الكبير للرازي ٦/ ١٦٢

يقال: انهم خرجوا فرارا من الطاعون[1].

٢٧٨ ـ ومهما يكن من أمر فقد خرج هؤلاء القوم من ديارهم فرارا من الموت، وتركوا أوطانهم حرصا على الحياة، فأراد سبحانه أن يبين لهم ولمن خلف من بعدهم أن الانسان لا يملك لنفسه موتا ولا حياة، وأن الاماتة والاحياء بيده وحده، فلا معنى لخوف خائف، ولا لفرار فار ـ وقد بين سبحانه ذلك أوضح بيان حيث يقول: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾[2] ، ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾[3] ـ فأماتهم الله ـ ويستوي في ذلك أن تكون المدة ثمانية أيام أو سبعة أو أقل أو أكثر، والذي يعنى كل باحث انه سبحانه سلبهم حياتهم عقوبة لهم على فرارهم، ثم منحهم إياها.

وقال ابن العربي: أماتهم الله تعالى مدة عقوبة لهم ثم أحياهم، وميتة العقوبة بعدها حياة وميتة الأجل لا حياة بعدها الى يوم القيامة، ولما احياهم الله عادوا الى قومهم يعرف الجميع أنهم كانوا موتى وعاشوا حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

وان الله سبحانه لهو صاحب الفضل على الناس فيما وهبهم من حياة ورزق، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ما أغدق عليهم من النعم وأسبغ من الفضل.

٢٧٩ ـ نقل ابن كثير عن عطاء[4] أنه قال في هذه الآية: إنها مثل في تكوينه تعالى أمة قوية تقهر وتغلب وتسوس غيرها بعد بلوغها غاية الضعف والخمول، فكأن حياتها وموتها تمثيلا لحالتيها قبل وبعد، فيكون اشعارا بما ستصير إليه أمة العرب من القوة العظيمة، والمدنية الفخيمة، وتنبيها على أن الوصول إلى ذلك إنما يكون بجهاد الظالمين، واتفاق المتقين على دحر الباغين.

ولا معنى لأن يحمل الخبر هذا المحمل، فإن بعض ألفاظ الآية لا يحتمله، فما معنى: خرجوا من ديارهم، وهم ألوف؟ وأيضا فإن فضل الله على الناس بالحياة أولى وأجدر بالشكر من أن يكون الفضل تكوين أمة قوية قاهرة، وذكر كلمة

---

(١) راجع، تفسير ابن كثير ١/ ٢٩٨، التفسير الكبير للرازي ٦/ ١٦٢

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٥٤

(٣) سورة الجمعة من الآية ٨

(٤) محاسن التأويل ٣/ ٦٣٧، تفسير ابن كثير ١/ ٢٩٨

الناس أعم وأشمل من أن يراد بها العرب وحدهم ، وأية غرابة في أن يكون ذلك حقيقة ؟ أتراها في موت أناس ثم حياتهم ؟ ألم يحدث ذلك للذين ذهبوا من بني إسرائيل مع موسى عليه السلام للتوبة من ذنب العجل ، وطلبوا رؤية الله جهرة ، فأماتهم الله ثم بعثهم ؟ . .

وقد قال الرازي[1] : إن الآية دالة على أنه تعالى أحياهم بعد أن ماتوا فوجب القطع به ، وذلك لأنه في نفسه جائز ، والصادق أخبر بوقوعه فوجب القطع بوقوعه ، أما الامكان ، فلان تركيب الأجزاء على الشكل المخصوص ممكن ، وإلا لما وجد أولا واحتمال تلك الأجزاء للحياة ممكن ، وإلا لما وجد أولا ، ومتى ثبت هذا فقد ثبت الامكان ،وأما أن الصادق قد أخبر عنه ففي هذه الآية ، ومتى أخبر الصادق عن وقوع ما ثبت في العقل إمكان وقوعه وجب القطع به .

## طالوت[2]

٢٨٠ ـ تقدم في الفقرات ٤٣ ـ ٤٩ أن بنى إسرائيل طلبوا من نبيهم شمول صلوات الله عليه ، أن يعين ملكا عليهم ينضوون تحت لوائه في قتال العمالقة الذين أخرجوهم من ديارهم ، وسلبوهم أموالهم ، وأن الله سبحانه قد اختار طالوت واصطفاه ليكون ملكا عليهم لمزيد بسطة في علمه وجسمه وقدم بين يدي ملكه آية ، وهي عودة التابوت الذي أخذه العمالقة ، وأن طالوت استطاع بحسن سياسته وشجاعته أن يقودهم الى النصر حتى تغلبوا على عدوهم ، ونريد الآن أن يتضح لنا من كان طالوت ، وكيف كان عهده ؟

٢٨١ ـ هو طالوت ـ ويدعى في العبرية شاول ، بن قيس من أولاد بنيامين بن يعقوب[3] عليه السلام ، فلم يكن من سبط النبوة ، لأن سبط النبوة هو سبط لاوى ، ولا من سبط الملك ، لأن سبط الملك هو سبط يهوذا ولما أوحى الله لنبيه شموئيل أنه قد اختار طالوت قال : يا رب وأين لي به ؟ فأوحى إليه : أنه سيأتيك دون تعب أو مشقة .

---

(١) التفسير الكبير ٦/ ١٦٤

(٢) سورة البقرة من ٢٤٧ ـ ٢٥٠

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٢٠٠

خرج طالوت (١) ، رضي الله عنه ـ كما أرسله والده هو وغلام معه يبحثان عن حمر قد ضلت ، وأعياهما الطلب فلم يجداها ، فطلب طالوت من غلامه العودة إلى أبيه ، ولكن الغلام قال : إننا الآن قد وصلنا إلى أرض « صوف » موطن « صمويل » وهو نبي يأتيه الوحى ، هلم إليه نستوضحه شأن الاتن لعلنا نستضيء برأيه ، فارتاح طالوت لهذا الخاطر ، وتجدد عنده الأمل في العثور على ضالته .

٢٨٢ ـ التقى شمويل عليه السلام بطالوت ، فرأى رجلا بادنا فارعا شديد الأسر ، تنطق عيناه بأمارات الذكاء ودلائل النجابة وسمات العلم ، وحقا كان ، فقد قال ابن عباس(٢) رضي الله عنهما : كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه ، فما كاد نظر شمويل يقع عليه حتى وقع في قلبه أنه هو الذي أوحى إليه ربه بتمليكه وأرسله ليحمل لبني إسرائيل لواء الزعامة والجهاد ، فقال طالوت : يا نبي الله ، ضلت لنا أتن في شعاب هذا الوادي ، وقد جئناك مسترشدين لعلك تهدينا إليها .

فقال له شمويل عليه السلام : أما الحمر فقد وصلت الى والدك ، وأما أنت فقد ملكك الله على بني إسرائيل لتجمع كلمتهم ، وتحزم أمرهم ، وتخلصهم من أعدائهم ، فقال له طالوت : وما أنا والملك ؟ فاني من سبط بنيامين واني فقير ، فقال له : هذه إرادة الله وذاك أمره فاشكره على هذه النعمة واضطلع بما كلفك به .

٢٨٣ ـ وقد قام طالوت ـ رضي الله عنه ـ بالأمر خير قيام ، فتحت لوائه هزم بنو إسرائيل العمالقة الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، ولم يكن أحد خلال الأربعين سنة التي حكمها يجرؤ أن يعتدي على بني إسرائيل وكان سيدنا داود عليه السلام عونه في كل أمر ، فمنذ قتل جالوت ، زوجه طالوت ابنته ، فازدادت أواصر القربى بينهما ، وكان أمرهما جميعا .

ولست أدري كيف جاز للأساتذة مؤلفي قصص القرآن ، في القصة ( بين

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ٦٠١، ٦٠٢

(٢) تفسير القرطبى ٣/ ٢٤٦

(٣) حاشية الجمل ١/ ٢٠٤

طالوت وداود ) كما جاز للطبري في تاريخه[1] ما سجلوه عن تلك الحرب الطاحنة بين طالوت وصهره داود عليه السلام ، وأن طالوت قد أفسده الملك ، فلم يدع عالما إلا قتله ، وأنه نفس على داود التفاف بني إسرائيل حوله ، واعتزم ـ حفاظا على ملكه ـ أن يتخلص منه ، لولا أن زوجه مكيال أخبرته بذلك فهرب ، ولا سند للأساتذة ولا للطبري إلا توراة اليهود المزعومة ، ( العهد القديم ) ففي الاصحاح التاسع عشر وما بعده من سفر صموئيل الأول سرد مسهب لهذه الأخبار المكذوبة ففي هذا الإصحاح ( وكلم شاول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود ) ( فأخبرت داود ميكال امرأته قائلة : إن كنت لا تنجو بنفسك هذه الليلة فانك تقتل غدا ) وفي العشرين لما سمح ابن شاول لداود بالسفر لزيارة أهله ( فمحى غضب شاول على يوناثان فقال له : يا ابن المتعوجة المترددة ، أما علمت أنك قد اخترت ابن يسى ( داود ) لخزيك وخزي عورة أمك ، لأنه ما دام ابن يسى حيا على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك ) . كما جاء ما يفيد التطاحن بينهما في قصص الأنبياء .

٢٨٤ ـ ولا شك أن هذا هراء لا يصح مطلقا أن نعول عليه فهو من صنع بني إسرائيل الذين كانوا منذ اللحظة الأولى يعارضون في ملك طالوت حسدا واستكبارا :﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ ﴾.[2]

وقد نسي من يطعن في طالوت أو ينسب إليه فسادا وظلما أنه يقدح في علم الله سبحانه فهو جل شأنه الذي اختار طالوت ، ان الله اصطفاه عليكم ،وهو الذي جعله ملكا : « إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا » فكيف يجوز أن يكون اختيار الله في غير موضعه ، وأن يصطفى من ليس أهلا ؟ أولم يعلم الله سلفا أن طالوت سيفسده الحكم والملك ؟ إن كان كذلك وهو الحقيقة ، فهذا يعني أن الله يولي المفسدين ، وإن لم يكن فيكون الله غير عالم ، تنزه سبحانه عن ذلك .

٢٨٥ ـ ومن عجب أن نرى الأساتذة ينسبون هذه القصة الى الآية ٢٥١ من سورة البقرة ، ولا يشم في هذه الآية من قريب أو بعيد رائحة لما ذكروه ـ وكان الأولى بهم أن ينسبوها إلى الاصحاح التاسع عشر وما بعده من سفر صموئيل الأول ونص الآية ٢٥١ : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ

---

(١) تاريخ الطبري ١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٥ .

(٢) البقرة (٢٤٧)

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾فمعنى الآية هزم بنو إسرائيل العمالقة بعون الله لهم وتثبيت قلوبهم ، وقتل داود عليه السلام رئيسهم جالوت ، وآتاه الله الملك فقد آل إليه بعد طالوت والحكمة : النبوة ، وعلمه الله كما يريد عليه السلام ، ولولا أن الله يدفع الكافرين أو الظالمين بالمسلمين المتقين لغلب الكفار والظلمة ، وقتلوا المسلمين المتقين وهدموا المساجد ، وأشاعوا الفساد في الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ، حيث يجعل المؤمنين يدفعون الكافرين .

فليس فيها من قريب أو بعيد رائحة لما ذهبوا اليه من التطاحن ، اللهم إلا أن يكون « وآتاه الله الملك » أفلا يأتي الملك إلا بهذا التطاحن ، وهذه الحروب ؟ ولم يكون المعنى كما ورد في تفسير الآية أن داود أوتى الملك بعد وفاة طالوت ؟ .

## عزير[1]

٢٨٦ ـ كان عزير ـ رضي الله عنه ـ من صالحي بني إسرائيل ، ومن القلة التي كانت تحفظ التوراة ، وتؤمن بالله ، وساءه ما كان من فساد قومه حتى سلط الله عليهم بختنصر ملك بابل ، فجعل بيت المقدس أثرا بعد عين واقتادهم أسرى إلى بابل كما سبق ( ف ٦١ ) وكان عزير فيمن شرد .

عاد يوما إلى بيت المقدس بعد خرابها ، فمر عليها راكبا حماره مصطحبا معه طعامه وشرابه من العصير ، ونال الكلال منه فنزل ليستريح ، وأوى إلى مكان مستور وأسند ظهره إلى الجدار ، وأطال النظر فيما حوله ، وأغرق في التفكير كيف يعيد الله الحياة إلى هذه القرية واهلها بعد أن صارت تلالا من التراب وصار أهلها عظاما نخرة ، وأراد الله سبحانه أن يرنيه ويري الناس جميعا في حادثة ملموسة أن قدرة الله فوق إحياء الموتى ، وإعادة الحياة إلى هذه القرية بعد موتها ، فأماته مائة عام كما أمات حماره وأبقى طعامه وشرابه بجواره : ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾[2]

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩ وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، والحسن وقتادة والسدى وسليمان بن بريدة أنه عزير ، والمشهور أن القرية هي بيت المقدس ـ تفسير ابن كثير ١/ ٣١٤ .

(٢) البقرة (٢٥٩) .

٢٨٧ ـ وفي أثناء موته أطلق « كورش » ملك فارس سراح بني إسرائيل فعادوا إلى بيت المقدس ، وساعدهم على عمارتها حتى صارت أحسن من ذي قبل ، بعد أن ظلت خرابا ما يقرب من سبعين سنة ، وانقضى على موت عزير مائة عام ، ثم أعاد الله إليه[١] الحياة كهيئته يوم موته ، وأرسل إليه ملكا يسأله : كم أمضيت في رقادك هذا يا عزير ؟ فقال يوما ، ثم التفت فرأى الشمس لم تغرب بعد فقال : بل بعض يوم ، فقال له : بل لبثت مائة عام ، فانظر إلى قدرة الله كيف أحياك . وهذا طعامك وشرابك لم يتغير شيء منهما رغم مرور هذه المدة الطويلة ، وهذا حمارك قد نخرت عظامه وتفتتت أوصاله ، لتتبين ما قلته لك من طول المدة ، ولتعتبر في نفسك ، ولتكون عظة وعبرة لقومك وللناس جميعا حتى يوقنوا بقدرة الله على البعث ، ثم انظر الى عظام حمارك النخرة المتناثرة ، كيف تجمع وتركب وتكسى باللحم ، وتبعث فيها الحياة ، لتشاهد بعينك ، كيف قدرنا على إحياء غيرك كما أحييناك من قبل .

فلما رأى عزير هذا كله قال : أوقن أن الله قدير على كل شيء، قال تعالى :
﴿ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . [٢]

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره[٣] أن ذلك حدث عندما خرّب العمالقة ديارهم لا عندما خربها بختنصر .

٢٨٨ ـ ركب عزير حماره ، وأخذ يتلمس الطريق الى محلته ، فأنكر الناس وأنكروه ، وأنكر كل شيء رآه ، فقد تبدلت المعالم ، وتغيرت المشاهد ، وما زال كذلك حتى اهتدى بعد لأي الى بيته فطرق الباب ، وإذا بعجوز قد تقدمت بها السن وأقعدها الكبر ، وأتى علي عينيها الزمان ، فقال لها : أهذا بيت عزير ؟ فقالت :

---

(١) ويقال إن أول شيء أحياه الله فيه عيناه لينظر بهما إلى صنع الله كيف سيحيي بدنه، تفسير ابن كثير ١/ ٣١٤
(٢) البقرة (٢٥٩)
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٨

نعم وأين عزير ؟ لقد فقدناه منذ مائة سنة فقال لها : أنا عزير ، أماتني الله مائة عام ثم بعثني ، فقالت: إن عزيرا كان طيبا مستجاب الدعوة ، فان كنته بحق فادع الله فليرد على بصري فدعا الله فرد إليها بصرها ، وعرفته لما رأته ، ثم انطلقت به إلى بني إسرائيل في ناديهم ، وأخبرهم الخبر ، فقالوا : لا نصدقك حتى تسمعنا التوراة ، فإن عزيرا كان يحفظها(١) ، وقال أحدهم وأنا ما أزال احتفظ بالتوراة التي أنزلت على موسى ، فجاء بها وقرأ عزير التوراة عن ظهر قلب ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك لم يزدد يقينهم بالله وبيوم البعث ، بل ازدادوا كفرا وضلالا ، وقالوا : أنت ابن الله ، تعالى سبحانه عن ذلك : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾(٢) وما أشبههم في هذا بمن أعطيته نورا ليهتدي به في دياجير الظلمات فأحرق به نفسه .

## قارون(٣)

٢٨٩ ـ كان قارون حسن الطلعة قوي البنية عظيم الذكاء ، وواسع الحيلة ، وقد استطاع بمواهبه هذه أن يكون من المصطفين لدى فرعون فأقطعه الأراضي الواسعة ، والضياع الكثيرة ، وجعل له عمالها وزراعها بمثابة العبيد ، ولم يلق قارون لتعذيب بني إسرائيل بالا ، بل جعل كل همه وجميع شغله أن يجمع المال من أي طريق كان ؟ فاستثمر الأراضي والحيوان وسير الأساطيل والقوافل التجارية في شرق البلاد وغربها ، حتى تأتى له مال وافر وثروات طائلة ، إلى أن صار مضرب الأمثال في الثراء والغنى وامتلأت خزائنه بالذهب والفضة ، ونظر بنو إسرائيل إليه نظرة هيبة وإجلال، وقد آتاه الله من الكنوز والأموال ما تعجز الجماعة القوية في جسمها وعقلها والخبيرة بطرق جمع المال عن تحصيله إلا بتعب ومشقة وإرهاق .

ولما بعث الله موسى عليه السلام ليدعو إلى الايمان بالواحد الأحد ويعمل على تخليص قومه من استعباد فرعون وآله ـ كان قارون من أشد المناوئين له ، والمعادين لدعوته ، ولم يكتف بهذا بل أخذ يتكبر على قومه ويبطش بالضعيف منهم على الرغم من أنهم أبناء جلدته ، وكان الأولى به أن ينصرهم : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ

(١) جاء في تفسير ابن كثير ٢/٣٤٨ ما يفيد هذا

(٢) سورة التوبة صدر الآية ٣٠.

(٣) سورة القصص من ٧٦ ـ ٨٣.

مُوسَىٰ (١) فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ (٢) لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾.

٢٩٠ ـ وكان سيدنا موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين لا يكفون عن نصح قارون وإرشاده قائلين له : لا تفرح هذا الفرح الزائد الذي يؤدي بك إلى البطر والكفر ، بل اشكر الله على ما حباك به من مال،فأد حق الله فيه إلى الفقراء والمساكين ، كي تنال بذلك الفوز في الدار الآخرة ، وحق عليك أن تعامل الفقراء بمثل ما عاملك الله به من إحسان،ولا يعني ذلك أن تحرم على نفسك ما أحله الله من متع الحياة ، ولا تطلب بهذا المال الفساد في الأرض فتظلم وتتجبر وتعتدي . وتصد الناس عن سبيل الله بما تغريهم به من مال ، فإن الله عدو للمفسدين يهلكهم ويعذبهم .

فكان رد قارون : أن هذا المال حصله بكده وعلمه بطرق جمعه ، فهو أحق به من دون الناس ، ونسى ذلك الباغي أن الله لا يعجزه هلاكه ولا هلاك أمواله ومن حوله ممن يعتزبهم ، فقد أهلك من قبله من الأمم والأجيال من هو أقوى منه ، وأكثر مالا وأعز نفرا ، والمجرم لا يسأل عن ذنبه ـ إذ لا فائدة من هذا السؤال ـ بل يؤخذ إلى جهنم :﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (٧٨).

٢٩١ ـ وكان قارون كثيرا ما يهون من شأن موسى عليه السلام أمام أتباعه ، وذات يوم دخل سيدنا موسى ومن تبعه على قارون ومن معه ، فهب ذليلا مهينا

---

(١) من قوم موسى : كان ابن عمه كما جاء في تاريخ الطبري ١/ ٤٤٣ أن اسمه قارون بن يصهر بن قاهت ، وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهت ، ولا بأس أن يقصد بكلمة قوم: التهويل من جرمه،فبغي الشخص على أهله دليل شدة فساده، فما أشدّ مضاضة ظلم ذوي القربى

(٢) مفاتحه: أسباب وطرق تحصيله، وهذا معنى الكلمة في العربية أيضاً ، ومن التخريف تلك الإسرائيليات التي في كتب التفسير والتاريخ من أنها كانت مفاتيح كل مفتاح قدر الأصبع وأن مجموعها كان يعيي أربعين بغلا .

لاستقبال بني الله موسى ، وحاجه موسى في أداء حق الله في المال فحجه ، وامتقع لون قارون من الذلة والخجل فتفرق كثير ممن حوله وتبعوا موسى .

وأراد قارون أن يسترد كرامته وهيبته ، فأمر بالخيول المسرجة بالحرير والملجمة بالفضة ، وبالعربات الفخمة وبأحسن الثياب وأبهى الزينات ، وخرج على القوم ، وكان الخدم يحيطون به في ثياب ومراكب متناسقة تأخذ بالألباب فلما رآه من لم يرسخ الإيمان في قلوبهم ، بل لا يزالون يؤخذون ببريق الدنيا وزخرفها ، قالوا : يا ليتنا مثل قارون ، إنه لصاحب حظ عظيم فرد عليهم من تغلل الايمان في قلوبهم فأدركوا أن الدنيا كلها عرض زائل قائلين : هلكتم ، إن ثواب الله أحسن من هذا كله ، لأن هذا الى زوال وثواب الله دائم لا يزول ، وهذا الثواب المقيم في الجنة لا يكون إلا للمؤمن الذي يعمل الصالحات ، ولا يوفق للجنة ويرزقها إلا من يصبر على الفتن والشهوات . ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ .

٢٩٢ ـ وبلغ يوما فساد قارون ذروته ، اذ استأجر زانية وطلب منها أن تفضح سيدنا موسى ، فقد روى الطبرى عن ابن عباس قال[١] : لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى عليه السلام فصالحه على ما وجب عليه منها فلما أتى بيته حسبه فوجده كثيرا فجمع بني إسرائيل وقال لهم : ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم ، فقالوا له : أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت ، فقال : آمركم أن تجيئوابفلانة البغى وتجعلوا لها جعلا ، فتقذفه بنفسها ، ففعلوا : ثم أتى موسى فقال له : إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم ، فخرج إليهم فقال : . . . ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت ، فقال له قارون : وإن كنت أنت؟فقال: وإن كنت أنا، قال: وان بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال : ادعوها فان قالت فهو كما قالت ، فلما جاءت قال لها موسى : يافلانة ، قالت : لبيك ، قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا ولكن جعلوا لي جعلا على أن أقذفك بنفسي وسمت لهم الجعل وقالت : هو الآن في بيتي.

(١) تاريخ الطبري ١/ ٤٣٧ .

٢٩٣ ـ ولما جاوز قارون حد الطغيان ، وعميت عينه عن الحق ، وصمت أذنه عن نداء الله ، وأغلق قلبه عن الهدى لقى المصير الذي أعده الله للطغاة، ليكون عبرة لمن بعده ، لقد جعل الله عالي داره سافلها وهدمها فوق رأسه ، وفوق ماله ، ولم يجد قارون من يعينه أو ينصره : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾(٨١)

ولما أصبح القوم ووجدوا قارون قد أصابه ما أصابه قال طلاب الدنيا وقد اتعظوا : عجبا كأن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب . ونحمد الله إذ لم نكن مثل قارون وإلا لخسف بنا مثله ، وإنا لنعجب لعدم فلاح الكافرين : ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .(٨٢)

ثم يختم الله هذه القصة فيبين سبحانه : أن الفوز في الدار الآخرة والتمتع بنعيمها لا يكون إلا لمن لا يستعلي على الناس ، ولا يتجبر ، ولا يفسد في الأرض ، وأن العاقبة الحسنة للمتقين : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٨٣)

## مريم البتول

٢٩٤ ـ كان عمران والد مريم ذا مكانة رفيعة لدى علماء بني إسرائيل ، حتى صار إمام السدنة في المعبد وصاحب القربان وكانت زوجه كذلك امرأة صالحة ، عاشا مدة طويلة من الزمن لم يرزقا بولد فتضرعت المرأة الى ربها أن يهبها ولدا ، واستجاب الله دعاءها فأحست بالحمل ، فنذرت أن تجعل ما في بطنها خالصا لخدمة المسجد الأقصى ورجته سبحانه أن يتقبل منها ذلك فهو السميع لقولها العليم بنيتها : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١)

٢٩٥ ـ وفي أشهر الحمل توفي عمران رضي الله عنه ، ثم ولدت زوجه فتبينت أن المولود أنثى فاغتمت لذلك وتوجهت الى ربها متأسفة لأنها أنثى ، ولم يعهد أن وهب لخدمة المسجد إلا الذكور ، فليست الأنثى إذا كالذكر ، وقد وجدت أم

(١) آل عمران ٣٥ .

مريم مايسوغ لها التحلل من نذرها ولكنها أصرت عليه تقربا إلى الله ودليلا على صدقها ، ثم سمت المولودة مريم ـ وتعني العابدة ـ ودعت الله أن يحفظها ويحفظ ذريتها من الشيطان المطرود من رحمة الله : ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾(١)

٢٩٦ ـ رضي الله عن هذه المولودة ، وأحسن قبولها ، وأنشأها تنشئة طيبة ، وذهبت بها أمها بعد أن أتمت إرضاعها إلى سدنة البيت فكلهم أحب أن يكفلها لمكانة أبيها عنده ، وكان فيهم سيدنا زكريا عليه السلام ، فقال لهم : أنا أولى بكفالتها منكم لأني زوج خالتها ، فلم يرضوا إلا بالقرعة فكانت الكفالة لسيدنا زكريا : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾(٢) والله سبحانه يصور مدى اختلافهم على ذلك واختصامهم فيه ، ورغبة كل واحد منهم في أن يحظى به فيقول لنبيه عليه السلام : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾(٣)

٢٩٧ ـ أعد لها سيدنا زكريا مكانا في المحراب لا يصل إليها فيه غيره ، وأحسن كفالتها ، وكان يتردد عليها بما تحتاجه ، ولكنه في أثناء تردده كان يجد عندها طعاما لم يحضره إليها ، وليس في أوانه ، فكان يجد في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف فتعجب لهذا وسألها عن مصدره فأجابته : هو من عند الله الذي يرزق من يشاء من خلقه دون حساب : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٤)

وتبتلت السيدة مريم ، وأخلصت العبادة لله ، ومما جعلها تضاعف من ذلك أن ملائكة الله أتتها وأخبرتها أن الله اصطفاها وخصها بالقبول الحسن في المسجد ، واصطفاها كذلك بالهداية وإرسال ملائكته إليها ، وأنه طهرها من كل رجس ودنس ، وفضلها على نساء زمانها ، وطلبت منها أن تستمر في الخضوع لله ، وأن

---

(١) آل عمران ٣٦ .
(٢) آل عمران الآية ٣٧ .
(٣) آل عمران الآية ٤٤ .
(٤) آل عمران الآية ٣٧ .

تداوم على طاعته ، وأن تصلي له مع المصلين .

وهكذا كانت السيدة مريم حتى أصبحت أطهر نساء زمانها ، وأبعدهن عن الفحش وأقربهن إلى الله : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(1) .

**٢٩٨ ـ نمت السيدة مريم وترعرعت على الصلاح والتقوى حتى بلغت مبلغ النساء، وظلت بالمحراب، تعبد الله ، وتخلص الخدمة لبيته حتى أصبحت مضرب الأمثال في النزاهة والتقوى ، وحين أرادت أن تضاعف من إخلاصها وعبادتها لله اعتزلت عن الناس ، وانفردت بنفسها ، وأتت مكانا شرقي المسجد وجعلت بينها وبين الناس حجابا ، وبينما هي كذلك إذ جاءها جبريل عليه السلام في صورة بشر ووقف أمامها ، فارتعدت فرائصها ، وقالت له : أعوذ بالرحمن منك ، إن كنت تتقيه وتخافه فابتعد عني ، أو أعوذ به منك فما أنت بتقي حيث تقطع على عابدة مثلي خلوتها ، فقال لها : أنا لست كما تظنين ولكني رسول ربك الذي استعذت به مني ، أرسلني إليك لأكون سبب هبتك غلاما طاهرا ناميا على الخير والبركة ، قالت : وكيف ألد ولم أتزوج ولست من أهل البغاء والزنى ، ولست فاجرة أبتغي أن يتصل بي الرجال ؟ قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾(2) .**

**٢٩٩ ـ فقال جبريل عليه السلام : الأمر كما قلت ، فلم يمسك بشر ولست بغيا تعطى جسمها لمن يطلبها ، ولكن ربك قال : إن مجيء الغلام منك دون أن يمسك بشر ، أمر هين عليه ، وإن كان فيما جرت به العادة مستحيلا ، وقد أراد سبحانه وتعالى ذلك ليكون خلق الولد من غير ذكر ، ومن الأنثى فقط آية للناس وبرهانا على كمال قدرته ، وليكون وجود عيسى رحمة منه سبحانه للناس ، يهتدون**

---

(1) آل عمران الآية ٤٢، ٤٣ .

(2) سورة مريم ١٦ ـ ٢٠ .

بهديه ويسترشدون بارشاده وقد نفذ أمر الله وسبق قضاؤه ، وأصبح مقتضيا أن يقع ويحدث : ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾(١)

٣٠٠ ـ وحينما نزلت الملائكة على مريم قالت لها : إن الله يبشرك بأنك ستلدين غلاما اسمه عيسى ولقبه المسيح ، وسيكون صاحب جاه وقدر في الدنيا بالنبوة ، وذا درجة عالية في الآخرة بالشفاعة ، وهو قريب من الله وسيكلم الناس في المهد وهو طفل ، كما يكلمهم وهو كهل قد خالط سواد شعره بياض ، وكلامه في الحالتين لا تفاوت بينه وله قيمته وقدره . وتتعجب مريم كيف يكون ذلك وهي التي لم تتزوج ؟ ويأتيها الجواب بأن الله إذا أراد شيئا يحدث بمجرد أمره سبحانه : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٢) .

٣٠١ ـ نفخ جبريل عليه السلام في جيب درع مريم أو في كم ثوبها فوصل النفخ إلى فرجها ، وما ذلك كله إلا سبب ،فحملت بأمر الله بولدها .

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(٣) ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٤)

ولعل في قوله تعالى : « فنفخنا فيها » ما يرجح أن النفخ لم يكن في الجيب

---

(١) سورة مريم الآية ٢١ ، وولادة عيسى على هذا النحو آية رابعة من آيات قدرته سبحانه على الخلق، فبعض العلماء من المفسرين يرى أن الله خلق آدم بلا ذكر ولا أنثى، وخلق بقية الناس من ذكر وانثى وخلق حواء من ذكر فقط ، بقي أن يخلق شخص من أم فقط لتتم القسمة فكان سيدنا عيسى، ولعل من الممهدات لقدرة الله وأنها لا تجري على ما عهد في العادة والطبيعة ولادة يحيى من أم عاقر ، وقد ذكر الله ذلك قبل قصة عيسى تمهيدا لها .

(٢) آل عمران ٤٥ ـ ٤٧ .

(٣) التحريم ١٢ .

(٤) الانبياء ٩١ .

ومنه الى الفرج ، وأنه نفخ بالنفس كما يرى البعض،وإنما النفخ المقصود ، والذي ترتاح النفس إليه هو إيجاد كائن حي ، إيجاد جنين نفث الله فيه قبساً منه ـ وهو الروح ـ فأوجد فيه الحياة ، كما حدث لسيدنا آدم حيث قال الله للملائكة : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1] أي أوجدت فيه الحياة.

٣٠٢ ـ لما ظهرت أعراض الحمل على السيدة مريم ، وبرحت بها الآلام النفسية ، وتكالبت عليها الأحزان والهموم خرجت من بيت المقدس حتى حلت في « الناصرة[2] » منبتها ومسقط رأسها ، وأقامت هناك في بيت ريفي خلا من كل بهجة ، ولعلها اتخذته جنة تتستر به عن أعين الناس ، وتختفي فيه عن أنظار الرقباء ، ولربما اعتزلت عشيرتها وقومها حتى لا ينكشف مستور أمورها فتلوكها الألسنة ، ولما أحست بأمارات الوضع واشتد بها الوجع خرجت من الناصرة استحياء من أن تلد وسط قومها حتى أتت جذع نخلة في موضع « بيت لحم[3] » حيث أقيم في مكان الولادة كنيسة لا تزال موجودة حتى الآن ، وهناك في مكان مأوى الرعاة الذين كانوا غائبين عنه بماشيتهم في الرعي بوادي الرعاة الفسيح ، ألجأ المخاض السيدة مريم رضى الله عنها أن تستند إلى جذع النخلة ، واعترتها الهموم والأحزان ، فماذا تصنع بهذا المكان القفر وليس معها زاد أو شراب ؟ وأكثر من هذا ، ماذا تقول لقومها حين تأتيهم ؟ حتى قالت : يا ليتني مت قبل أن يحدث هذا ، وكنت شيئا تافها ينساه الناس ولا يذكرونه.قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[4]

٣٠٣ ـ وما كانت رحمة الله لتدع هذه المسكينة ، فقد ناداها جبريل من أسفل الوادي أو ناداها ولدها عيسى عليه السلام : ماذا يقلقك ؟ الطعام والشراب والخوف من الناس ؟ إن ذلك كله قد تكفل به ربك فلا تحزني ، هذا هو الماء ينبع من تحتك لتشربي ، وهذه النخلة هزي بجذعها وستساقط عليك رطبا ، فهنأي بالمأكل

---

(١) الحجر ٢٩.
(٢) قصص القرآن ٢٤٤ .
(٣) قصص الأنبياء ٣٧٩.
(٤) سورة مريم ٢٢ ، ٢٣.

والمشرب ، ولا تخافي من الناس فإذا رجعت إليهم وسألوك فقولي لهم بالاشارة : إني ممسكة عن الكلام ، وسلوا هذا يجيبكم قال تعالى : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾(1)

٣٠٤ ـ عادت رضي الله عنها إلى قومها تحمل وليدها ، وما أن رأوها حتى هموا برميها بالحجارة ، وأخذوا يؤنبونها : يا مريم لقد فعلت أمرا منكرا يا شبيهة هرون النبي في صلاحه وتقواه ، أو يا من أنت من سلالة هرون عليه السلام ، أو يا من تشبهين هرون ـ ذلك الفاسق المعروف لديهم ـ ما كان أبوك رجلا سيء السلوك ، ولا كانت أمك زانية فكيف كان منك هذا ؟

فأمسكت رضي الله عنها عن الكلام ، وأشارت إلى الصبي ليسألوه ، فقالوا لزناك أهون علينا من سخريتك بنا ، وكيف نكلم من هو في المهد ؟ ولكن الطفل صلوات الله عليه لم يمهلهم طويلا حتى بين لهم أمره ، إنه عبد الله سينزل عليه الانجيل ، وسيكون نبيا ، وسيكون فعالا للخير نافعا للناس ، وقد أوصاه ربه باقامة الصلاة وأداء الزكاة ، وجعله بارا بوالدته لا جبارا ولا شقيا ، وله من الله تحية في المولد وعند الموت ويوم البعث قال تعالى :﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾(2) وآتاني وجعلني ،أي قدر ، وما قدره الله فهو حاصل لا محالة .

٣٠٥ ـ ويكذب القرآن النصارى في ادعائهم أنه ابن الله ، ويبين أن هذه هي قصته كما قال الحق سبحانه ، وأن هذا شأنه : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾(3)

---

(1) سورة مريم ٢٤ ـ ٢٦ . (٣،٢) سورة مريم ٢٧ ـ ٣٦ .

وكان هذا خير دليل لبني إسرائيل على براءة مريم وطهرها ولكنهم لكفرهم وظلمهم لم يعفوها بل رموها بالزنى - وهو أفحش ما ترمى به أنثى - حتى استوجبوا لعنة الله : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾[1]

بل وأكثر من ذلك فيما يقال : لقد اتهموا سيدنا زكريا بالزنى بها وطاردوه حتى قتلوه[2] .

٣٠٦ - وعاشت رضي الله عنها ترعى ولدها صلوات الله عليه ، حتى فرت به مع ابن عمها يوسف النجار إلى مصر هربا من اليهود وحاكمهم ( هيرودس ) كما أمر يوسف في منامه ، فقد أخبر الكهان الملك أن طفلا ولد في بيت لحم سيكون خطرا عليه ، فأمر بقتل كل الأطفال .

ويزعم المسيحيون : أنهما استقرا ببلدة « عين شمس[3] » وفي ذهابهما إلى مصر يقول الله عز وجل فيما يذكر بعض المفسرين : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[4] فالربوة هي مصر .

ثم رجعا بسيدنا عيسى بعد أن أخبر يوسف في منامه بزوال خطر من كان يريد قتله وكانت سنه إذ ذاك فوق السبع .

ومكثت السيدة مريم ترعى ابنها وليدا وشابا ورسولا وكانت شديدة العطف عليه كثيرة الحرص ، وما زالت تمتع ناظريها بمرآه وتسر بما وصل إليه من إكرام الله له حتى ظهرت على يديه معجزات بهرت الناس ، إلى أن عدا عليه اليهود يريدون قتله ، ونجّاه الله من كيدهم ورفعه إليه ، فبقيت بعده ست سنين ثم لقيت ربها راضية مرضية عن نحو ثلاث وخمسين سنة[5] .

وذكر ابن كثير[6] عن الحافظ بن عساكر من طريق يحيى بن حبيب أن مريم

---

(١) سورة النساء ١٥٦ . وإن الذي يتهم مريم بالزنا، يكون شاكا في قدرة الله ولذا دمغهم الله بالكفر .

(٢) سيأتي ذكر ذلك في الفصل التالي عند الحديث عن زكريا عليه السلام .

(٣) قصص القرآن ٣٨٦، وعين شمس شرقي مدينة القاهرة .

(٤) المؤمنون ٥٠ ، ذات قرار : مستوية يستقر عليها ساكنوها، معين : ماء جار ظاهر تراه العين ، ويقول بعضهم : إنها بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين .

(٥) المختصر في تاريخ البشر المجلد الأول ٥١ .

(٦) البداية والنهاية ٢: ٩٤ .

ذهبت لزيارة قبر المسيح ، فلما دنت من القبر رأت رجلا فرجت أن يكون جبريل عليه السلام ـ فكان هو ـ فقال لها : يا مريم إن هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ، ولكن هذا الفتى الذى ألقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه ، وعلامة ذلك أن أهله فقدوه فلايدرون ما فعل به ، فإذا كان يوم كذا فأت غيضة كذا فإنـك تلقين المسيـح ، فلما كان اليـوم ذهبت فوجـدت عيسى ـ عليه السلام ـ في الغيضة[1]، فلما رآها أسرع إليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها . وقال : يا أمه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك ، والموت يأتيك قريبا فاصبري واذكـري الله كثيرا ثم صعـد فلم تلقه إلا تلك المـرة حتى ماتت .

ثم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت رضي الله عنها .

---

(١) الغيضة بالفتح : الأجمة ، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر ، والأجمـة ، الشجر الكثير الملتف .

## أنبيَاؤهُم

سيدنا يعقوب

سيدنا يوسف

سيدنا موسى

سيدنا هرون

سيدنا داود

سيدنا سليمان

سيدنا يونس

سيدنا الياس

سيدنا اليسع

سيدنا ذو الكفل

سيدنا زكريا

سيدنا يحيى

سيدنا عيسى

## سيدنا يعقوب

٣٠٧ ـ جاء في الفقرات الأولى أن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ، وأنه ولد بحبرون أو قرية أربع وهي مدينة الخليل اليوم وأنه رحل باذن والده اسحق الى العراق للشقاق الذي كان بينه وبين أخيه عيص ، وأنه أقام عند خاله ( لابان ) وتزوج بنتيه ، وأنجب إثنى عشر ولدا ،

وعاد عليه السلام إلى أرض كنعان وعاش بها حتى كان ما كان من أخوة يوسف ، وحتى بيع يوسف عليه السلام لعزيز مصر ، وانتهى به الامر إلى أن صار أمين الخزائن ، وحزن سيدنا يعقوب لفقد يوسف ومن بعد لفقد بنيامين الذي احتال سيدنا يوسف حتى أبقاه معه .

وجاء سيدنا يعقوب بأهله وبأمر يوسف إلى مصر واستقبلهم يوسف بنفسه وكرم والده وخالته وأدى له الجميع تحية الملك . . .

٣٠٨ ـ وكان سيدنا يعقوب صلوات الله عليه خبيرا بالنفوس طبا بأدوائها ، فلما رأى يوسف رؤياه قال له : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[1]

وقد قصد بحكمته عليه السلام أن يصرف الأخوة عن إرادة الشر بأخيهم فقال لهم لما أرادوا أخذ يوسف : أنا لا أخاف عليه إلا من الذئب يأكله وليس ذلك برأى منكم ، ولكن حين غفلتكم عنه ولهوكم ولعبكم ، فلم يقل لهم إنى أخاف عليه منكم ، ولكنه يربأبهم أن يدبروا شرا لأخيهم ، وذلك كأن تستودع الخائن ما تخاف عليه فتعلمه الأمانة : ﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾[2]

---

(١) سورة يوسف ٥ ،

(٢) سورة يوسف ١٣ .

٣٠٩ ـ ولما فعلوا فعلتهم وعادوا إليه يبكون ، وأعطوه قميصا سليما ملطخا بالدم ، وقالوا له : لقد أكله الذئب ونحن نستبق ، ولكي يحملوه على التصديق قالوا له : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾(١) فتفقد عليه السلام القميص ، وقال : لله ما أحلمك أيها الذئب ، تأكل يوسف ولا تمس قميصه بسوء ، ولم يزد عليه السلام على أن فوض أمره لله وطلب منه الصبر والعون على ما كان : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٢)

٣١٠ ـ ولما استبقى يوسف عليه السلام بنيامين معه تضاعف حزن يعقوب عليه السلام ، ومما زاد من ذلك ، بقاء أخيهم الأكبر بمصر الذي آلى على نفسه ألا يبرحها حتى يأذن له أبوه أو يحكم الله ، ورغم هذا الحزن كله على غياب البنين الثلاثة لم يتسرب اليأس الى نفس سيدنا يعقوب ، بل ظل كبير الأمل في الله أن يرد الاخوة الثلاثة ، ولقد أثار غياب الأخوين شجونه على يوسف ، كما خشي أن يكون الاخوة قد سولت لهم أنفسهم أمرا بخصوص بنيامين ، ثم أعرض عن بنيه فلا يتحدث اليهم ، وجعل يتأسف على يوسف ويبكيه حتى عميت عيناه واحتجب نورهما بغشاوة بيضاء ، وقد كظم غيظه من بنيه حيث تسببوا في فقد يوسف وأخيه : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٣) وقال له بنوه : والله لتظل تذكر يوسف حتى تضعف قوتك أو تهلك ، فأجابهم عليه السلام أنه لا يشكو ما يعانيه من هم وحزن إلا إلى الله ، وأنه يرجو منه الخير ويعلم أنه رحيم بعباده ، فبعد أن يبتليهم يتداركهم برحمته : ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۝٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤)

٣١١ ـ وأمر عليه السلام بنيه بالذهاب إلى مصر والبحث عن يوسف وأخيه ، وعدم اليأس من رحمة الله فإنه لا ييأس من رحمته إلا الكافر : ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٥)

---

(١) يوسف عجز الآية ١٧.

(٢) سورة يوسف عجز الآية ١٨.

(٣) سورة يوسف ٨٣، ٨٤.

(٤، ٥) سورة يوسف ٨٥ ـ ٨٧.

ومن رحمة الله بسيدنا يعقوب أن يعود بنوه بالبشرى التي ترد إليه بصره ، وتعيد له قوته ، أن يأتوه بالقميص مبشرين كما جاءوا به من قبل مخبرين بفقد يوسف ، فلقد قال لهم يوسف عليه السلام : ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]

ومن رحمة الله به أيضا أن يشم ريح يوسف ولاتزال العير على مشارف مصر وهو بالشام : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[2]

٣١٢ ـ وتوجه سيدنا يعقوب عليه السلام صوب مصر في سبعين من أهله[3] واستقبله سيدنا يوسف خارج مصر ، ثم دخل بهم وأجلس والده وخالته على العرش وأدى الجميع ليوسف تحية الملك وعاش سيدنا يعقوب بمصر سبع عشرة سنة ، ثم لما حضرته الوفاة أوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه بجانب أبيه اسحق ، فلما توفي عليه السلام لمائة وأربعين من عمره أمر سيدنا يوسف به فحنطت جثته ثم حمله في جمع من أكابر مصر وشيوخها ـ بأمر من فرعون ـ ويمموا شطر فلسطين حتى انتهوا إلى مدفن إبراهيم واسحق عليهما السلام بقرية حبرون[4] ( من أرض كنعان ) فدفنوه عندهما ثم رجعوا إلى مصر .

## سيدنا يوسف

٣١٣ ـ جاء في الفقرات الأولى ، أن سيدنا يوسف وأخاه بنيامين ابني يعقوب ابن اسحق . . . كانا من السيدة راحيل وأن يعقوب كان يعطف عليهما ، لموت أمهما ـ فبعد أن ولدت بنيامين ماتت في نفاسها ودفنها سيدنا يعقوب عليه السلام ، ولما توسمه في يوسف من نجابة ورشد . ولقد ازداد يعقوب حبا ليوسف عليهما السلام لما توقع ما ينتظره من مستقبل عظيم وكرامة عند الله ، وذلك بعد أن رأى يوسف في منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر منقادين له خاضعين ، وقص هذه الرؤيا على

---

(١، ٢) سورة يوسف ٩٣، ٩٤.

(٣) تاريخ الطبري ١/ ٣٦٤، تاريخ ابن خلدون ١/ ٦١.

(٤) تاريخ الطبري ١/ ٣٦٤ ، تاريخ ابن خلدون ١/ ٦٠، ٦١.

أبيه فأوصاه أن يكتمها عن إخوته حتى لا يسول لهم الشيطان كيدا له ، ودعا الله أن يتم على يوسف نعمة النبوة كما أتمها من قبل على ابراهيم واسحق :﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ(١) وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾(٢)

٣١٤ ـ ازداد اخوة يوسف حقدا عليه وحسدا ، وسول لهم الشيطان أن يتخلصوا منه فيفرغ لهم أبوهم ولا ينازعهم في حبه أحد ، فتآمروا عليه ليقتلوه أو يلقوه بعيدا عن العمران فلا يستطيع الرجوع فيهلك ، ولكن يهوذا قال لهم :لاتقتلوه ولكن ألقوه في قعر البئر يلتقطه بعض المسافرين ، ويذهبوا به إلى بلاد بعيدة :﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾(٣)

٣١٥ ـ طلب الاخوة من أبيهم أن يعطيهم يوسف ليرتعوا ويلعبوا فأرسله معهم ، وما أن ابتعدوا عن الديار قليلا حتى أوسعوه ضربا ولكما ، ويستنجد الغلام المسكين ولا منجد ، حتى وصلوا البئر فجردوه من قميصه ليلقوه فيه ، وجعل يستغيث ولا مغيث .

وجمدت عين يوسف من هول ما حدث ، فليته فعل ذنبا حتى يقول : ذلك جزاء ذنبي ، وليته كان كبيرا حتى يحتمل ، ولو أن الذي حدث من غير إخوته لخفف من ألمه أنهم سيثأرون له ، ولكنه كان كمن غص بالماء ، فسلم أمره لله ، وأودع الله في قلبه أنه سينجيه ، وسيأتي اليوم الذي يذكر فيه إخوته بهذا الصنيع وهم لا يدرون

---

(١) تأويل الأحاديث : تفسير الأحلام ، واحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد .

(٢) سورة يوسف ٤ ـ ٦

(٣) سورة يوسف ٧ ـ ١٠

بذلك : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(١)

٣١٦ ـ وجاءت قافلة فأرسلت ساقيها ليحضر الماء فلما أدلى الدلو في البئر تعلق به سيدنا يوسف فقال : يا فرحتي هذا غلام ، ثم حملوه إلى مصر وباعوه بها بيع الرقيق بثمن قليل ، حيث لم يجدوا من يرغب فيه قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾(٢). واشتراه عزيز مصر ورئيس شرطتها ـ وكان غير ذي ولد ففرح به وقال لزوجه : ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾(٣).

٣١٧ ـ عاش الكريم ابن الكريم في خدمة العزيز وزوجه ، وكان مثالا في الطاعة والأمانة ، وكلما تقدمت به السن ازداد جلالا وجمالا ، فولعت به امرأة العزيز وودت لو تصارحه بحبها وتبثه غرامها ، ولا سيما وأنها الآمرة الناهية ، وهو فتاها ، وهي من طبقة ارستقراطية ، ولكنها آثرت أن تناديه نداء صامتا ، فأخذت تغريه بكل ألوان المغريات زمنا طويلا ، وكلما ازدادت إغراء ازداد إعراضا ـ غير أنه كان يجاهد نفسه فهو في عنفوان الشباب ، وهي آية في الفتنة والجمال ، ولما كبر عليه السلام ونما ووصل درجة الكمال العقلي ألهمه الله علما وحكمة يستطيع بهما أن يفتي في كل شيء وذلك جزاء المحسن : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٤) ﴾.

٣١٨ ـ يئست امرأة العزيز من التلميح فلجأت الى التصريح بعدما أعدت للأمر عدته : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ (٥) ﴾ فكان رده عليه السلام : أستعصم بالله أن يحدث ذلك ، أأخون زوجك الذي أكرم مثواي وأحسن مقامي : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا

(١) سورة يوسف ١٥ . وجواب « لما » محذوف ، تقديره : عظمت فتنتهم ، أو جعلوه فيها . ويرى الكوفيون أن « وأحينا » هي الجواب . تفسير القرطبي : ١٤٢/٩ .

(٢)(٣) سورة يوسف من الآية ٢١

(٤) سورة يوسف ٢٢

(٥) سورة يوسف ٢٣

﴿يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١).

وجرى مسرعا إلى الباب ليفر من ويلات هذا الموقف ـ وطار لب امرأة العزيز فقد جرح كبرياءها ، أتدعوا مملوكها فيقول : معاذ الله وهي التي يتمناها المليك ؟ فجرت وراءه لترده إلى ما تريد ، وجذبته بكل قواها فشقت قميصه من الخلف ووجدا زوجها عند الباب ، وهنا تظهر حيلة المرأة ، فقالت له وقد رآهما في هذه الصورة المريبة : إنه يريد بي فاحشة فما جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم ، وكان لا بد أن يدافع سيدنا يوسف عن نفسه فقال : بل هي التي طلبت مني ذلك فأبيت ولذت بالفرار ، فجرت ورائي وجذبتني من الخلف ، واستدعى ابن عمها لهذا الأمر فقال مقدما براءتها : إن كان قميصه قد من الأمام فصدقت وهو كاذب ، وإن كان قد من دبر فكذبت وهو صادق ، فلما رأى القميص قد قد من الخلف قال لها : إن هذا من مكركن معشر النساء الذي لا يغلبه مكر ، أتفعلين المنكر وترمين به غيرك ؟ استغفري لذنبك فقد أخطأت ، وأنت يا يوسف لا تذكر ذلك مطلقا حتى لا يتناقل ويشيع : قال تعالى ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾(٢).

٣١٩ ـ شاع الخبر وتناقله الناس ، وعاب جماعة من النسوة امرأة العزيز والحين عليها باللائمة ، أيملك حب عبدها شغاف قلبها حتى تراوده عن نفسه ؟ إنها لضالة فيما فعلت : ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ

(١) سورة يوسف ٢٣ .

(٢) سورة يوسف ٢٥ ـ ٢٩

﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[1].

٣٢٠ ـ ومما زاد من قسوة هذا البلاء على سيدنا يوسف ، أن النسوة أخذن يراودنه عن نفسه فآثر عليه السلام السجن هربا من هول ما هو فيه وقال : يا ربي إن لم تنقذني من هذه الحيل التي يعملنها لا يقاعى في شركهن ، وتلطف بي في اجتناب المعصية ـ تعرضت للوقوع في الزلل فملت إليهن ، ولهوت بهن وبذلك أكون من الجهال لا من الأطهار .

٣٢١ ـ أجاب الله طلبه وصرف عنه مكر النسوة وفتنتهن ، وبدا للعزيز ومن حوله ـ رغم ظهور آيات براءة يوسف ـ أن يسجنوه فترة من الزمن دفعا لسوء السمعة ، وقطعا لتلك الاشاعات التي سرت في كل المدينة : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[2] .

٣٢٢ ـ وفي قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[3] تورد بعض التفاسير اسرائيليات هي بالخرافة أولى منها بظل الحقيقة ، ولا تتفق مطلقا مع قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[4].

ويقول المرحوم صاحب « قصص الأنبياء : » فكيف يكون قد صرف عنه السوء ـ وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة ـ كما يقولون ـ وأصغى إلى شيطان الغواية ، ولم يرجع إلا بعد أن رأى من الزواجر ما يكفي لصرف أعظم الفسقة عن الغى ومتابعة الشهوة ؟ وكيف يوصف بأنه من المخلصين من كان انصرافه على هذا النحو .[5]

٣٢٣ ـ والأقوال التي يمكن قبولها : ما جاء في تفسير القرآن الكريم من أنه لما لم يجبها الى ما أرادت غضبت عليه وأرادت أن تفتك به ، فدافع عن نفسه

---

(١) سورة يوسف ٣٠ ـ ٣٢

(٢) سورة يوسف ٣٣ ـ ٣٥

(٣، ٤) سورة يوسف ٢٤

(٥) انظر ـ كذلك ـ التفسير الكبير للرازي : ١٨/١١٤ وما بعدها .

ودفعها ، وتكشفت له روحانية استشف من ورائها نور الله وهدايته وفعل الله ذلك ليدفع عنه ما أرادته له من المنكر فهو من عباد الله المخلصين

وقد استحسن المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ، أن همه عليه السلام امتنع لوجود البرهان عنده ،والبرهان هو حرصه على طاعة الله ، واستمساكه بآداب آبائه وأخلاقهم ، ودليله على ذلك : أن « هم بها » لا تصلح جوابا لـ « لولا » لأن لولا لها الصدارة ، ولذلك نقول:ان هم دليل الجواب ، ولولا : حرف امتناع لوجود ، امتنع الهم لوجود البرهان ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) فالمعنى : امتنع إبداء أم موسى بما في نفسها على ابنها لوجود ربطنا على قلبها .

٣٢٤ ـ ويرى البعض أن الهم كان هم الطبيعة ، وهذا لا اختيار للمرء فيه ولا حساب عليه ، كمن يرى طعاما في رمضان مثلافيشتهيه ،ولا شيء عليه في ذلك .

ولربما كان هذا من أحسن ما يقال في تفسير هذه الآية إذ فيه دفع لشبهة قد ترد ، فقد يقال: لعل امتناع يوسف بعد كل هذه المغريات إنما كان لفقده ما طلبنه ، فقد دفع قوله تعالى : « وهم بها » هذه الشبهة ، وأثبت أنه عليه السلام كان كامل الخلقة لا نقص فيه ، وأنه كان يعاني من هذا الإغراء ولعل مما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٢) فقد فضل السجن على هذا الجهاد النفسي وطلب من ربه أن يصرف عنه هذا الابتلاء وإلا خارت قواه وفعل ما يفعل الجهال .

٣٢٥ ـ أودع عليه السلام السجن وقد صحبه فيه فتيان أحدهما رئيس سقاة الملك ، والثاني رئيس الخبازين عنده ، ورأى الأول في منامه أنه يعصر عنبا ليكون خمرا ، ورأى الثاني : أنه يحمل فوق رأسه طبقا من الخبز، والطير تأكل منه ، فطلبا من نبي الله يوسف ـ لما توسما فيه من صلاح وإيمان ـ أن ينبئهما بتأويل ذلك وانتهزها عليه السلام فرصة ليدعو إلى دين الله .

وقال عليه السلام لرئيس السقاة : ستنجو من السجن وتعود لعملك عند

(١) سورة القصص ١٠.

(٢) يوسف ٣٣.

الملك ، وأطلب منك بعد خروجك أن تذكرني عند الملك وتبين له أني مظلوم ، وقال لرئيس الخبازين : ستصلب وتأكل الطير من رأسك، قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾[2].

نجا رئيس سقاة الملك وعاد إلى عمله ، وأنساه الشيطان أن يخبر الملك بأمر يوسف ، فلبث عليه السلام في السجن بضع سنين ، وجاء عن ابن جريج وقتادة ووهب بن منبه أنه مكث سبع سنين قال تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[3].

٣٢٦ ـ ورأى الملك في منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع مهزولات نحيلات ، ورأى سبع سنابل خضر وسبع يابسات ، فاستفتى في ذلك الأشراف والكهنة والعلماء عساه يجد عندهم تفسيرا ، ولكنهم أجابوه بأنها أحلام مختلط بعضها ببعض فلا يستطاع تفسيرها ، ولو كانت تدل على شيء فلسنا من أهل تأويل الأحلام : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾[4].

٣٢٧ ـ وتذكر ساقي الملك يوسف فقال لهم : أنا أدلكم على من يفسره إنه يوسف ، فأرسلوه إليه فقال له : أيها الصديق أفتنا في هذه الرؤيا ، فقال عليه السلام : تزرعون أرضكم حبا ، وتعنون بذلك حتى يكثر المحصول ، ولا تستهلكوا منه إلا بمقدار الضرورة ، والباقي ادخروه في سنبله حتى لا يتلف وتستمرون على ذلك سبع سنوات متعاقبات ، وسيأتي بعد ذلك سبع كلهن قحط

---

(١) يوسف ٣٦ .

(٢) ، (٣) يوسف ٤١ ، ٤٢

(٤) يوسف ٤٣ ، ٤٤

وجدب ، يجف الماء ويسلط الله الآفات على الزرع ، فتأكلون ما ادخرتموه إلا قليلا تستعملونه للانبات ، وسيأتي الفرج من الله بعد ذلك ، فتنكشف الغمة وينزل المطر ، وتكثر الزروع والثمار حتى تفيض منتوجاتكم فتعصرون منها لتستخرجوا أنواعا من الأشربة ، وتصلون إلى غاية من الترف والنعيم : قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾(١).

٣٢٨ ـ طلب الملك أن يسمع ذلك من يوسف ليستوثق ويستوضح ، فأرسل إليه ، فلما جاءه عليه السلام الرسول لم يخرج معه أنفة وعزة ، وإنما طلب أن يحضر الملك النسوة اللائي قطعن أيديهن ويسألهن عما جرى حتى يتبين براءته ، فطلب الملك النسوة وسألهن فقلن : حاش الله ما رأينا منه سوءا ، وقالت امرأة العزيز ، الآن ظهر الحق ووضح وذهبت وسوسة الشيطان ، وإني أعترف أني راودته عن نفسه ، ذلك ليعلم يوسف أني ما قلت فيه وهو غائب إلا الحق الذي كان ، وإني أعلن أمام الجميع أن الله لا ينفذ تدبير الخائنين : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾(٢) ـ

٣٢٩ ـ وطلب الملك ـ بعد ما تبين نزاهة يوسف وعفته وأمانته ـ أن يؤتى بيوسف ليكون معينا له في شئونه ولا يشاركه في الانتفاع به أحد ، فلما جاءه أعجب بحديثه وعقله ، فقال له : إنك منذ اليوم ذو مكانة مرموقة ، ومؤتمن على كل شيء ،

(١) سورة يوسف ٤٥ ـ ٤٩

(٢) سورة يوسف ٥٠ ـ ٥٢

فطلب منه أن يجعله على الخزائن ليتولى بنفسه الاشراف على ما يخزن وعلى البيع ، وهذا عمل يحتاج إلى خبرة وسياسة ، وهو بذلك خبير - وحق على كل ذي كفاءة أن يتقدم بكفاءته لخدمة الناس : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

وهكذا أعلى الله قدر يوسف ، وقوى مركزه في مصر ، ينال الدرجة التي يحبها ، ويتصرف كما يشاء ، وذلك جزاء صبره وعفته وأمانته ، ولو أنه استجاب للذة عابرة لقضى عليه ولما كان له شأن :﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

٣٣٠ - اشتد القحط في مصر وما جاورها حتى شمل أرض كنعان موطن يعقوب وبنيه ، وتسامع الناس بما كان من ادخار بعض المحاصيل وحفظها في مصر ، فأتتها القوافل من كل جانب ، وبعث سيدنا يعقوب بنيه الا بنيامين ، فلما جاءوا : « دخلوا على يوسف فعرفهم وهم لم يعرفوه ، فما كان ليخطر ببالهم أن ذلك الذي خلفوه صبيا في الجب يبلغ هذه المنزلة ، وسألهم عليه السلام : من أنتم ؟ قالوا : من بلاد كنعان ، وأبونا يعقوب ، قال : وهل له أولاد غيركم ؟ قالوا : نعم ، كنا اثني عشر فهلك أحدنا في البرية وكان أحبنا إلى أبيه ، وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه .

٣٣١ - بالغ عليه السلام في اكرامهم ، وأمر غلمانه أن يوفوا لهم الكيل وأن يدسوا البضاعة التي قدموها ثمنا للميرة في رحالهم وأن يزودوهم بما يحتاجونه في سفرهم ، ثم طلب منهم أن يعودوا للمرة الثانية ومعهم أخوهم من أبيهم إن كانوا صادقين ، وقد رأوا منه أنه يوفي الكيل ويكرم الضيف ، فان لم يأتوا به فلن يعطيهم شيئا ، بل وعليهم الا يقربوا هذه البلاد فضلا عن أن يدخلوها : ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟

(١) سورة يوسف ٥٤ ، ٥٥

(٢) سورة يوسف ٥٦

بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(1).

٣٣٢ ـ طلب الأخوة من أبيهم أن يعطيهم بنيامين حتى لا يمنع منهم الكيل ، وليزدادوا كيل بعير ، ومما قوى طلبهم أنهم وجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم ، وخاف عليه السلام أن يفعلوا به ما فعلوا بيوسف فأخذ عليهم العهد أن يعودوا به إلا أن ينزل عليهم قضاء الله فيغلبوا ولا يستطيعوا الاتيان به ، : ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾(2).

٣٣٣ ـ ولما دخل اخوه يوسف عليه أنزل كل اثنين منهم منزلا وبقي أخوه وحده فأنزله معه وأسر إليه بأنه يوسف وقال له : لا تحزن ولا تشق مما فعل إخوتك فان الله قد جمعنا على خير حال : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(3).

وأراد عليه السلام أن يحتال لبقاء أخيه معه ، فألهمه الله أن يدس المكيال الذي عليه خاتم الملك في رحله ، ولما افتقد الغلمان المكيال قالوا : لم يسرقه إلا هؤلاء الإخوة فخرجوا في إثرهم ونادى المنادى : أيتها العير أنتم سارقون ، فبهت الاخوة ورجعوا إليهم ـ وما أجمل تلك الجملة الحالية « وأقبلوا عليهم » التي تحمل دليل البراءة ، فإن اللص يفر ولا يقبل ـ وسألوهم عما يفقدون ، فقالوا : المكيال ، فأقسم الاخوة أنهم ما جاءوا لافساد ولا سرقة ، فقال الغلمان : وما جزاؤه إن كنتم

---

(1) يوسف ٥٨ ـ ٦٢.

(2) يوسف ٦٣ ـ ٦٦ ،

(3) ٦٩ ،

سارقين ؟ قالوا : جزاؤه أن تأخذوا من وجد في رحله ؛ فإن جزاء من يسرق عندنا أن يستعبد ويسترق .

٣٣٤ ـ ثم فتش سيدنا يوسف أوعيتهم ، واستخرجها من وعاء بنيامين فأخذوه حسب حكمهم ، وطلبوا منه أن يأخذ أحدا مكانه من أجل والده الشيخ الكبير الذي أخذ عليهم الموثق أن يعيدوه ، فقال : معاذ الله أن نأخذ إلا السارق :
﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ (١) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ (٣)

٣٣٥ ـ ولم ينس الاخوة ـ على الرغم مما فعلوه بسيدنا يوسف ومن طول مدة غيابه ـ حقدهم عليه وكرههم له ، فما كاد عليه السلام يخرج المكيال من وعاء بنيامين حتى قالوا : أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل . فأراد عليه السلام أن يقول لهم : أنتم في منزلتكم ومكانتكم شر من الذي تعرضون به في كلامكم ، لأنكم سرقتموني من أبي وأقصيتموني عنه ، والله وحده يعلم أنكم كاذبون فيما وصفتموني به من سرقة ولكنه كتم ذلك في نفسه ولم يظهره لهم ، ولم يكن عليه السلام قد سرق ـ كما زعموا ـ ولكن عمته أرادت أن تحتال لبقائه معها فحزمته بالمنطقة كما سبق في ٢٣٣ .

٣٣٦ ـ عاد الإخوة إلى أبيهم وأخبروه بما كان ، فلم ييأس عليه السلام ، بل طلب منهم أن يعودوا للميرة ثالثة وللبحث عن يوسف وبنيامين فلما أتوا يوسف قالوا له : يأيها العزيز أضرنا وبأهلنا الجوع والعوز ، وجئناك نشتري الطعام ببضاعة

(١) إنه ضامن أن يدفع مقدار حمل البعير من الطعام جعلا لمن يأتي بالصواع .
(٢) ٧٠ ـ ٧٦،
(٣) ٧٨ ، ٧٩.

رديئة يردها كل انسان ولا يقبلها ، وانا لنطمع في كرمك فوف لنا الكيل كما لو جئناك ببضاعة جيدة على أن يكون هذا الفرق تصدقا منـك ، ولك على ذلك الأجر من الله .

٣٣٧ ـ ووجدها عليه السلام فرصة سانحة فسألهم عما فعلوه بأخيهم يوسف يوم القوة في الجب وما فعلوه بشقيقة بنيامين إذ أساءوا معاملته بعد فقد أخيه ، فتفرسوا فيه ثم قالوا: أأنت يوسف؟ قال: نعم أنا هو وهذا أخي قد من الله علينا وذلك جزاء من يصبر ، وأقروا بذنبهم فغفر لهم صلوات الله عليه قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١) .

٣٣٨ ـ ثم طلب منهم أن يعودوا إلى أبيهم ، وأن يأتوه بأهلهم أجمعين ، ولما التأم شملهم بعد شتات رفع عليه الصلاة والسلام صوته بالشكر إلى ربه حيث آتاه الملك ، وعلمه تأويل الاحلام ، ودعاه أن يكون وليه في الدنيا والآخرة ، وأن يتوفاه مسلما ويلحقه بالصالحين : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾(٢).

وعاش سيدنا يعقوب سبع عشرة سنة ، ثم لحق بالرفيق الأعلى ودفن في مدينة الخليل كما تقدم ف ـ ٣٠١ . وعاش سيدنا يوسف بعده ثلاثا وعشرين سنـة ، ثم فاضت روحه إلى بارئها ( وأدرج في تابوت وختم عليه ، ودفـن في بعض مجـاري النيل ، وكان قد أوصى أن يحمل عند خروج بني إسرائيل إلى أرض اليفاع فيدفن هناك ، ولم تزل وصيته محفوظة عندهم إلى أن حمله موسى صلوات الله عليه عند

(١) سورة يوسف ٨٨ ـ ٩٢.

(٢) يوسف ١٠١.

خروجه ببني إسرائيل من مصر»[1] .

واختلف في المكان الذي دفن فيه ، فمنهم من يقول : إنه نابلس ، ومنهم من يقول : إنه بمكان قريب من صفد يسمى : جب يوسف .

## موسى عليه السلام

٣٣٩ ـ أسلفنا أن بنى إسرائيل عاشوا ردحا من الزمن ينعمون بكرم المصريين ويحظون بتقديرهم ، حتى وصل كثير منهم إلى أعلى المناصب ، ثم تغير هذا الموقف إلى نقيض ذلك عندما تولى ملك مصر الملك رمسيس[2] الثاني ، وعزم على الحد من تكاثرهم ، حتى لا يستفحل نفوذهم ، ولميلهم إلى الشعوب الآسيوية ، فبدأ يسخرهم في أعمال العنف والقوة حتى يضعفوا وأمر بقتل كل من يولد منهم من البنين ، وترك البنات لاسترقاقهن .

وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت فأسرع فيهم ،فدخل رؤوس المصريين على فرعون فقالوا له : إن هؤلاء القوم قد وقع الموت فيهم ، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا ، فلو أنك تبقى من أولادهم ، فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة[3] .

٣٤٠ ـ ومات رمسيس واستقل بعده بالحكم ابنه منفتاح[4] ، ومضى في إذلال بني إسرائيل وتسخيرهم وتقتيل الأبناء على ما كان عليه والده ومما ضاعف من بغضه لهم وحنقه عليهم ـ ما رآه في منامه[5] من أن نارا أتت من بيت المقدس فأحرقت المصريين وتركت بني إسرائيل ـ ، وأولها له المفسرون بأنه سيأتي من بني إسرائيل من يكون على يديه ذهاب ملكك .

وقد شاءت ارادة الله أن يخلص بني إسرائيل من هذا الظلم قال تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ٦١.
(٢) تفسير القرآن الكريم ٢٠/ ٣٣.
(٣) تاريخ الطبري ١/ ٣٨٨.
(٤) تفسير القرآن الكريم ٢٠/ ٣٤.
(٥) تاريخ الطبري ١/ ٣٨٨.

نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾(١).

٣٤١ ـ وكان عمران والد سيدنا موسى ، وهو ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام من صالحي بني إسرائيل ، وكذلك كانت زوجه يوكـاب ، وكانا يقاسيان ما يقاسيه إخوانهم من بني إسرائيل ، وكانت لهما بنت تدعى مريم ، وفي إحدى السنوات التي لا ذبح فيها للاطفال أنجبا هارون ،وفي السنة التي يذبح فيها الأطفال أنجبا موسى ، فاغتما لذلك خوفا من ذبحه ، ولكن الله ألقى في نفس أمه أن ترضعه ولا تخاف عليه ، فإذا خافت من أتباع فرعون ممن يفتشون بيوتهم بحثا عن المواليد فعليها أن تضعه في النيل ، فإن الله سيحفظه ويرده إليها ويجعلـه من المرسلين .فوضعته أمه حسب وحي الله في صندوق قد طلي بالقار وألقت به في النيل قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٢) .

٣٤٢ ـ وقف الصندوق أمام قصر فرعون الذي كان على النيل ، ورآه بعض الوصيفات فأخذنه إلى سيدتهن آسية زوج فرعون ، وشد ما كانت فرحتها عندما وجدت فيه ذلك الطفل الجميل الصغير ، ووقع في قلبها حبه والعطف عليه ، وحملته إلى منفتاح فأمر بقتله ، ولكن زوجته رجته أن يتركه ليكون مسرة لهما ، لأنهما ليس لهما ولد ، فتركه فرعون وقال لها : هو قرة عين لك أنت ، وأما أنا فليس لي حاجة إليه قال تعالى :﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٣)

ولما علمت ام موسى أن فرعون التقطه طار لبها من شدة الفزع والخـوف ، وكادت تعلن أنه ابنها ، لولا أن قوى الله قلبها بالصبر حتى تطمئن وتصدق وعد الله برده إليها﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) .

---

(١) القصص ٤، ٥.

(٢) القصص ٧ .

(٣) القصص ٨، ٩ .

(٤) القصص ١٠ .

٣٤٣ ـ وكانت رضي الله عنها قد كلفت أخته أن ترقب الصندوق فراقبته عن بعد ولم يفطن أحد اليها ، فاستطاعت أن تتسلل داخل القصر وسط المراضع اللائي أقبلن لارضاع طفل الملك ، وصرف الله سيدنا موسى عن أثدائهن جميعا ، فاهتم لهذا آل فرعون ، فقالت أخته : أنا أعرف سيدة يشتاق كل طفل لثديها ، وتعنى بمن ترضعه ، فجيء بأمه فالتهم ثديها ، وطلبوا منها أن تبقى في القصر ولكنها أبت فخصص لها راتب تتقاضاه على أن تختلف به بين حين وآخر على امرأة فرعون لتمتع نظرها برؤيته : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾(١).

٣٤٤ ـ انتهت مدة إرضاعه فحمل إلى قصر فرعون وتربى فيه ـ وسبحان الله العظيم ـ يجعل حتف الطغاة بأيديهم ، ففرعون يربي من على يديه هلاكه .

وكبر موسى وترعرع ، واكتمل جسمه وعقله ، وأنعم الله عليه بالإصابة في القول ومنحه العلم اللذين يجازى بهما المحسنين : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

ولما كان عليه السلام في تمام العقد الثالث من عمره خرج كعادته مع فرعون في موكبه ، ولكنه تخلف عن العودة معه بعض الوقت ، ثم أراد أن يلحق بفرعون فأدركته القائلة فعرج على مدينة منف(٣) ليقيل فيها ، فرأى رجلين يتقاتلان : أحدهما من آل عدوه فرعون ، وثانيهما من بني إسرائيل وكان الأول جبارا عاتيا يكاد يفتك بالاسرائيلي ، فاستغاثه الاسرائيلي فتقدم عليه السلام بدافع الرفق يريد دفع الظلم والأخذ بيد الضعيف ورجا المصري ان يكف عنه ، ولكنه حاول أن يبطش بموسى إذ هو من بني عدوه فأراد موسى دفعه بجمع يده وكان عليه السلام قويا فتأثر الفرعوني فمات ، وأسف سيدنا موسى لهذا واعتبر الشجار والقتل من عمل الشيطان وغوايته ، فاستغفر ربه وطلب منه أن يستر عليه ما كان وقال للاسرائيلي : لا تذكر

---

(١) القصص ١١ ـ ١٣.
(٢) القصص ١٤ ـ ١٦
(٣) وكانت العاصمة آنذاك البدرشين

ذلك لأحد حتى لا أقتل فيه : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) .

٣٤٥ ـ وأصبح عليه السلام خائفا مما حدث ، يترقب ما سيئول إليه أمر هذا القتيل ، وحار الناس ولم يعرفوا من القاتل ، وبعد ذلك بأيام مر عليه السلام بطرقات المدينة فرأى ذلك الاسرائيلي نفسه يتشاجر مع فرعوني آخر ، وما كاد هذا الاسرائيلي يراه حتى استغاث به ، فأنبه سيدنا موسى على خلق المشاكل وتشاجره مع قوم أقوى منهم ، وقال له : إنك لضال تحيد عن طريق الصواب وتتسبب في ضلال غيرك ، وأراد عليه السلام أن يرد العدو ، فلم يسع ذلك الاسرائيلي ـ وقد فكر أنه يريد أن يبطش به إلا أن أفشى السر وأبان عن الجريمة التي كانت بسببه، قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾(٢).

٣٤٦ ـ طار الاسرائيلي بهذا الخبر إلى فرعون ، واجتمع الأشراف والرؤساء وجعلوا يتشاورون في أمر موسى ويبحثون موقفه ويثبتون إدانته ليقتلوه وأمر فرعون بإحضاره وقتله .

وكان بالمجلس رجل طيب القلب يعرف موسى وينتفع بعلمه ، فجاءه من آخر المدينة يسعى ، وأبلغه ما بيته الملأ من قتله ، ونصحه بالفرار من مصر : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة القصص ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة القصص : ١٨ ، ١٩ .

(٣) سورة القصص : ٢٠ .

فخرج عليه السلام من مدينة منف خائفا ينتظر أن يفطن له القوم ويدركوه فلا يستطيع الافلات ، ودعا الله سبحانه أن ينجيه من قوم فرعون الذين جاوزوا الحد في الظلم : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]

٣٤٧ ـ قصد عليه السلام مدين التي تقع شمال خليج العقبة ، بين الحجاز والشام ، وأهلها من سلالة مدين[2] بن ابراهيم عليه السلام ، وطلب من الله أن يهديه الطريق المستقيم ، ولما وصل مدين بعد سفر طويل شاق مضن ، بحث عن الماء حتى وجد بئرا وعليه جماعة من الناس يسقون ماشيتهم ، ووجد من بين هؤلاء فتاتين تبعدان غنمهما عن الحوض ، فسألهما ـ بدافع المروءة ونصرة الضعيف ، وخاصة إذا كان امرأة ـ : لم تبعدان غنمكما ؟ قالتا حتى ينتهي الرعاة من سقيهم ، فلسنا في قوتهم حتى نزاحمهم ، ولم يأت والدنا ليسقي هو لأنه شيخ كبير لا يقوى على ذلك ، فتقدم عليه السلام بغنمهما فلما رآه الرعاة هابوه لقوته ، وجعل يمتح من البئر في قوة حتى سقى لهما وانصرفتا ، وآوى عليه السلام إلى ظل شجرة وهو يقول : رب إني محتاج لأي خير تسوقه إلى ، ولم يشأ صلوات الله عليه أن يطلب شيئا من الناس بل وجه طلبه إلى مالك الملك ، فسمعته الفتاتان وأخبرتا والدهما به ، فأرسل في طلبه فجاءه وقص عليه قصته فقال له : لقد نجوت من هؤلاء الظالمين فلا خوف عليك قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

٣٤٨ ـ وطلبت الفتاة من أبيها أن يستأجر موسى لرعى الغنم ، فإنه خير من يستأجر لقوته وأمانته ، وتساءل الشيخ الغيور ، من أين لك قوته وأمانته ؟ فقالت : أما قوته فقد عرفتها ساعة كان يسقي لنا ، وأما أمانته فإني كنت أكلمه وقد ألقى

---

(١) سورة القصص ٢١ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٨٥

(٣) سورة القصص ٢٣ ـ ٢٥ .

بصره إلى الأرض حتى لا ينظر إلي ، وفي الطريق قال لي : سأسير أمامك ودليني على الطريق ولم يرض أن يسير خلفي حتى لا يراني وأدرك الشيخ ما ترمي إليه المؤدبة العفة فطلب من موسى أن يزوجه إحدى بنتيه - وهو يقصدها وإنما كنى حفاظا على حيائها - على أن يأجره ثماني سنين فان أكملها عشرا فمن فضله وسوف تكون معاملة الشيخ له معاملة كريمة .

قبل سيدنا موسى ذلك ، وجعل لنفسه الحرية في اختيار أي الأجلين : ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[1]

٣٤٩ - انتهت مدة الأجل وكانت عشر سنين ، وهذا ما يتفق وكرم سيدنا موسى ، وظل عليه السلام بعد ذلك وقتا آخر مع صهره ثم تاقت نفسه لرؤية أبيه وأمه ، وأخيه وأخته ، فاستأذن صهره في العودة إلى مصر ، وزوده الشيخ بكثير من نتاج غنمه ، وفي أثناء العودة في ليلة باردة ضل عليه السلام الطريق ، فحط رحاله حتى يصبح ، وحاول إشعال النار فلم يستطع ، ولاح له من جانب الطور نار،فقال لزوجه وولديه : امكثوا هنا فلقد رأيت نارا وسأتجه إليها لعلي آتيكم منها بجذوة تشعلون بها النار لتستدفئوا ، أو لعلي أجد هناك من يدلني على الطريق ، ووصل عليه السلام إلى النار فما راعه إلا شجرة قائمة قد اشتعلت فيها النار ،فلا هي تحترق ولا النار تنطفىء،وتلفت هنا وهناك فلم يجد أحدا،وهم بالانصراف فزعاوخوفا، فسمع منها صوتا يناديه : يا موسى أنا ربك ، وأوحى إليه سبحانه وأمره أن يذهب إلى فرعون وقومه لينصحهم ويهديهم فقد طغوا وتجبروا ، وسأله الله عز وجل - لما سيترتب على الجواب وعلى سبيل الإيناس - عما بيمينه ، فأجاب عليه السلام جوابا طويلا شأن من يناجي حبيبه . وكان أهل فرعون قد برعوا في السحر فأعطاه الله آيتين تدحضان وتبطلان كل سحر أمره أن يلقي عصاه فألقاها فصارت ثعبانا عظيما يتحرك ، فلما رآها كأنها جنى فر هاربا لا يلتفت وراءه من شدة الخوف ، وناداه

---

(١) سورة القصص ٢٦ - ٢٨ .

الله : لا تخف وخذها ثانية فسنعيدها كما كانت ، وأمره أن يدخل يده في جيب قميصه ، ليطمئن قلبه ويزول خوفه ، فأدخلها وأخرجها فإذا هي بيضاء من غير مرض ، وقال له : هاتان معجزتان مؤيدتان لك عند فرعون وقومه .

٣٥٠ ـ وطلب عليه السلام من ربه أن يشد أزره بأخيه هرون ، فأجابه الله إلى ما طلب قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾(١).

٣٥١ ـ وصل عليه السلام بأهله إلى مصر ، وتوجه هو وأخوه هرون عليهما السلام إلى فرعون ، وأرياه من آيات الله ، وبينا له أنهما رسولان من عنده ، وقالا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ، ولكنه طغى وتجبر وقال للملأ حوله : ما تقولون في هذين ؟ قالوا إنهما لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ، فعليكم أن تجمعوا السحرة لهما لتبطلوا ما جاءا به : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾(٢) ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾(٣) فلما جاء السحرة : « ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ

(١) سورة القصص من ٢٩ ـ ٣٥.

(٢) سورة طه ٥٧ ـ ٥٩

(٣) سورة الشعراء ٣٦ ـ ٤٠

أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[1].

٣٥٢ ـ بقي العنيد على عتوه ، وازداد تعذيبه لبني إسرائيل وللمؤمنين ، وما زال كذلك حتى جمع سيدنا موسى قومه وخرج بهم ليلا ، وتبعه فرعون بجنوده ، وأغرقه الله ونجى موسى ومن معه ، وكان ما كان من إتعاب بني إسرائيل لسيدنا موسى حتى انتهى الأمر بجبنهم عن دخول الأرض المقدسة وضرب عليهم التيه وقد سبق هذا كله في الفقرات ٣٢ ـ ٣٨ .

وأكمل الله الشريعة والأحكام والوصايا لموسى عليه السلام . وقبضه الله إليه لمائة وعشرين سنة من عمره ، بعد أن عهد إلى فتاه يوشع أن يدخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة ليسكنوها ، ويعملوا بما فرض عليهم ، ودفن صلوات الله عليه بالوادي في أرض مؤاب ، ولم يعرف قبره لهذا العهد[2] .

## هرون عليه السلام

٣٥٣ ـ ولد عليه السلام ـ كما سبق ـ في السنة التي لا يذبح فرعون فيها الذكور ، وكان ذلك قبل ميلاد موسى ، وقد طلب سيدنا موسى من ربه أن يجعل له أخاه هرون وزيرا ومعينا ـ كما أسلفت ـ وكان عليه السلام نعم المعين والوزير والردء لأخيه موسى في دعوته في كل الشئون، فقد خلفه في بني إسرائيل يوم اتخذوا العجل ، وقد بذل عليه السلام كل جهد لارجاعهم عما هم فيه فذكرهم بنعم الله عليهم وبأمره أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، ولم يشأ أن يأخذهم بالشدة حتى لا يتفرقوا[3] .

وما زال كذلك صلوات الله عليه حتى قبضه الله إليه لمائة وثلاث وعشرين سنة

---

(١) سورة طه ٦٥ ـ ٧٠

(٢) تاريخ ابن خلدون ١/١٢٨ .

(٣) راجع ف ١٧ .

من عمره ، ولأربعين سنة من يوم خروجه من مصر ، وحزن عليه بنو إسرائيل لأنه كان شديد الشفقة عليهم[1] .

٣٥٤ ـ وفي الطبري[2] ، مات موسى وهرون جميعا في التيه ، مات هرون قبل موسى ، وكانا قد خرجا جميعا في التيه إلى بعض الكهوف فمات هرون فدفنه موسى ، وانصرف إلى بني إسرائيل فقالوا : ما فعل هرون ؟ قال مات ، قالوا : كذبت ولكنك قتلته لحبنا إياه ، فتضرع موسى إلى ربه ، وشكا إليه ما لقى من بني إسرائيل فأوحى إليه أن : انطلق بهم إلى موضع قبره ، فإني باعثه حتى يخبرهم أنه مات ولم يقتل ، وكان ما وعد الله به .

## داود عليه السلام

٣٥٥ ـ هو كما جاء في الطبرى[3] داود بن أيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمى ناداب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام .

وقد سبق في الفقرات ٤٨ ـ ٥٢ ، أنه عليه السلام قتل جالوت ؛ وأن حاله حسنت عند طالوت حتى زوجه ابنته ، وأن الحكم آل إليه بعد قتل طالوت في إحدى المعارك ، وأن ملكه صلوات الله عليه دام أربعين سنة كانت جزءا من العصر الذهبي لبني إسرائيل .

٣٥٦ ـ وقد أنعم الله عليه نعما عظيمة ، منها أنه سخر له الجبال والطير لترجع تسبيحه أو لتنشيء تسبيحا إذا أمرها ، فقد جاء[4] في القرطبى عن وهب : كان داود عليه السلام يمر بالجبال مسبحا والجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير ، وقيل : كان داود اذا وجد[5] فترة أمر الجبال فسبحت ، ولهذا قال « وسخرنا » أي جعلناها بحيث تطيعه إذا أمرها بالتسبيح : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٢٧ .

(٢) تاريخ ١/ ٤٣٤ .

(٣) تاريخ الطبري ١/ ٤٧٦ وتاريخ ابن خلدون ١/ ١٤٧ مع اختلاف يسير في بعض الحروف .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ٣١٩ .

(٥) تعب

وَالطَّيْرَ﴾(1) ، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾(2)، ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ أي رجعي بالتسبيح كلما رجع فيه، وكان ذلك بالنطق، فقد خلق الله فيها الكلام، ولم يكن يسمع ذلك إلا سيدنا داود. ولا يصح ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن ذلك كان بلسان الحال، إذ لا يختص بذلك دواد وحده، بل كل الناس لو تأملوا ما في الكون لوجدوه مسبحا بحمد الله ناطقا بقدرته.

والذي يؤكد أنه النطق ، أن سليمان عليه السلام قال عنه وعن أبيه : ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾(3) وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الهدهد كلمه ، فاذا ثبت أن تسبيح الطير لم يكن بلسان الحال وإنما كان بالنطق ثبت تبعا له أن تسبيح الجبال كان كذلك ، وأنها خاصية لداود وابنه سليمان عليهما السلام، وهذا ما يصح أن يكون تفضيلا من الله حيث يقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾(4)

٣٥٧ ـ ومن نعم الله عليه أن ألان له الحديد ، وعلمه كيف يصنع الدروع ـ ذات الحلقات ـ : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾(5) ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾(6) فكان الحديد في يده عليه السلام كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير أحماء أو طرق ( بآلاته أو بقوته ) كرامة له وأمرا خارقا للعادة ، وقد جاء في قصص الأنبياء(7) ولو كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن في ذلك امتنان من الله عليه ؛ إذ كل الناس يعملون ذلك ، اللهم إلا أن يدعى مدع أن إلانة الحديد ـ بالنار ـ لم تكن معروفة قبله وأن الله هداه لهذا ، وهذا مالا سبيل إلى تحقيقه .

٣٥٨ ـ ومن نعم الله عليه أن أتاه فصل الخطاب أي كما يقول البيضاوي :

---

(1) الأنبياء من الآية ٧٩.

(2) ص ١٨، ١٩

(3) النمل من الآية ١٦.

(٤، ٥) سبأ ١٠، ١١، سابغات : دروعا واسعات ضافيات ، قدر في السرد: قدر في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقاتها .

(6) الأنبياء ، ٨٠، تحصنكم: تقيكم ، بأسكم : حربكم .

(7) ص ٣١٠.

فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل حتى لقد اعتبر عليه السلام حكمه على الخصم - بدون سماع حجته ، وتسميته ظالما - ذنبا يستوجب التوبة والغفران .

فقد حدث أن خصمين أرادوا الدخول على داود عليه السلام في يوم عبادته فمنعهم الحرس، فتسلقوا السور ودخلوا عليه حجرته ، فلما رآهم على هذا النحو الغريب فزع ظنا منه أنهم يريدون شرا ، فقالوا له : لا تخف فنحن خصمان نريد منك أن تحكم بيننا بالحق لا تجاوزه ، فقال لهم : فيم اختصمتما ؟ فقال صاحب المظلمة : إن زميلي هذا له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة ، ورغم غناه عن نعجتي وفقري إليها ، قال لي : أعطني نعجتك وملكنيها ، وغلبني في المكالمة ، وأرجو يا نبي الله أن تحكم بيني وبينه ، وقبل أن يسمع عليه السلام حجة الخصم الثاني حكم عليه بالظلم والبغي ، وبعد أن هدأت نفسه التي ثارت إشفاقا على الضعيف ، عرف أنه لم يكن في حكمه على سنته من تمام العدل وفصل الخطاب ، فاعتبر ذلك ذنبا استغفر الله منه ، فغفر له وزاده قربى وعظم منزلة وحسن مرجع : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾(1) .

٣٥٩ - ومن المؤسف أن بعض المفسرين قد انطلت عليه تلك الأقصوصة المكذوبة التي دبجها اليهود عليهم اللعنة .

فقد جاء في الاصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني : ( وأما داود فأقام في أورشليم ، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها

(1) سورة ص ٢١ - ٢٥ .

وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إني حبلى ) ويمضون في القصة حتى تتم المأساة فيقولون : إنه استدعى زوجها الجندي الذي كان في الحرب واسمه « أوريّا » وأعطاه إجازة ليبيت معها فلا يفتضح الأمر ولكن أوريّا لم ترض نفسه أن يبيت مع زوجه وإخوانه في الميدان ، فطلب داود من يوآب قائد الجيش أن يقدم أوريّا إلى موطن الهلاك ويتخلى عنه حتى يقتل ، وقتل أوريّا وضم داود المرأة إليه ، وجاءه الملكان في صورة الخصمين وعنفاه على ما فعل .

ومثل هذا الصنيع من الزنى والقتل لا يصدر عن عامة الناس فضلا عن أنبيائهم الكرام ، وقد أثبتوا في هذه الحادثة أن أوريا أكرم وأحسن من نبي الله داود .

٣٦٠ ـ وقد كذب هذه الفرية ، ورد ذاك الإفك غير واحد من علماء المسلمين ، فهذا هو علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يشدد النكير على من يتحدث بذلك فيقول : ( من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة ) فإن من يرمي شخصا بجريمة الزنى ـ وليست لديه بينة ـ يكون قد ارتكب حدا يستوجب ثمانين جلدة بنص القرآن الكريم[1] فإذا تناول هذا القذف نبيا كريما وجب أن يضاعف الحد لمرتكبه ضعفين .

٣٦١ ـ وقد جاء في تفسير القاسمي[2] عن ابن حزم رضي الله عنه أنه يقول : ما حكاه الله تعالى عن داود صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود ، وإنما كان الخصم قوما من بني آدم ـ بلا شك ـ مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم،بغى أحدهما على الآخر على نص الآية .

ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل ، وقوّله ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه ، وكذب الله وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة ، لأن الله تعالى يقول : « هل أتاك نبأ الخصم ؟» فقال هو : لم

---

(١) حيث يقول سبحانه : والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ النور من الآية ٤ .

(٢) ١٤/ ٥٠٨٩.

يكونوا قط خصمين ، ولا بغى بعضهم على بعض ، ولا كان لأحدهما تسع وتسعون نعجة ، ولا قال « اكفلنيها » يقولون ذلك كله بلا دليل ، بل إنها الدعوى المجردة ، وتالله إن كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها ! هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين ، لا أفعال أهل البر والتقوى ، فكيف برسول الله داود ﷺ !!

٣٦٢ ـ ويرى ابن حزم أيضا أن استغفاره وسجوده وغفران الله له كل هذا من الأفعال الكريمة ، والأنبياء أولى الناس بها ، وأما قوله « فظن داود أنما فتناه » وقوله : « فغفرنا له ذلك » فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك فتنة ، فقد كان الرسول صلوات الله عليه يدعو الله أن يثبت قلبه على دينه[1] ـ فاستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفره له : إذ لم يكن ما آتاه من ذلك فتنة .

٣٦٣ ـ وقد جاء في تفسير القاسمي أيضا : وقال البرهان البقاعي في تفسيره وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود ثم قال : وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود عليه السلام لأن عيسى صلوات الله عليه من ذريته ـ ليجدوا سبيلا إلى الطعن فيه ، ثم قال وقوله تعالى « فغفرنا له ذلك » أي الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد دون سماع كلامه ، وهذه الدعوى تدريب لداود عليه السلام في الأحكام ، وذكرها للنبي ﷺ تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام .

وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات[2] : قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، وقال القاضي عياض[3] في ( الشفا ) : وأما قصة داود عليه السلام فلا ينبغي أن يلتفت إلى ما سطره فيها الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا . . .

٣٦٤ ـ وكان عليه السلام حسن الصوت حتى اننا لنرى الرسول ﷺ يقول

١) أخرجه الترمذي في ـ ٣٠ كتاب القدر ـ ٧٧ ـ باب ما جاء أن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن .

) تفسير ابن كثير ٤/ ٣١.

) كما جاء في تفسير القاسمي ١٤/ ٥٠٩١.

لأبي موسى الأشعري : « لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود »[1] .

وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولذا قال الرسول : أفضل الصيام صيام داود ـ

ودام ملكه عليه السلام أربعين سنة ، وقد عهد بالحكم عند تمام الأربعين لابنه سليمان ـ ثم قبض صلوات الله عليه ودفن في بيت لحم[2] .

## سليمان عليه السلام

٣٦٥ ـ تولى سيدنا سليمان الملك بعد أبيه ، فجدد المسجد الأقصى وبنى الهيكل ، وأنشأ أسطولا عظيما جلب كنوز فارس والهند ، وامتد سلطانه عليه السلام حتى شمل اليمن ، وجاءته بلقيس ملكة سبأ ومن معها مسلمين طائعين وكاتب الملوك فأذعنوا لقوته وشهدوا بهيبته وسلطانه[3] .

وقد وهبه الله كوالده نعما جليلة ، اتفقا في علم منطق الطير ، وانفرد سيدنا داود بتسبيح الجبال وتسخيرها وإلانة الحديد لصنع الدروع ، وانفرد سيدنا سليمان بتسخير الريح له ، وتسخير الجن وإسالة عين النحاس .

٣٦٦ ـ أما تسخير الريح له فكانت طوع أمره عليه السلام يأمرها بأن تهب في هذه الناحية فتجرى رخاء سهلة اليها ، فينتفع أهلها بها في زرعهم ومعاشهم ، ويأمرها بأن تسوق الماء الى الجهة التي يشلؤها فتحمل السحاب الى حيث يأمر : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾[4] وكانت هذه الريح تجري في الأرض التي بارك الله فيها، وهي مملكته عليه السلام الممتدة من خليج العقبة إلى شط الفرات.

كما كانت الريح تسوق السفن الى المرافىء والموانىء في شتى الجهات ثم تعود بها الى مملكته ، وكانت تلك السفن تقطع بفعل الريح في الغدو ـ أي ما بين الصباح

(١) صحيح مسلم باب تحسين الصوت بقراءة القرآن ، كتاب فضائل القرآن .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٤٣.

(٣) راجع الفقرتين ٥٣ ، ٥٤.

(٤) ص ٣٦.

والظهر ـ ما يقطعه الراكب المجد في شهر وفي الرواح أي ما بين الظهر والغروب ما يقطعه الراكب المجد في شهر كذلك : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[1] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾[2] فأتى ذلك كله بالخير الجم على سيدنا سليمان وأمته .

٣٦٧ ـ ومن الاسرائيليات ما يورده بعض المفسرين من أن الريح كانت تحمل بساطا لسيدنا سليمان من الخشب له ألف ركن في كل ركن ألف بيت ، يكون فيها جند سليمان من كل صنف ، وتحت كل ركن ألف جني يحملون ذلك الشيء الخشبي حتى يرتفع في الجو ، وحينئذ تسير به الريح ، وكان يخرج من القدس فيقيل في اصطخر ثم يبيت بخراسان وقد رد المرجوم صاحب قصص الانبياء على هذا التفسير وفنده فقال : إنهم لو قالوا ان البساط كان مائة ذراع في مثلها لكان الأمر معقولا ، ولكن ألف ركن في كل ركن ألف بيت فيكون المجموع مليونا من البيوت ، فاذا كان بالبيت جنديان فقط يكون المجموع مليونين ، وهناك مثلهم أو نصفهم لحماية البلاد فيكون عدد جند سليمان عليه السلام ثلاثة أو أربعة ملايين ، ولو فرضنا أن الجند عشر السكان يكون عدد السكان اذا ثلاثين أو أربعين مليونا وهذا ما يجافي الحقيقة والواقع .

ومساحة البساط على ذلك أكبر من مائة كيلو متر مربع ، وليس في فلسطين مكان مستو يستقر عليه هذا البساط فضلا عن البلاد التي ينتقل اليها على غير استعداد ، ولم تكن مملكة سيدنا سليمان بحاجة الى شيء من هذا ، وإذا كان سيدنا سليمان قد ذهب إلى اصطخرا وخراسان ، فلم لم يذهب إلى مصر المتاخمة له ؟ واليمن القريبة منه ؟ ونحن نعلم أنه لم يحط علما ببلقيس إلا بواسطة الهدهد .

٣٦٨ ـ والثابت الذي لا مرية فيه أن اسفار سيدنا سليمان مع جنوده كانت على الأرض لا على متن الريح ـ كما يدعى هؤلاء ـ فالقرآن الكريم يقص علينا ما قالت النملة لأخواتها حين مر عليه السلام بجنده على وادى النمل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ

---

(١) سبأ صدر الآية ١٢ .

(٢) الأنبياء صدر الآية ٨١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١) كما كان عليه السلام يقتني الخيول ويوليها كل عناية ليستخدمها في الجهاد ، وسيأتي ذكر ذلك قريبا .

٣٦٩ ـ واما إسالة عين النحاس ، فقد أسال الله عينا من القطر لسيدنا سليمان يجري منها النحاس المذاب جريان الماء على الأرض ، ليصنع منها ما يشاء : ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾(٢) وكان ذلك نعمة من الله وعونا له على ما أخذ به نفسه من عمارة وبناء مصانع عظيمة ، ومن ذلك بناؤه الهيكل وما حوله من المباني الضخمة بالحجارة العظيمة .

٣٧٠ ـ وأما تسخير الجن له ، فقد جعلهم الله طوع بنانه وتحت أمره ، يذعنون لطاعته ، ويستجيبون لأوامره ، ومن عدل منهم عن العمل أذاقه الله عذاب النار المستعرة يوم القيامة ، وقد كلفهم عليه السلام أن يعملوا له محاريب وهي القصور المرتفعة الحصينة ، وتماثيل أي صورا من النحاس أو الزجاج أو الرخام ـ ولم تكن التماثيل محرمة في شريعتهم ـ وجفانا كالجواب : أي صحافا كالأحواض الكبيرة ، وقد ورا راسيات ، أي قدروا ثابتة لطبخ الطعام : ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾(٣).

٣٧١ ـ وقد سخر الله له الشياطين ليعملوا أعمالا شاقة ، كالغوص في البحار لاستخراج النفائس ، من لآلىء وغيرها ، وكبناء القصور الشاهقة والمدن الضخمة ،

---

(١) النمل ١٧ ـ ١٩ . يوزعون: لكل صنف وزعة أي حفظة للنظام يكفونهم عن الاخلال به ، وادي النمل: بين جبرون وعسقلان بأرض الشام ، لا يحطمنكم : لا يكسرنكم ، وهو جواب شرط مقدر : ان تدخلوا لا يكسرنكم ، فتبسم ضاحكا من قولها: ضحك مسرورا لاعترافها بعدله ، أوزعني : ألهمني وهيئني .

(٢، ٣) سبأ عجز الآية ١٢ وصدر الآية ١٣ .

وما يستتبع ذلك من الحفر في الجبال لقطع الأحجار ، وكان الله يحفظ هذه الشياطين حتى لا يزيغوا عن أمر سليمان أو يفسدوا ما عملوا :﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴾(1).

﴿ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾(2) كما سلطه سبحانه على مردة الشياطين الذين خرجوا عليه ولم يؤمنوا به فقيدهم في سلاسل من الحديد اذلالا لهم ، ومبالغة في السيطرة عليهم ، والتمكن منهم : « وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ »(3) . وأما مؤمنو الجن وصالحوهم فكانوا جنودا وأعوانا ، وكانت لهم أعمال غير شاقة .

٣٧٢ ـ ومن باطل القوم ما درج عليه بعض المفسرين لقوله تعالى عن سيدنا سليمان :﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾(4) حيث قالوا : عرض عليه بعد الزوال الخيل الصافنات ـ جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وعلى طرف حافر الرابع ـ الجياد ـ وهي التي اذا استوقفت سكنت ، واذا ركضت سبقت ـ عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لارادته الجهاد عليها ، وما زالت تعرض عليه حتى غربت الشمس ولم يصل العصر ، فاغتم وقال : لقد أردت حب الخير أي الخيل عن ذكر ربي حتى توارت الشمس بالحجاب ، ردوها على أي الخيل ، فأخذ يقطع رقابها وأرجلها بالسيف تقربا الى الله ، ويرى بعضهم أن ردوها أي الشمس فأعادتها الملائكة حتى صلى العصر ثم أخذ يذبح في الخيل .

وهذا التأويل يحمل في طياته دليل بطلانه ، فمتى كان اتلاف الحيوان المعد للجهاد تقربا إلى الله ؟ وإذا شغل نبي بعرض الخيل عن الصلاة فما بال غيره من الناس ؟ ومن قال : إن مسح بالسوق والأعناق معناها قطع ؟ إن الذي يعني قطع هو مسح بالسيف ، وأي معنى لقطع الأرجل بعد قطع الأعناق ؟

٣٧٣ ـ هذا وسياق الآية كما يقول الفخر الرازي ينفي ما ذهبوا اليه ، فقد قال في تفسيره ردا على هذا: «إن هذه القصص إنما ذكرها الله عقب

---

(١) الأنبياء ٨٢.

(٢،٣) سورة ص ٣٧، ٣٨.

(٤) سورة ص ٣١ ـ ٣٣.

قوله : ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[1] وأن الكفار لما بلغوا من السفاهة هذا الحد قال لنبيه : ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ . .﴾[2] وذكر قصة داود ثم ذكر عقبها قصة سليمان ، وهذا الكلام لا يكون لائقا إلا بقولنا : إن سليمان في هذه القصة أتى بالأعمال الفاضلة الحميدة ، وصبر على طاعة الله ، وأعرض عن الشهوات والملذات، فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذه المواضيع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر القصة لائقا بهذا الموضع ، فثبت أن كتاب الله تعالى ينادي على هذه الأقوال بالرد والافساد والبطلان .

٣٧٤ ـ والتفسير المطابق للحق ولألفاظ القرآن الكريم أن نقول : إن رباط الخيل كان مندوبا إليه في شريعتهم كما هو الحال في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، فاحتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وبإجرائها ، وذكر أنه لايحبها لأمر الدنيا ونصيب النفس ، وإنما يحبها لأمر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد بقوله : « عن ذكر ربي » ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر الرائضين أن يردوا تلك الخيل إليه فلما عادت طفق يمسح سوقها وأعناقها ـ بيده ـ والغرض من ذلك المسح :

١ ـ تشريفها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو .

٢ ـ أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك متضع حتى إنه ليباشر الأمور بنفسه .

٣ ـ أنه كان طبا بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض .

قال الفخر الرازي : وهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق عليه لفظ القرآن الكريم ، ولايلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات إلى سليمان عليه السلام .

٣٧٥ ـ فتنة سيدنا سليمان ، ومن الكفر الصراح ما يروى من الاسرائيليات في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[3] فقد قالوا : إن ملك سليمان كان في خاتمه وكان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة أعطى هذا الخاتم لأم ولد له يقال لها : الأمينة ، فوضعه يوما عندها ثم دخل لشأنه ،

(١)(٢) سورة ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) سورة ص ٣٤ .

فأتاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمير ـ في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً فقال : هات خاتمي يا أمينة ، فناولته إياه فجعله في اصبعه ثم خرج حتى جلس على كرسي سليمان ، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس ، وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال : يا أمينة خاتمي ، فقالت : من أنت ؟ قال سليمان بن داود ، قالت : كذبت ، لقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه ، فخرج عليه السلام وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل ويقول : أنا سليمان فيحثون عليه التراب ويقولون : انظروا إلى هذا المجنون .

فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، وجعل ينقل الحيتان لأصحاب السوق في نظير سمكتين يبيع إحداهما ويأكل الأخرى ، ثم ان آصف وعلماء بني اسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة ، وسأل آصف نساء سليمان فقلن : ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة . ثم طار الشيطان إلى البحر وألقى بالخاتم فيه فابتلعته سمكة، ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فاختتم به ووقع ساجداً لله تعالى ورجع إليه ملكه وأدخل ذلك الشيطان في صخرة وألقاه في البحر[1] .

٣٧٦ ـ وقد رد العلماء بل أنكروا هذا القول الذي لا ينطبق على عقل أو حكمة فقالوا :

١ ـ إن الشيطان لو قدر على التشبيه في الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع ، فلعل هؤلاء الذين رأيناهم في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم لإغواء الناس وإضلالهم ، ولما كان ذلك باطلاً لأنه يؤدي إلى إبطال الدين بالكلية كان ما أدى إليه باطلاً بالكلية .

٢ ـ ولو قدر الشيطان على سيدنا سليمان يعامله هذه المعاملة لقدر على مثلها من العلماء والزهاد فيقتلهم ويمزق كتبهم ويمحوها ويثبت فيها شيئاً آخر ، ولما كان المشاهد خلاف ذلك وأنه لم يقدر على أحد منهم ، فوجب أن يكون سليمان . ممن لا يقدر عليهم بالأولى .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ٥٧٤ وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٤، ٣٥

٣ ـ قال أصحاب هذا الرأي الفاسد[1]: إن الشيطان لما جلس على كرسي سليمان اجتمعت عليه الطير والإنس والجن ، وقد غفلوا عما جاء في القرآن من أن تسخير الجن كان بعد الفتنة : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ . . . . . . ، قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [2].

٣٧٧ ـ ولو سلمنا لهم أن ذلك بعد التسخير فما الذي جعل هذا الشيطان يخرج عن طاعته والله يقول : ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ويقول : ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ويقول : ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾.

ثم إن قولهم هذا تكذيب صريح لنص القرآن ، فالله يقول للشيطان : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[3] وإذا لم يكن سليمان النبي الذي اختاره الله واصطفاه من عباد الله فمن يكون إذاً ؟ ، ويقول : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [4] فهل نبي الله سليمان ليس من المخلصين حتى يسلط عليه الشيطان ؟ وأين قوله تعالى في معرض تثبيت قلب النبي : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : أن الله سبحانه ابتلى سليمان عليه السلام بمرض شديد ضنى منه حتى صار لشدة المرض كأنه جسد أو جسم بلا روح ـ ثم أناب ـ رجع إلى حالة الصحة ، وهذا ما يتفق مع العقل والنقل ويحفظ للنبي كرامته حتى يستأهل بعد ذلك أن يطلب ملكاً ليس لأحد من بعده ويعطيه الله .

وقد جاء في قصص الأنبياء نقلاً عن الإصحاحين السابع عشر والثامن عشر من سفر صموئيل الثاني أن الجسد الذي ألقي على كرسي الملك هو أخو سليمان واسمه أبشالوم ، أخذ الملك من سليمان بعد موت داود ثم استعاده سليمان ثانية .

٣٧٨ ـ وفاة سيدنا سليمان . جاء في سورة سبأ بشأن وفاة سليمان عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ

(١) قصص الأنبياء ٣٣٠. (٢) ص ٣٤ ـ ٣٧

(٣) سورة الحجر صدر الآية ٤٢

(٤) سورة ص ٨٢، ٨٣

تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[1]

وقد ذكر المفسرون في موته عجائب يستدلون لها بالآية ويؤولونها على نحو يدعو إلى الغرابة ، وكل ما جاء في هذا الباب أحاديث منكرة ، ويظن ابن كثير أنها مما يقوله أهل الكتاب ، قال ابن كثير في تفسيره[2] : يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فانه مكث متوكئاً على عصاه ـ وهي منسأته ـ كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحواً من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضعفت وسقط إلى الأرض ، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والانس أيضاً : أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر .

٣٧٩ ـ ولا شك أن هذا كلام يرده العقل وتأباه العادة ، فكيف يعقل أن يموت شخص ما ثم لا يجد من الناس ـ فضلاً عن أهله ـ من يسأل عنه لمدة سنة ؟ فما بالك إذا كان هذا الشخص رسولاً كريماً ، وملكاً عظيماً ، له سلطانه ، وعليه مسؤولية إقامة الشريعة ، وإقامة العدل بفض الخصومات ، واستقبال الوفود ؟! ألم تكن له زوجة تسأل عنه ، أو أولاد ، أو وزراء وحاشية ؟

ولو كان في الآية ما يشير إلى أن العصا مالت من تحته وانكسرت لقيل : أكلت ، بدل « تأكل » أي ما دلهم على موته إلا دابة الأرض قد أكلت منسأته ، وإذا كانت شبهة القائلين بهذا جاءت من كلمة « خرّ » وهي لا تعني عندهم إلا السقوط ، فان خر كما جاء في القاموس من معانيها : الموت ، و في لسان العرب : و ( خر ) أيضاً مات ، وذلك أن الرجل إذا مات خر، ومن ذلك قول حكيم بن حزام : « بايعت رسول الله ﷺ ألاّ أخر إلاّ قائماً » معناه ألاّ أموت ، لأنه إذا مات فقد خر وسقط .

٣٨٠ ـ والرأي المعقول ما أشار إليه صاحب قصص الأنبياء وهو أن يكون

---

(١) سورة سبأ الآية ١٤

(٢) ٣/ ٥٢٩ .

سيدنا سليمان قد توفي ودفن كما يحدث لسائر الناس ، وبقي ذلك معمى على الجن دون سواهم ، وقام في الملك ابنه ، والجن في أمكنة نائية - كتدمر - دائبين على العمل الشاق من بناء وغيره ، خشية أن يعاقبهم سليمان .

وبعد مدة لم يحددها القرآن ، علم أحد الجن بموته إذ رأى عصاه - وكانت له عليه السلام كبقية الملوك عصا تعتبر من شارات الرياسة - وكان لا يتركها - فلما رآها الجني والأرضة تأكل فيها تقصى الأمر ، فاذا بسيدنا سليمان قد مات ، فأسرع إلى الجن بالخبر - وكانوا لا يعلمونه - فكفوا عن العمل الشاق المضني ، وتبينوا ، وتبين الانس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب ، وتلك هي الحكمة المقصودة ، فالله سبحانه يريد أن يعلم الجميع أن الغيب لا يعلمه إلا هو .

ويؤكد هذا الرأي قوله تعالى : « تأكل » بصيغة المضارع ، والتي تفيد الحالية وقد قبض عليه السلام لأربعين سنة من ملكه وقيل لثنتين وخمسين ، ودفن ببيت لحم عند أبيه داود صلوات الله عليهما(١) .

## سيدنا يونس

٣٨١ - هو يونس بن متى - من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام (٢) - وقد أرسله الله عز وجل إلى أهل نينوى من بلاد الموصل بالعراق ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله وترك عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، وأقام على ذلك تسع سنوات(٣) يعظهم وينهاهم ولكنهم أصروا على كفرهم وعنادهم ، فلما يئس منهم أخبرهم - بما أخبره الله - أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث .

٣٨٢ - وغضب عليه السلام لشدة إصرارهم على الكفر ، وطول تماديهم في الباطل ، ولما قرب موعد العذاب قرر عليه السلام أن ينجو بنفسه ) فتركهم للعذاب

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١٤٦/١ .

(٢) المختصر في تاريخ البشر المجلد الأول ٤٥ ، تاريخ ابن خلدون ١٠٣/١ وقد جاء في ترجمة يونس عليه السلام في الكامل لابن الأثير : أن متى اسم أمه ، ولم يشتهر نبي بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام .

(٣) تفسير القرآن الكريم ١١/ ١٢٠

معتقداً أن الله لا يؤاخذه على ذلك ـ وكان هذا اجتهاداً منه ، ومضى في طريقه حتى أتى شاطىء البحر فركب سفينة اكتظت بمن فيها وأشرفت على الغرق فألقى ركابها بأحمالها ، فظلت مثقلة ، فرأى ربانها أن يلقى جماعة منهم بأنفسهم في البحر رغبة في نجاة الباقين ، فاقترعوا فكان سيدنا يونس ممن يلقون بأنفسهم فابتلعه حوت عظيم ـ وقد أحس عليه السلام أن ذلك جزاء له على خروجه بدون إذن من ربه ، فجعل يلوم نفسه ويستغفر ربه قال تعالى :﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾(١).

٣٨٣ ـ مكث عليه السلام في بطن الحوت مدة رجح بعض الثقات أنها ثلاثة أيام(٢) ، لم يفتر خلالها عن تسبيح ربه والضراعة إليه ، وقد اجتمعت عليه ظلمة الحوت وظلمات البحر المتكاثفة ، فلم يلهه ذلك عن نداء ربه قائلاً : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، وما ظن عليه السلام أن الله سيضيق عليه ويودعه هذا السجن ويرده فيما بعد إلى قومه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٣) .

٣٨٤ ـ استجاب الله لندائه ـ وما كان سبحانه ليرد استغاثة المؤمنين ـ فألهم الحوت أن يطرح يونس من جوفه في أرض فضاء ، فخرج ضعيفاً سقيماً مما عاناه في بطن الحوت ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين ـ قرع ـ لكي يغطيه ورقها المتسع .

وهكذا نجاه الله من الغم لأنه لم يغفل لحظة عن تسبيح الله والاعتراف بجلاله وعظمته ، والاقرار بذنبه ـ الذي يعد ذنباً بالنسبة له ـ ولولا هذا التسبيح لظل في بطن الحوت ، ولذهب مع الذاهبين إلى يوم الدين حتى يبعث مع جميع الخلق : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾

(١) سورة الصافات ١٣٩ ـ ١٤٢ .
(٢) تفسير القرآن الكريم ١٧/ ٤٦ .
(٣) الأنبياء ٨٧ ، وكان عليه السلام مغاضبا لقومه لا لله لأن غاضب يقتضي المفاعلة ، وقد شدد ابن حزم النكير على من يقول إنه مغاضب لربه أو يقول ان يقدر من القدرة لا التضييق ـ تفسير القاسمي ١٢/ ٤٢٩٩ .
(٤) سورة الأنبياء الآية ٨٨

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾[1].

٣٨٥ ـ وقد قال الله لنبيه محمد عليه السلام : اصبر على ما أنت فيه ولا يضق صدرك لأذى قومك وعنادهم ، فتكون كصاحب الحوت ، ولقد نادانا وهو مملوء غماً وغيظاً وأسفاً ، فنجيناه وتداركته رحمتنا وهو بالعراء ، فلم نتركه دون ساتر يقيه الحر والبرد ، ولولا توبته وكثرة تسبيحه لترك في العراء دون عناية ؛ لوماً على ما كان منه : ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]

٣٨٦ ـ أما قومه فانهم حينما رأوا العذاب قد أظلتهم تباشيره تابوا وخرجوا بأنفسهم وأهليهم ودوابهم ، يتضرعون إلى الله أن يقبل توبتهم ويكشف عنهم ما سيحيق بهم ، ولما صدقت نيتهم وصحت توبتهم رفع الله عنهم العذاب بعدما أوشك أن يصيبهم ، وهيأ لهم سبيل التمتع بألوان المتع في حياتهم ، وقد دعا الله كل الأمم أن يكونوا مثلهم : هلا كان أهل قرية أرسلنا إليهم وكذبوا رسولنا حتى جاءهم العذاب ـ هلا كانوا يتوبون ويؤمنون حين يرون تباشيره قبل أن ينزل بهم حتى ينفعهم إيمانهم بدلاً من أن يؤمنوا بعد نزول العذاب ، ولا فائدة عندئذ من هذا الايمان قال تعالى : ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾[3].

٣٧٨ ـ أرسل الله سيدنا يونس إلى قومه ـ أهل نينوى ـ وكانوا أكثر من مائة ألف ، وقد أنعم الله عليهم بنعمة الايمان والهدى ، فاتبعوه فكتبت لهم السعادة والهناء طول حياتهم : ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾[4].

ولما أتم عليه السلام ما أمر به اختاره الله إلى جواره ، وقد جاء في قصص الأنبياء ( . . . ويوجد ببلد اسمه ( حلحول ) قرب مدينة الخليل بفلسطين قبر يقال

(١) الصافات ١٤٣ـ١٤٦ .

(٢) سورة القلم الآيات ٤٨ ـ ٥٠ .

(٣) سورة يونس الآية ٩٨.

(٤) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨، تاريخ الطبري ١/ ٤٦١ ـ ٤٦٣ .

انه قبر ( يونس ) . . . )[1] .

## الياس عليه السلام

٣٨٨ ـ قال محمد بن اسحق وعلماء السير والأخبار : لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام[2] عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ، وعبدوا الأصنام من دون الله ، فبعث الله إليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون عليه السلام[3] ، وكان الأنبياء يبعثون في بني إسرائيل بعد موسى بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة ، وكان قوم سيدنا الياس يعبدون صنماً يدعى « بعلاً » في بلدة بالشام تسمى « بك » وهي التي تسمى الآن « بعلبك »[4] ، فدعاهم عليه السلام إلى عبادة الله الذي أبدع خلقهم وخلق هذا الكون وهو الذي يرعاهم ويرزقهم كما رعى ورزق آباءهم الأقدمين ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[5].

٣٨٩ ـ أصر القوم على عنادهم وكفرهم ، وكان ملكهم قد آمن بالياس ثم ارتد ، ولما لجوا في العناد ، واستمروا في الكفر دعا الله عليهم فأصابهم القحط ثلاث سنين فلجأوا إليه يطلبون منه أن يدعو ربه كشف ما بهم وسيؤمنون به ، فدعا الله فكشف ما بهم ولم يؤمنوا ـ إلا قليلاً منهم ـ بل أخذوا يطلبون الياس ليقتلوه ففر منهم واختفى عند أم اليسع عليه السلام حتى أدركته منيته وقبضه الله اليه ، وهؤلاء المكذبون سيحضرهم الله للعذاب يوم القيامة ولن ينجو إلا من أخلص وآمن ، وأما الياس عليه السلام فطاب ذكره في العالمين ، ولن يأتي جيل إلا ويثني عليه ويقول : سلام على الياس ، قال تعالى :﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾

---

(١) للشيخ النجار ٣٣٥.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ٥٥٠ ـ ٥٥٥ .

(٣) تفسير الطبري ١١/ ٥٠٩ ، تفسير ابن كثير ٤/ ١٩ .

(٤) تفسير القرآن الكريم ٢٣/ ٧١ ، حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ٥٥١ .

(٥) الصافات ١٢٣ ـ ١٢٦ ، وبعل اسم صنم من أصنام الفينيقيين ـ القاسمي ١٤/ ٥٠٥٩ ، وقيل اسم الرب في لغة ، أو اسم امرأة كانوا يعبدونها ابن كثير ٤/ ٢٠ .

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

ويوجد على جبل الكرمل المقامة على سفحه مدينة حيفا مقام يقال انه مقام الياس عليه السلام .

## اليسع عليه السلام

٣٩٠ ـ لما طارد اليهود سيدنا الياس عليه السلام ليقتلوه آوته(٢) أم سيدنا اليسع بن أخطوب بن العجوز(٣) وكان اليسع مريضاً فدعا الياس ربه فبرىء اليسع من مرضه وآمن بالياس وصدقه ولزمه أينما ذهب ، وكان الياس قد أسن وكبر واليسع ما زال غلاماً شاباً ، وبعد موت الياس نبأ الله(٤) اليسع وبعثه رسولاً إلى بني اسرائيل ، وأوحى اليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل ، وكانوا يعظمونه وظل حكم الله تعالى قائماً فيهم إلى أن فارقهم اليسع ولحق بجوار ربه .

## ذو الكفل عليه السلام

٣٩١ ـ لما كبر سيدنا(٥) اليسع وعجز عن قيام الليل وصيام النهار قال من يتكفل لي بثلاث : قيام الليل وصيام النهار والقضاء بين الناس من غير أن يغضب ؟ فجاءه رجل وقال له : أنا ، فاستخلفه اليسع فوفى بما تعهد به فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأداء ما وعد به ، والأكثرون على أنه كان نبياً لاقتران اسمه بأسماء الأنبياء ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٤٠٥ يقول البيضاوي : انه ابن عم اليسع وتعهد له . . . طبري تاريخ ١/ ٣٦٤ وفي تاج العروس : هو بشير بن أيوب ، ويقول الفخر الرازي : ان الله سماه ذا الكفل على سبيل التعظيم ، لأن عمله كان ضعف

---

(١) سورة الصافات ١٢٧ ـ ١٣٢

(٢) تفسير القرآن الكريم ٢٣/ ١٢٢ .

(٣) تفسير الطبري ١١/ ٥٠٩

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ٣/ ٥٥٠، تاريخ الطبري ١/ ٤٦٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٠

عمل غيره وثوابه كان ضعف ثواب غيره ، والكفل : النصيب فهيأه الله لأن يكون ذان نصيب وافر من الأجر والثواب ، وقد قال الله عز وجل مادحاً اسماعيل وادريس وذا الكفل عليهم السلام : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[2].

## سيدنا زكريا

٣٩٢ - جاء في تاريخ الطبري[3] عن محمد بن اسحق قال : عمّرت بنو إسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس ، يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهم السلام ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام .

٣٩٣ - وكان سيدنا زكريا عليه السلام أحد الأحبار الذين يقومون بخدمة المسجد الأقصى ، وكان حريصاً على ألا يأكل إلا من كسب يده فعمل نجاراً ، وقد تقدم أنه هو الذي كفل السيدة مريم لأنه زوج خالتها ، فلما رأى صلوات الله عليه أن الله أكرم مريم ورزقها من حيث لا تحتسب طمع في عفو ربه ورجاه أن يكون له ولد يرث النبوة فتضرع سراً إلى الله سبحانه ، حتى يكون دعاؤه أوكد في الاخلاص وأبعد عن الرياء ومنعاً من ملامة الناس له إذ يطلب الولد في غير أوانه - قال يا رب لقد كبرت سني ولحقتني أعراض الهرم والشيخوخة باطنة وظاهرة ، فهذا عظمي قد وهن وضعف ، وهذا رأسي قد اشتعل شيباً ، ولست بدعائك ربي أطمع في الدنيا أو أبتغي الاستظهار بقوة الولد ولكني رأيت الموالي - وهم من يتولون أمور الناس من بعده - من أبناء عمومتي وأقاربي قد أصبحوا يهملون شؤون دينهم ، ولا يكترثون بأوامر ربهم ويقسون على الضعيف ، واني أخاف أن يضيعوا دينك فأدعوك أن ترزقني ولداً يرث النبوة ويقوم بالعدل بين الناس ، وينصر دينك وقد أصبحت

(١) سورة الأنبياء ٨٥،٨٦.
(٢) سورة ص ٤٨
(٣) ١/ ٥٩٠.

طبيعتي وطبيعة امرأتي تأبيان الانجاب ، فهبه لي أنت بقوتك وقدرتك التي تقول للشيء كن فيكون ، واجعل هذا الولد يا رب مقرباً عندك مرضياً عنه في أخلاقه وأفعاله : قال تعالى :﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1] ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[2].

٣٩٤ ـ استجاب الله دعاء نبيه زكريا وأرسل الملائكة يبشرونه بأن الله سيهبه على شيخوخته وعقم زوجه غلاماً سماه الله يحيى ، ولم يسم به أحداً قبل تعظيماً له وتكريماً ويرى مجاهد[3] أن « سمياً » تعني شبيهاً ، أي لم يجعل الله له شبيهاً ، أخذه من قوله تعالى :﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[4]وسيكون يحيى مؤمناً بكتاب الله وهو التوراة ومصدقاً بعيسى وسيكون رئيساً يسود قومه ويفوقهم في الشرف لا يهم بمعصية بل يبالغ في حصر نفسه ومنعها من الشهوات وحرمانها التلذذ بمتع الحياة الدنيا فلا يستمتع بالنساء مع قدرته على ذلك ، وسيكون رسولاً إلى قومه يعلمهم أمر ربه ونهيه وحلاله وحرامه : ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[5] / ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[6].

٣٩٥ ـ تعجب زكريا عليه السلام من هذه البشرى فقال يا رب كيف يكون لي ولد من صلبي ، وقد بلغت النهاية في الكبر وهذه زوجي لم تلد منذ شبابها فكيف بها وقد كبرت سنها ؟ إنه لمن المستحيل عادة على رجل طاعن في السن ، وامرأة عاقر أن يولد لهما ولد ، واني لا أستبعد ذلك على قدرتك يا رب فقد دعوتك ، وما أريد إلا

---

(١) سورة مريم ٢ ـ ٦
(٢) سورة آل عمران ٣٨
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١١٢
(٤) سورة مريم ٦٥
(٥) سورة مريم ٧
(٦) سورة آل عمران ٣٩.

أن يطمئن قلبي ويزداد يقيني ، ولأحس آثار قدرتك وآية عظمتك التي آمنت بها عن يقين ـ ظاهرة في شأني محققة فيما امتنع على العادة أن تحققه ، واستحال على سنة الطبيعة أن توجده ، فأجابته الملائكة أن الأمر كما ذكرت من أن عادة الحياة لم تجر بتحقيق مثل ذلك ، ولكنه أمر هين على الله ، وقد خلقك من قبل يوم خلق أباك آدم من العدم وقدر آنذاك أنك ستكون من أصلاب بنيه ولم يكونوا موجودين فأوجدك من العدم وقد كنت لا شيء قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾(١) ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾(٢).

٣٩٦ ـ طلب سيدنا زكريا من ربه أن يجعل له علامة يستدل بها على أن ما أجابه إليه قد حصل ، وأن الحمل قد وقع ليتلقى ذلك بمضاعفة الشكر وبمزيد الحمد فأوحى الله إليه : علامة ذلك أنك لا تقدر على أن تكلم الناس مع سلامة جوارحك وصحة حواسك ، ومدة ذلك ثلاثة أيام بلياليها وسوف لا يمكنك التفاهم مع الناس إلا بالرمز : ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾(٣)، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(٤).

٣٩٧ ـ ولما تحققت قدرة الله وحدث الحمل أراد زكريا أن يكلم الناس فلم يقدر ، وكان من عادته أن يخرج من المصلى ليفتح باب المعبد للناس ليصلوا فلما رأوه متغيراً سألوه : ماذا بك ؟ فأشار إليهم : أن صلوا وسبحوا لله صباحاً ومساء . ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾(٥).

ويجمل القرآن الكريم هبة الله يحيى لسيدنا زكريا عليهما السلام فيقول : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا

---

(١) سورة آل عمران: ٤٠

(٢) سورة مريم : ٨، ٩

(٣) سورة مريم: ١٠

(٤) سورة آل عمران: ٤١

(٥) سورة مريم ١١

﴿ لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(1)

٣٩٨ ـ وقد عاش سيدنا زكريا عليه السلام حتى قرت عينه بيحيى ، ولم يلبث أن عدا عليه اليهود وقتلوه ، والرواة مختلفون في مقتله فمنهم(2) من يقول : إنه قتل في الحادث الذي قتل فيه ابنه يحيى وسيأتي باذن الله فقد جاء في تاريخ ابن خلدون(3) أنه لما قتل يحيى طلب بنو اسرائيل زكريا ليتقلوه ففر أمامهم ودخل في بطن شجرة كرامة له ، فدلهم عليه طرف ردائه فشقوها بالمنشار وشق زكريا فيها نصفين .

ومنهم(4) من يقول : ان سبب قتله أن اليهود لما رأوا مريم قد ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في جوف شجرة عظيمة فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها وكان عمره حينئذ مائة سنة ودفن صلوات الله عليه كما رجح أبو الفداء(5) في بيت المقدس .

## سيدنا يحيى

٣٩٩ ـ ولد سيدنا يحيى ونشأ محفوفاً بعناية الله محاطاً برعايته فقد خصه الله سبحانه بمواهب عظيمة ، إذ منحه حدة الذكاء ، وكمال الفطنة وحسن الفهم ، وأمره أن يقرأ التوراة ويتفهم ما فيها ، مستعيناً بما لديه من قوة ذكاء وفطنة وحفظ ، وقد أتاه الله في صغره بصيرة قادرة على التفقه في الدين ، وتفهم أحكام الشريعة وتحصيل العلم ، وجعله سبحانه عطوفاً ذا قلب حنون مليءبالشفقة والرحمة ، كما طهره من الرجس والدنس وجعله تقياً لا يرتكب خطيئة بل ولا يهم بمعصية ، كثير البر بوالديه غير جبار أو متكبر : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾(6)

٤٠٠ ـ وكان عليه السلام زاهداً في الدنيا ومتعها مبالغاً في حصر نفسه عن

(1) سورة الأنبياء ، وأصلحنا . . . أكثر المفسرين : كانت عاقرافأصبحت ولودا . القرطبي : ٣٣٦/١١ .
(2) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار نقلا عن المفسرين ٣٦٨
(3) تاريخ ابن خلدون ٢١٢/١ ، ٢١٣
(4) المختصر في تاريخ البشر المجلد الأول ٤٨ ، تاريخ الطبري ١/ ٦٠٠، ٦٠١.
(5) صاحب المختصر في تاريخ البشر المجلد الأول/ ٢١٣
(6) مريم .

شهواتها ، فلبس الشعر وأكل ما يسد رمقه حتى نحل جسمه ، وقد اجتهد عليه السلام في العبادة وتفهم الشريعة حتى اكتملت له أوصاف الصلاح والتقوى ، وأصبح مرجعاً في الشريعة الموسوية ، وقد نبأه الله قبل الثلاثين ، وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره[2] : اعلم أن في الحكم أقوالاً : الأول ، أنه الحكمة ، . . الثاني ، أنه العقل ، الثالث ، أنه النبوة ، فإن الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى إليه ، وذلك لأن الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام ـ وهما صبيان ، لا كما بعث موسى ومحمداً ـ عليهما السلام ـ وقد بلغا الأشد ، والأقرب حمله على النبوة لوجهين : ( الأول ) ، أن الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومنقبته ، ومعلوم أن النبوة أشرف صفات الإنسان ، فذكرها في معرض المدح أولى من ذكر غيرها ، فوجب أن تكون نبوته مذكورة في هذه الآية ، ولا لفظ يصلح للدلالة على النبوة إلا هذه اللفظة ، فوجب حملها عليها ، ( الثاني ) : ان الحكم هو ما يصلح لأن يحكم به على غيره ولغيره على الإطلاق ، وذلك لا يكون إلا بالنبوة ، فان قيل : كيف يعقل حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا ؟ قلنا : هذا السائل ، إما أن يمنع من خرق العادة أو لا يمنع منه ، فان منع منه فقد سدّ باب النبوات ؛ لأن بناء الأمر فيها على المعجزات ، ولا معنى لها إلا خرق العادات ، وإن لم يمنع فقد زال هذا الاستبعاد ، فانه ليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلاً أشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر .

وكان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب ، وكان يعمدهم ـ أي يغسلهم ـ في نهر الأردن للتوبة من الخطايا ، وقد جاءه سيدنا عيسى عليه السلام وهو يعمد الناس ، وطلب منه أن يعمده ، فمن قائل : إنه عمده ولذلك يسميه النصارى يوحنا المعمدان ومن قائل : إنه قال لسيدنا عيسى : بل أنت الذي تعمدني فعمده سيدنا عيسى .

٤٠١ ـ وقد عرف عنه عليه السلام جرأته في الحق وشدته على الباطل ، فكان لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا يخاف صولة عات ظالم .

---

(١) مريم ١٢ ـ ١٤ .

(٢) ٢١/١٩٢

علم يوماً أن[1] هيرودوس حاكم فلسطين كانت له ابنة أخ يقال لها هيروديا ، وكانت بارعة الحسن والجمال فعشقها وأراد التزوج منها وقد كان هذا حراماً في شريعة سيدنا موسى أيضاً ، فأنكر ذلك سيدنا يحيى ، وشاع بين الناس إنكاره فأرادت أمها أن تتخلص منه ليتم لابنتها الزواج من عمها الملك ـ فأخرجت ابنتها في زينتها وجعلت ترقص له وتغريه حتى أخذ بحبائل فتنتها وقال لها : تمني علي فإني رهن ما تطلبين ، فقالت :إن رضي الملك فلست أطلب إلا رأس يحيى بن زكريا ، ذلك الذي سمَّع بالملك وبي في كل مكان ، ويريد أن يمنع زواجنا ، فأجاب الملك لداعي الشيطان والهوى، وأمر بمن أتوا بيحيى ذلك النقي التقى الطاهر فذبح ذبح الشاة .

وكان ذلك وبالاً على الملك وأعوانه فقد أنزل الله عليه وعلى بني إسرائيل لعنته إلى يوم الدين .

ودفن عليه السلام بنابلس[2] .

وسلام من الله على هذا النبي الكريم يوم المولد ويوم المهات ويوم البعث : ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[3] .

## سيدنا عيسى

٤٠٢ ـ سبق في قصة السيدة مريم ـ رضى الله عنها ـ أن بينا كيف كانت ولادته صلوات الله عليه ، وأن أمه وابن عمها قد ذهبا به إلى مصر فراراً من اليهود وملكهم آنذاك وهو هيرودس ، وأنه عاد ـ بعد أن أهلك الله عدوه ـ إلى مسقط رأسه .

وقد أظهر الله على يديه ـ وهو صغير ـ كثيراً من ارهاصات النبوة ، كما نشأ

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ٣٦٩

(٢) تاريخ ابن خلدون ١/ ٢١٦

(٣) سورة مريم : ١٥ ، وإنما خص الله بالذكر هذه الأوقات الثلاثة ؛ لأنها أشد ما تكون على الإنسان ؛ إذ ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر ، ينتقل من البطن إلى الدنيا ليكابد همومها وغمها ، ومن الدنيا إلى عالم البرزخ حيث الحفرة المظلمة الضيقة ، ومن الحفرة إلي يوم النشور وما فيه من أهوال يقول الشاعر :

ولدتك أمك ،يابن آدم باكيا ... والناس حولك يضحكون سرورا
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكا مسرورا

عليه السلام نشأة محمودة ، وكان غيوراً على الدين منذ صغره ، حريصاً على تفهم حكمه وأسراره ، فلم يدع فرصة للمعرفة والعلـم إلا اهتبلهـا ، فجـالس العلماء وناقشهم بذكاء وفهم ، وقصارى ما يقال هو أن البيئة التي تمرس بها صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين .

٤٠٣ ـ ولما بلغـت سنـه عليه السـلام الثلاثـين نبـيء كما يروى المؤرخـون والمفسرون ، وكان ذلك بعد أن التقى بيحيى عليه السلام وتعمد منه ، ولما تجلت له الرؤيا وعلم أنه نبي مرسل إلى بني إسرائيل كاشف أمه بذلك قائلاً لها ، إنه يترتب على احتمال اضطهاد عظيم من أجل الدعوة لدين الله ، فلا يمكنني أن أبقى معك وأخدمك فقالت له : يا بني إني نبئت بكل ذلك قبل أن تولد .

ويقال إنه كان قبل ذلك وقبل قتل يحيى يلجأ إلى البراري فلما علم بقتله جاء إلى « الجليل » وترك « الناصرة » وسكن « كفرناحوم »[1]

٤٠٤ ـ وأنزل الله عليه الانجيل ، وما من ريب في أن الله قد أعطـاه هذا الكتاب ، وأنه تضمن الهدى والنور ، كما دعـا بنـي إسرائيل إلى الرجـوع إلى الله وحده ، وأنبأهم بأحداث مستقبلة وبشرهم باقتراب زمن النبي محمد عليه السلام ، الذي جاء ذكره في التوراة وأتاهم بكثير من صفاته وصفات أصحابـه قال تعـالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾[3] ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[4] .

---

(١) ٣٨٨ قصص الأنبياء عن اصحاحات: متى ٣، ٤ ـ مرقس ١، لوقا ٣، ٤، يوحنا ١ .

(٢) سورة المائدة ٤٦ .

(٣) سورة الحديد من الآية ٢٧ .

(٤) سورة الفتح ٢٩ .

ونجد دليل ذلك أيضاً في السور الآتية : آل عمران ٣ ، ٤ ، ٤٨ ، ٦٥ - المائدة ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠ - الأعراف ١٥٧ - التوبة ١١١ .

٤٠٥ - جاء سيدنا عيسى عليه السلام برسالته في وقت بلغ فيه بنـو اسرائيل الذروة في الضلال والافساد ، فنبذوا كل ما جاء به النبيون بل عادوهم وقتلوهم ، وانحرفوا عن الطريق السـوي ، وقـد بـين لهـم عليه السـلام أنـه مصـدق لموسى والتوراة ، ومبشر برسول يأتي بعده اسمه أحمد ، وهو اسم من أسماء النبي محمد عليه السلام ، كما أحل لهم بعض ما كان محرماً عليهم ، ككل ذي ظفر ، وكشحوم البقر والغنم - مما سبق بيانه - كما أحل لهم العمل يوم السبت .

وقد جاءهم بمعجزات باهرة تشهد بصدقه ، ولكنهم أعرضوا عن ذلك كله وكذبوه - إلا قليلاً منهم - وقالوا عن معجزاته ان هي إلا سحر مبين قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(١) ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾(٢).

٤٠٦ - وقد أيد الله سيدنا عيسى عليه السلام بمعجزات باهرة ، ولئن كانت كلها حسية فما ذلك إلا لأنهم قوم لا يؤمنون إلا بالماديات ، ويا ليتهم آمنوا ، فعلى الرغم من أن الواحدة منها تنطق بأنه نبي مؤيد من قبل الاله القادر ، إلا أنهم لم يزدادوا إلا كفراً ، ولن يكون حال سيدنا عيسى عندهم بأحسـن من حال سيدنـا موسى . وقد شاءت قدرة الله عز وجل وإرادته أن يؤيد نبيه بمعجزة من جنس ما اشتهر به قومه وبرعوا فيه ، والناس في ذاك الوقت كانوا قد برعوا في الطب وبلغوا فيه شأواً بعيداً فأجرى الله على يد سيدنا عيسى ما يعجز الطب عنه منذ كان إلى يومنا هذا .

٤٠٧ - فمن ذلك :

---

(١) الصف ٦ .

(٢) سورة آل عمران ٥٠ ، ٥١ .

١ ـ أنه كان يبرىء الأكمه ـ الأعمى ـ يدعو الله له بالشفاء فيمنحه ما كان بالنسبة إليه محالاً ، ويبرىء الأبرص ، يدعو الله له فيعافيه من ذلك المرض الخبيث

٢ ـ بل وأغرب من ذلك وأعجب أنه على مرأى ومسمع من بني اسرائيل ، دعا ميتاً منهم(1) قد فارق الحياة لثلاث فقال له : قم حياً بإذن الله فقام وعاد إلى الحياة .

٣ ـ وليس أقل من هذا غرابة أنه كان يشكل من الطين على هيئة الطائر ، ثم ينفخ فيه فيصير طائراً بإذن الله ، قد اكتملت له كل مقومات الحياة .

٤ ـ كما كان صلوات الله عليه يخبرهم بما أكلوه وما يدخرونه في بيوتهم ، دون أن يكون له سابق علم بذلك ، فكان يقول للواحد منهم : يا فلان لقد أكلت كذا وكذا اليوم ، وتدخر كذا وكذا ، فقال بنو اسرائيل عن ذلك كله ما هذا إلا سحر

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

٤٠٨ ـ وأكرم الله سيدنا عيسى ببعض خوارق العادات مما لا يستغرب من نبي قبله ، لم يذكره القرآن الكريم ، كالمشي على الماء ، والبركة في قليل الطعام والشراب حتى يكفي خلقاً كثيراً ، وكأن يعود الصيادون يوماً بلا صيد متألمين متحسرين فيأمر التجار الذين هموا بالرحيل أن يبقوا وينزل مع الصيادين فيعودوا بالخير العميم .

---

(1) هذا كان صديقا له ، وكان اسمه : عازر ، لما مات أرسلت أخته إلى عيسى ـ عليه السلام ـ فأتى هو وأصحابه ودلته على قبره . . .

وأحيا ابن العجوز ؛ وقد مرَّ به ميتا على عيسى ـ عليه السلام ـ محمولا على سرير ، فدعا عيسى ربه ، فعادت إليه الحياة . وبقي زمانا وولد له .

وأحيا ابنة العاشر ، وهو رجل كان يأخذ العشور ( الجمارك ) ماتت له بنت بالأمس ، فدعا عيسى ربه فأحياها ، وبقيت زمانا وولد لها .

وأحيا سام بن نوح ، لأن قوم عيسى قالوا له : إنك تحيي من كان قريب العهد بالموت ، ولعلهم لم يموتوا ، بل أصابتهمسكتة ، فأحي لنا سام بن نوح ، وكان قد مضى على موته أكثر من أربعة الآف سنة ، فدعا الله فقام من قبره وقال : صدقوه فإنه نبي ، ثم عاد ميتا كما كان ـ روح المعاني ١٦٩/٣ .

وهناك أمر خارق للعادة تحدث عنه القرآن الكريم وأظهره الله على يد عبده عيسى عليه السلام ، وهو المائدة .

٤٠٩ ـ فقد حدث أن سيدنا عيسى عليه السلام لماتأكد له عناد بني اسرائيل وإصرارهم على الكفر ، أراد أن يميز أنصاره والذين آمنوا به من الكافرين فقال لهم : من منكم ينصردين الله ويساعدني على تبليغ ما أمرت به ، فقال أصفياؤه وخلصاؤه ، وكانوا اثني عشر رجلاً ، وهم الحواريون : نحن أنصار الله المخلصون لدعوته والمؤمنون بما جئت به فاشهد لنا بذلك يوم القيامة ، ثم توجهوا إلى الله أن يكتبهم مع الذين شهدوا بوحدانيته ، وأقروا بربوبيته واتبعوا رسوله قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[2].

أيد الله المؤمنين على الكافرين فكانت لهم الحجة في المقال والغلبة عند القتال .

٤١٠ ـ وأوحى الله عز وجل إلى هؤلاء الحواريين أي أمرهم أو بين لهم أن يؤمنوا بالله ، وبرسوله عيسى عليه السلام ، فقالوا : آمنا وأشهد يا رب بأننا مسلمون لك ، واشهد يا عيسى بأننا مسلمون لله قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

ولكن إلى أي حد أخلص هؤلاء الحواريون لسيدنا عيسى هل ثبتوا للمحن والزلازل ، أو كانوا كأجدادهم الذين أتعبوا نبي الله موسى ؟

---

(١) سورة آل عمران ٥٢، ٥٣ : والحواري: الناصر قال عليه السلام لكل بني جواري وحواري الزبير .

(٢) الصف ١٤ .

(٣) سورة المائدة ١١١ الوحي في كلام العرب معناه الإلهام ويكون بارسال جبريل الى الرسل ، أو الإلهام والقذف في القلب كما في النحل وأم موسى عليه السلام، ويكون بمعنى أمرت ومنه «بأن ربك أوحى لها» وأمرها ، ويكون بمعنى بينت لهم .

٤١١ ـ خرج سيدنا عيسى ومعه الحواريون أنصاره يجوبون البلاد ينشرون دين الله ، ويبلغون رسالته حتى انتهى بهم المطاف يوماً إلى مكان ليس به شيء من طعام ، وكانوا قد بلغ بهم الجوع مبلغه فتوجهوا إلى عيسى عليه السلام يسألونه : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ فقال لهم عليه السلام : اتقوا الله في أمثال هذا السؤال إن كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي ، واخشوه فلا تقترحوا مثل هذه الآيات التي لم يسبق لها مثال ، فقالوا له : إن سؤالنا لا لشك ولكنا نريدها للأكل فانا محتاجون إلى الطعام ، كما يزداد بذلك يقيننا بقدرة الله ونبوتك ؛ فان انضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال لمما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين ، كما نشهد بذلك أمام الناس جميعاً ، فيكثر المؤمنون بك المصدقون برسالتك قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(١).

٤١٢ ـ توجه عيسى عليه السلام إلى ربه وطلب منه مائدة يكون يوم نزولها عيداً لأول أمته وآخرا كما تكون آية تنطق بقدرة الله وعظمته ، ورجاء العطاء فهو خير من أعطى ورزق ؛ لأنه الغني الحميد : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(٢).

وعده الله عز وجل بنزولها ووعده الحق ، وحكم على من يكفر منهم بعد ذلك أن يعذبه عذاباً لم يعذبه أحد من الخلق : ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾(٣) .

٤١٣ ـ وقد حاول كثير من المفسرين أن يعفى الحواريين من جرم هذا السؤال الذي يدل ظاهره على الشك في قدرة الله ، فلم يكن الاستفهام فيه عن إمكان الحدوث وعدمه ، وإنما كان كما هو الظاهر عن الاستطاعة وعدمها ، فقالوا :

---

(١) سورة المائدة ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) ، (٣) سورة المائدة ١١٤ ، ١١٥ .

(٤) تفسير القرطبي ٦/ ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

في قراءة « هل يستطيع ربك » إن يستطيع بمعنى يطيع كاستجاب بمعنى أجاب ، وقالوا : ان السؤال لم يصدر عن الحواريين وإنما صدر ممن كانوا معهم ، وهم سألوا سيدنا عيسى بناء على سؤالهم ، وقالوا انهم كانوا عالمين باستطاعة الله ذلك علم خبر ، ولكنهم أرادوا المعاينة التي لا يداخلها ريب ، كما طلب سيدنا ابراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى .

٤١٤ ـ ومهما يكن من تأويل فان ظاهر الآية يوحي بتشابه الأبناء والأجداد ألم يطلب النقباء الذين اختارهم نبي الله موسى ؛ ليستغفروا ربهم من ذنب عبادة العجل ، وقد اختارهم من صفوة بني اسرائيل ، ألم يطلبوا رؤية الله جهرة وإلا كفروا بموسى ؟ فهؤلاء كأولئك ، ولا عجب في مثل هذا الطلب منهم فسوف نرى أحدهم يبيع عيسى بثمن بخس ، ويدل أعداءه على مكانه ، والله عز وجل يحق الحق ، فلو كان الطالبون غيرهم ما نسب الطلب إليهم ولو كانوا يقصدون استطاعة عيسى سؤال ربه لقال الله ذلك ، ولا يشبه سؤالهم هذا سؤال نبي الله إبراهيم ، فهو في سؤاله يقرر القدرة ، ولكنه يسأل عن الكيفية حيث يقول : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (١)

٤١٥ ـ وقد اختلف العلماء في نزول المائدة وعدمه (٢).

فقال مجاهد : ما نزلت ، وإنما هو ضرب مثل ضربه الله تعالى لخلقه فنهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه (٣). وقيل وعدهم بالاجابة فلما قال لهم : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤) استعفوا منها واستغفروا الله وقالوا : لا نريدها .

والذي عليه الجمهور أنها نزلت لأنه تعالى قال : « إني منزلها » ووعده حق ، وليس ذلك بدعاً فقد أنزل الله على آبائهم المن والسلوى ، ومهما اختلفوا في وصفها ، فقد كان عليها طعام سمك أو غيره ، وقد أكل منها خلق كثير ، ويقال إن نزولها كان يوم الأحد ولذا اتخذه النصارى عيداً .

---

(١) البقرة ٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق ٣٦٩.

(٣) وهذا يؤيد الرأي القائل بتبرئة الحواريين

(٤) المائدة ١١٥

وقد جحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون[1] .

٤١٦ ـ مكث صلوات الله عليه يدعو إلى الله وإلى طريق مستقيم وشاع ذكره بعدما أظهر الله على يديه الخوارق ، فاتبعه الكثير من بني اسرائيل ، وخافه رؤساء اليهود على دينهم فتآمروا على قتله ، وجمع عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم ، بما استعظموه حتى قال : إنما فعلته لتتأسوا به ، وقال يعظهم : « ليكفرن بي بعضكم قبل أن يصيح الديك ، ويبيعني أحدكم بثمن بخس ، ثم افترقوا » .

٤١٧ ـ وكان اليهود ـ وقد امتلأت قلوبهم غلاً وحقداً على عيسى ـ قد بعثوا العيون عليه ومن معه ، فأخذوا شمعون فتبرأ منهم فتركوه ، وجاء يهوذا الاسخريوطي ـ وهو من الحواريين ـ وبايعهم على الدلالة على مكان سيدنا عيسى بثلاثين درهماً ، وأراهم مكانه الذي كان يبيت فيه وأصبحوا به إلى فلاطس النبطي قائد قيصر على اليهود ، وحضر جماعة الكهنوتية وقالوا : لفلاطس ، هذا يفسد ديننا ويحل نواميسنا ويدعي الملك فاقتله ، وتوقف فصاحوا به وتوعدوه بابلاغ الأمر إلى قيصر ، فأمر بقتله ، وكان عيسى قد أبلغ الحورايين بأنه يشبه على اليهود في شأنه فقتل ذلك الشبه وصلب[2] .

٤١٨ ـ وذكر ابن كثير[3] في تفسيره . قال ابن أبي حاتم ، حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن حيير عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين ، فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي . ثم قال : أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي ؟ فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له : اجلس ، ثم أعاد عليهم ، فقام ذلك

(١) تفسير القرطبي ٦/ ٣٦٩ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ١/ ٢١٦ ، ٢١٧ .
(٣) ج ١ ص ٥٧٤

الشاب ، فقال : اجلس ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا ، فقال : هو أنت ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبه فقتلوه ، ثم صلبوه ، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق ، فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت فرقة ؛ كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة ؛ كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها ، فلم يزل الاسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه .

٤١٩ ـ وقد أخبر الله نبيه بما بيت اليهود من شر وما أضمروا من سوء وقال له : إني متوفيك ومخلصك من مكرهم ومحاولة قتلهم إياك ، ورافع قدرك ، ومنجيك من سوء قصدهم وشرهم الذي بيتوه لك ، وسيكون لتابعيك الغلبة على الذين كفروا بك إلى يوم الدين وسيرجع الجميع إليّ يوم القيامة فأحكم بينكم وللكافر عذاب شديد وللمؤمن ثواب مقيم : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

٤٢٠ ـ ولقد استنزل اليهود غضب الله في ادعائهم قتل المسيح وقرر الحق سبحانه أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهه لهم ، وإنما رفعه الله إليه ، والله عزيز لا يغلبه غالب ، حكيم في تدبيره فلا يمكن لأحد أن يحبط ذلك التدبير : ﴿ . . . وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ

---

(١) سورة آل عمران ٥٥ ـ ٥٧.

﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]. ما آل إليه أمره عليه السلام :

٤٢١ ـ وقد اختلف المفسرون فيما آل إليه أمر سيدنا عيسى عليه السلام ، فمنهم من يقول : إن الله رفعه حياً وسينزل قرب يوم القيامة فيحكم بشريعة محمد عليه السلام ويعنون بالوفاة : النوم ويقولون إن سيدنا عيسى ضرب الله عليه النوم ثم رفعه إليه ، ومن رأيهم أن ذلك لا ينافي كون النبي محمد عليه السلام خاتم النبيين كما ذكر القرآن ، لأن عيسى لن ينزل بشريعة جديدة ، وإنما سيحكم بشريعة سيدنا محمد ، وسندهم في ذلك أحاديث رويت عن رسول الله من مثل « والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنازير ويضع الجزية »[2] ويستأنسون لرأيهم أيضاً بأن الأحاديث تروي أن الرسول رآه ليلة المعراج بجسمه وروحه .

ومنهم من يقول : إن الله توفاه وفاة حقيقية ، وأما مسألة الرفع فتعني رفع القدر والمنزلة ، وأما ما يروى من أحاديث فكما قال الإمام محمد عبده في تفسير المنار : انها أحاديث آحاد متعلقة بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب ، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي لأن المطلوب فيها هو اليقين ، وليس في الباب حديث متواتر ، وأما رؤية النبي له ليلة المعراج بروحه وجسده ، فقد حدث ذلك ليحيى بل ولجميع النبيين عليهم السلام .

وأياماً كان الأمر فقد أبهم الله سبحانه ما آل إليه أمر عيسى ولم يذكره لنا بنص قطعي الدلالة ، ولسنا نملك إلا تفويض ذلك لعلم الله وإبهام الأمر كما أبهمه سبحانه

٤٢٢ ـ والذي ندين به معشر المسلمين : أن الله سبحانه قد جعل خاتمة عبده عيسى على هذا النحو من التكريم والصون كما ذكر القرآن الكريم .

ولكن النصارى جعلوا خاتمته عليه السلام خاتمة شنيعة ومأساة مروعة ، وجعلوا الاعتقاد بحصولها على الوجه الذي صوروه أصلاً من أصول دينهم ،

---

(١) سورة النساء ١٥٦ ـ ١٥٨ .

(٢) رواه البخاري كتاب الأنبياء وكذلك مسلم .

ودعامة من دعائم عقيدتهم فلا يقبل من مؤمن إيمانه ـ عندهم ـ ولا ينفعه عمل صالح ولا عبادة ولا بر ولا تقوى دون الاعتقاد بصلب المسيح ، وقد جاء في قصص[1] الأنبياء نقلاً عن تفسير المنار[2] توضيح ذلك والرد عليه .

٤٢٣ ـ وقد تلمسوا لتلك العقيدة أصلاً في العهد القديم أسسوا عليه صلب المسيح فقالوا : إن آدم وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة ، التي نهاه الله عن الأكل منها ، فصار خاطئاً ، وصار جميع ذريته خطأة مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي ، وقد جاء جميع أبناء آدم مذنبين فهم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم الذي هو الأصل لذنوبهم .

٤٢٤ ـ ولما كان الله تعالى من صفاته العدل والرحمة ـ فمن عدله أنه لا يترك الجريمة دون عقاب ، وإلا لم يكن عادلاً ـ والعقاب منافٍ للرحمة ، فلا يكون رحيماً إذا عاقب ـ ولا بد من تحقيق العدل والرحمة للخروج من هذا الإشكال .

وشاء الله أن يحل ابنه ( تعالى عن ذلك ) الذي هو بنفسه الله في رحم امرأة من ذرية آدم ، ويتجسد جنيناً في رحمها ويولد منها ـ فيكون ولدها إنساناً كاملاً من حيث إنه ابن لتلك المرأة ، وإلهاً كاملاً من حيث إنه ابن الله ، ويكون معصوماً من جميع المعاصي ، ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس ويأكل ويشرب ، ويتلذذ ويتألم مثلهم ـ يأتي أعداء الله وأعداء شريعته فيقتلونه شر قتلة وأفظعها ، وهي أن يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه في الخشب ، ثم يقتلوه بعد أن يلطموا خده ويسخروا منه ، ويضفروا له إكليلاً من الشوك ، ويبصقوا في وجهه ، كل ذلك ليفتدي البشرية من جريمة لم يقترفها هو ولا هم .

٤٢٥ ـ وأي عدل وأية رحمة في هذا الصنيع ؟ أمن العدل أن يؤخذ البريء بذنب المسيء ؟ أمن الرحمة أن يعاقب غير الآثم ؟ وبخاصة إذا كان المعاقب من شأن الجبلة أن تشمله بالرحمة ـ ولو مع الذنب ـ لبره فالبار أولى بالرحمة من المذنب .

على أن العقاب على هذا الوجه يخالف ما جاء في العهد القديم تثنية إصحاح ٢٤ :

---

(١) قصص الأنبياء: ٤٣١

(٢) تفسير المنار ٦/ ٢٥ .

( لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل انسان بخطيته يقتل ) والذي يعلق على خشبة ملعون من الله : تثنية ص ٢١ (٢٢) وإذا كان على انسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة (٢٣فلاتبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله ) وكيف يلعن الله من لم يخطىء ؟!

٤٢٦ ـ وعلى قول النصارى فقد بقي الله تعالى مجرداً من صفتي العدل والرحمة من لدن عصيان آدم إلى أن اهتدى إلى تلك الحيلة التي ظهرت له قبيل خلق المسيح ابن مريم .

على أن الأساس الذي بنوا عليه هذه العقيدة ، أساس خاطىء ؛ فآدم عليه السلام لم يتعمد الأكل من الشجرة ولكنه نسى ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[1] ، أو اجتهد فأخطأ ، أي أكل من جنس الشجرة المشار إليها من مكان آخر ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .

وفي كلتا الحالتين ، فقد تاب إلى الله وقبل الله توبته ، فليس من الرحمة ألا تصل الله توبته من باب ، يقول سبحانه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[2] ويقول: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[3] .

وليس من العدل أن يعاقب الله على الذنب بعد أن قبل التوبة .

وهناك محظور آخر وهو أن عقيدة الصلب لما كانت هي كل الايمان كانت حادية لمعتنقها على نبذ كل الفضائل ، بل ومخذلة له عن فعل كل بر وتقوى ، فيكون صاحبها إباحياً فاتكاً ليس للفضيلة في نفسه نصيب .

ويكون إرسال الرسل وإنزال الكتب وبقاء النار من العبث الذي تنزه الله عنه .

٤٢٧ ـ والباحث يجد أن عقيدة الصلب والفداء عند النصارى عقيدة وثنية[4] .

(١) طه ١١٥ .
(٢) البقرة ٣٧ .
(٣) طه ١٢٢ .
(٤) في كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية «تأليف محمد طاهر التنير البيروتي أفندي «الشيء الكثير مما يشترك فيه النصارى مع الوثنيين مختلفي النحل والأمكنة والعقائد .

ففي تفسير المنار[1] نقلاً عن كتاب ( خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى )[2] ما مجمله : إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم ، ومن ذلك قوله : ( يعتقد الهنود أن « كرشنا » . المولود البكر الذي هو نفس الاله « فشنوا » الذي لا ابتداء له ولا انتهاء - في رأيهم - تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

وذكر أن ( مستر موي ) قد صور ( كرشنا ) مصلوبا كما هو مصور في كتاب الهنود مثقوب اليدين والرجلين ، وعلى قميصه صورة قلب الانسان معلقاً ، ووجدت له صورة مصلوباً وعلى رأسه إكليل من الذهب ، والنصارى تقول : ان يسوع صلب وعلى رأسه إكليل من الشوك .

٤٢٨ - وأما ما يروى عن البوذيين في « بوذة » فهو أكثر انطباقاً على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه حتى إنهم يسمونه « المسيح » و« المولود الوحيد » ، « مخلص العالم » ويقولون : إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبون عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات .

بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم « بيلي » في كتابه « تاريخ بوذة » و« هوك » في رحلته ، و« مولر » في كتابه « تاريخ الآداب السنسكريتية » وغيرهم .

ولقد تعجب أحد شعراء المسلمين من هذا الكلام الفاسد الذي يقوله النصارى في صلب عيسى عليه السلام ، فقال :

عجبا للمسيح بين النصارى ... إلى الله والداً نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتل صلبوه
فلئن كان ما يقلون حقا ... فسلوهم فأين كان أبوه
فإن كان راضيا بأذاهم ... فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإن كان ساخطا غير راضٍ ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

(١) السيد رشيد رضا ٦/ ٣٣

(٢) تأليف ودوان، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

٤٢٩ ـ والذي ندين عليه ونلقي الله به أن عيسى عبد من عباد الله جعل الله ميلاده آية واضحة تنطق بقدرته سبحانه ، وأما ما يدعيه النصارى من أنه ابن الله ، أو أن الآلهة ثلاثة ، فكفر محض بنص قرآننا الكريم ، فقد نحى باللائمة على من يدعي أن لله ابنا أو يدعو مع الله إلهاً آخر حيث يقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[1].

٤٣٠ ـ كما حكم سبحانه بكفر من يقول : إن الله هو المسيح ، والمسيح صلوات الله عليه قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله ربي وربكم فان من يشرك بالله يحرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وليس للظالم نصير ينصره من عذاب القادر المتجبر ، وحكم كذلك بكفر من قال : ان الله ثالث ثلاثة ، يعني أن الاله مكون من ثلاثة أقانيم : الآب والابن والروح القدس[2]. وبين أن لا إله إلا إله واحد ، وأن هؤلاء المسرفين الكافرين إن لم ينتهوا عن هذا القول ليمسن الكافرين منهم عذاب أليم ، وأظهر سبحانه بوضوح شأن المسيح وأنه وأمه ليسا من الألوهية في شيء ، إذ تختلف خصائصهما عن خصائص الإله فهما يحتاجان إلى الطعام وبدونه لا يستطيعان الحياة ، ومن شأنه كذلك ، فليس بإله ، وما أعجب شأن من يرى الآيات ثم ينصرف عنها إلى الباطل قال تعالى : ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ

---

(١) النساء الآية ١٧١ وكلمته: أمره الذي في «كن فيكون» وروح منه: رحمة، أو فيه قبس الأحياء فكل الأحياء فيهم ذلك القبس من الله .

(٢) الآب: وذلك بازاء المبدىء للعالم ، الابن : وهو بازاء الصادر الأول وهو معنى عام شامل لجميع الموجودات. الروح القدس: وهو بازاء العقول المجردة : الدين الخالص ٨٨/١، ٨٩ .

﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(١).

٤٣١ ـ وقرر سبحانه ـ تسفيهاً لعقول أولئك الظالمين ـ أنه إذا أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض فمن يمنعهم من قدرته ومشيئته؟لا أحد ، كما بين أن شأن المسيح أقل غرابة من شأن آدم ، فعيسى وجد من أحد السببين ، وآدم وجد بلا سبب مطلقاً : ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٢) ؟ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٣) .

٤٣٢ ـ كما قرر عليه السلام عن نفسه منذ الأيام الأولى من ولادته ، بل وأول كلمة نطق بها : أنه عبد من عباد الله : ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾(٤).

هذا وقد كانت خاتمته عليه السلام لثلاث مضت من بعثته ، وكانت سنه ثلاثاً وثلاثين(٥). فصلوات الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا .

وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

---

(١) سورة المائدة ٧٢ ـ ٧٥

(٢) سورة المائدة من الآية ١٧

(٣) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة مريم ٣٠

(٥) تاريخ الطبري ١/ ٥٩٨ .

# الفصل الثالث

## مزاعمهم وأخلاقهم

* أهم شعب مختار وأمة مفضلة ؟
* خرافة أرض الميعاد
* أخلاقهم

الغدر والخيانة ونقض العهود
الحسد والكراهية
الشقاق وعدم الوفاق فيما بينهم
الحب الشديد للمال
الجبن والحرص على الحياة
الغلظة وقسوة القلب
تعطشهم لسفك الدماء
إشعال نار الحروب والسعي بالفساد
الاستكبار والكفر بالنعمة
التعنت واللجاجة .

ليسوا شعباً مختاراً

٤٣٣ - يزعم اليهود أنهم شعب مختار وأمة مفضلة ، ويبنون هذا الزعم الخاطىء على ما ورد في العهد القديم - كما مرّ ف٢٠٦ - ، وعلى ما يقرره التلمود - كما مرّ - ف٢١١ .

والحقيقة أن بني إسرائيل ليسوا شعب الله المختار ، وليست أمتهم أفضل الأمم كما يدعون ، وكما يبدو لبعض الناس من ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فالمقصود بالعالمين عالمو زمانهم،إذ كان بنو إسرائيل هم الموحدين من دونهم ، وما كان تدليل الله لهم وإغداقه النعم عليهم إلا إمهالاً منه سبحانه ، وحتى يتضح للناس سوء خلقهم وفساد طبعهم .

٤٣٤ - فكيف يكونون كذلك وقد دحض الله حجتهم لما قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه حيث رد عليهم : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ ؟ وقال الله لهم إن كانت لكم الولاية عند الله حقا من دون الناس فتمنوا الموت ؛ لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله ؛ فللأولياء عند الله الكرامة ، حيث يقول سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١)

ثم بين سبحانه أنهم لن يتمنوه أبدا بما أسلفوا من كفر بالله وتكذيب لرسله ، فكان في ذلك بطلان زعمهم وما ادعوه من الولاية ، يقول سبحانه : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢) ولعنهم الله في كتابه صراحة في أحد عشر موضعاً :

ففي سورة البقرة : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(٨٨) ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٨٩) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي

(١) الجمعة ٦

(٢) الجمعة ٧ .

ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (١٥٩) وفي سورة آل عمران : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) .

وفي سورة النساء : ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ من الآية ٤٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٤٧) .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا (٥١) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ النساء ٥١ ، ٥٢ .

وفي سورة المائدة : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ (١٣) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (٦٠) .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ من الآية ٦٤ .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٨ ، ٧٩) .

ولعنهم ضمناً مع الكافرين والمنافقين والظالمين والكاذبين في « البقرة ١٦١ ، وفي النساء ٥٢ ، وفي هود ١٨ ، وفي الرعد ٢٥ ، وفي الأحزاب ٦٤ ، ٦٨ ، وفي غافر ٥٢».

٤٣٥ ـ كما عذبهم سبحانه بألوان من العذاب لم تحدث لغيرهم كالمسخ قردة وخنازير ، وتحريم طيبات عليهم أحلت لغيرهم ، وكحمل الاصر والأغلال عليهم .

وقضى عليهم سبحانه بالتشريد والتعذيب ، وأن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، كما قضى عليهم بالذلة والمسكنة مدى الحياة وسيرجعون

بعد ذلك إليه بمقته وغضبه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾(1) ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾(2)

واليهود هم الأمة الغضبية ، وقد أمرنا الله سبحانه في صلاتنا أن ندعوه ألا نكون مثلهم أو مثل النصارى الضالين ، فنحن نقرأ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(3).

وثبت(4) عن النبي ﷺ أنه قال: إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى».

**الأمة المختارة :**

٤٣٦ ـ وأما الأمة المختارة بحق فهي أمة محمد عليه السلام : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(5) وقال سبحانه لسيدنا موسى عليه السلام : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ..... »(6) فالرحمة الواسعة لمن يتبع محمدا صلوات الله عليه .

كما وصف الله سبحانه أمة محمد عليه السلام بأوصاف حميدة في التوراة والانجيل حيث يقول : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(7)

**خرافة أرض المعاد :**

٤٣٧ ـ يزعم اليهود أن الله وعدهم أرض كنعان ، ويبنون هذا الافتراء المحض على ما جاء في كتبهم،ففي الإصحاح السابع عشر ـ تكوين ـ يخاطب الله نبيه إبراهيم عليه السلام : « وأقيم عهدي بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك في

(1) سورة البقرة من الاية ٦١ .
(2) سورة آل عمران من الآية ١١٢
(3) الفاتحة الآية ٧
(4) مسند الامام احمد ٤/ ٣٧٨، ٣٧٩
(5) سورة آل عمران من الآية ١١٠
(6) الأعراف من الآيتين ١٥٦ ، ١٥٧
(7) سورة الفتح ٢٩ .

أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً» .

وعلى فرض صحة هذا فهل أنسال إبراهيم هم بنو إسرائيل وحدهم ؟ أليس من نسله أبناء اسماعيل ؟ وأين أبناء عيص أخي يعقوب عليه السلام ؟ وأين أبناء مدين ؟ ولكنهم تحريفاً منهم وإمعاناً في الباطل ، يذكرون في الاصحاح نفسه : لما ذكر سيدنا ابراهيم ولده اسماعيل للرب ليباركه ، وليكون له نصيب في الميعاد قال : ( وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . . . . ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة )

ولست في حاجة إلى قليل جهد لأبين زيف هذا القول وفساده .

٤٣٨ ـ ويمكن القول بأن وعد الله لهم ـ إن صح ـ قد تحقق بعد سيدنا موسى عليه السلام ، فقد دخلوا الأرض المقدسة وأقاموا دولة دينية ، ثم لما انحازوا عن هدى ربهم وعصوا رسله أزال الله دولتهم وحاق بهم سوء المآب يقول الله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾[1] ولعل في التعبير بالماضي : أورث وكان ، وتم ما يفيد أن ذلك كان قبل رسالة محمد عليه السلام .

ويمكن أن يقال بأن ذلك ـ على فرض صحته ـ تحقق على يد سيدنا داود عليه السلام فلا محل له الآن .

على أن اليهود أنفسهم مختلفون في حدود أرض الميعاد وفي مكانها فقد طالب بعضهم باقامة وطن يهودي في أية منطقة ، وفكر كثير منهم في إقامة دولة لهم في قبرص أومدغشقر، لولا أن الاستعمار هو الذي ساعدهم على محاولة إقامته في فلسطين ، وهذا مما يؤكد ما ذهب إليه الدكتور غوستاف لوبون حيث يقول : « لم تكن فلسطين غير بيئة مختلقة لليهود . . . . . . ) .

ثم أين بنو إسرائيل ؟ أهم أولئك الذين ذابوا في كل بلد ؟ أهم الذين اختلطت دماؤهم ـ طوعاً أو كرهاً ـ بكل أمة ؟

---

(١) سورة الأعراف ١٣٧ .

فالحق الذي لا مرية فيه ما قاله سيدنا موسى لهم كما حكاه لنا الله في كتابه العزيز : ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(1) ويقول عز شأنه : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾(2) فالأرض لله يورثها من أقام دينه واتبع تعاليمه ، لا من يسعى في الأرض الفساد ويقتل الأنبياء والأبرياء ويعادي الله وملائكته .

٤٣٩ ـ أخلاقهم وطباعهم

يستطيع الدارس لكتاب الله تعالى أن يتبين أخلاقهم وجبلتهم وسيرى أنهم طبعوا على :

١ ـ الغدر والخيانة ونقض المواثيق ، ويتجلى ذلك فيما يلي :

أ ـ غدرهم بأخيهم يوسف ، فلم يعرف التاريخ حادثة كهذه يتآمر فيها عشرة إخوة على أخيهم الصغير لا لشيء الا للحسد والحقد ، وما كان أجدرهم أن ينسوا حقدهم لأخيهم بعد طول غياب ولكن هيهات ؟! إنهم لم يتوانوا عن أن يقولوا : ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾(3).

ب ـ ما فعله الاسرائيلي حين أذاع سراً عرّض نبي الله موسى عليه السلام للقتل لولا أن فر إلى مدين عملاً بنصيحة الرجل المؤمن ، فالاسرائيلي كان السبب في الحادثة في اليوم الأول ، وكان السبب في الشجار في اليوم الثاني ، وما أن همّ سيدنا موسى برد العدوان عنه حتى صاح هذا الذي لا عهد له : ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾(4) .

جـ ـ نقضهم عهد الله وميثاقه الذي واثقهم به ، ونقضهم عهد الرسول عليه السلام ، حتى قال سبحانه فيهم : « أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾(5)

---

(1) سورة الأعراف ١٢٨ .
(2) سورة الأنبياء ١٠٥ .
(3) سورة يوسف من الآية ٧٧ .
(4) سورة القصص من الآية ١٩ .
(5) سورة البقرة من الآية ١٠٠ .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾(١).

وقد أصبحوا شر ما دب على الأرض عند الله ٠ حيث يقول سبحانه ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾(٢)

فقد ذكر ابن جرير أن المقصود بذلك بنو قريظة ونظراؤهم ممن عاهدوا الرسول ﷺ ثم نقضوا العهد وحاربوه وظاهروا عليه .

٤٤٠ ـ الحسد والكراهية ، وآية ذلك :

أ ـ حسدهم أخاهم الذي تربى معهم ، وشرفه شرف لهم ، ورفعته رفعة لهم ، ولكنهم كرهوا أن ينال أخوهم حظوة لدى والدهم فدبروا مؤامرتهم التي خففت بالالقاء في الجب،وما أغرب أن يجمع العشرة على الكذب كما أجمعوا على الغدر والحسد والكراهية .

ب ـ حسدهم النبي عليه السلام ومن سواه ، فهم لا يرضون أن تكون النبوة في غيرهم ـ فلم ينكروا رسالة عيسى أو رسالة محمد عليهما السلام الا للبغي والحسد : ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾(٣) ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(٤).

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾(٥) .

٤٤١ ـ الشقاق وعدم الوفاق فيما بينهم :

وأول شاهد على ذلك أن الله فجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عيناً لكل سبط عين ، ولو كانوا متفقين مؤتلفين لكفتهم عين واحدة كبيرة أو عدة أعين دون أن

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٣

(٢) الأنفال ٥٥، ٥٦.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٠٩

(٤) سورة النساء من الآية ٥٤

(٥) سورة البقرة من الآية ٩٠

يكون لكل أناس مشربهم والشاهد الثاني : كثرة الشقاق والخلاف اللذين كانا بين بني قريظة وبني النضير ، والتطاحن الذي كان بين مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا .

وقد وصف الله ذلك الشقاق وتلك الفرقة بقوله : ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(١).

٤٤٢ ـ حبهم الشديد للمال، وآية ذلك :

أ ـ مخاطبة الله لهم ـ وهو العليم بطبعهم ـ بالشراء والبيع والثمن حيث يقول : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾(٢) ، ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٣) ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾(٤) ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾(٥) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾(٦).

ب ـ بخلهم الشديد ، وأوضح مثل على ذلك عدم دفعهم ـ حسب العهد ـ عندما انتدبوا لذلك ، وقولهم الذي لم يقله أحد : إن يد الله مغلولة ، بل وأكثر من ذلك ،فلقد كانوا يبخلون ويأمرون غيرهم بالبخل : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾(٧).

جـ ـ تعاملهم بالربا الذي اشتهروا به في أنحاء العالم ، وأكلهم المال من أي طريق كان .

---

(١) سورة الحشر من الآية ١٤
(٢) سورة البقرة من الآية ٤١
(٣) سورة البقرة من الآية ٩٠
(٤) سورة آل عمران من الآية ١٨٧
(٥) سورة البقرة من الآية ٧٩
(٦) البقرة الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥
(٧) سورة النساء من الآية ٣٧

٤٤٣ ـ جبنهم وحرصهم على الحياة :

ولعل أوضح الأمثلة على ذلك : ما قالوه لسيدنا موسى مما لم يحدث من قبل ولا من بعد :﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾(١)، وتوليهم بعد أن كتب عليهم القتال وقد طلبوه : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾(٢) وجبنهم عندما رأوا جالوت ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾(٣) وفرارهم عند القتال : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(٤) وعدم جرأتهم على القتال إلا من وراء الحصون : ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾(٥).

ومن مدعاة جبنهم أيضاً حرصهم على الحياة ، فهم أشد الناس حرصاً على الحياة ويتمنون أن يعمّروا ، علّهم ينجون من العذاب ولكن لا نجاة ،﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(٦).

٤٤٤ ـ الغلظة وقسوة القلب :

وليس ذلك في حاجة إلى بيان فما فتىء اليهود ـ كلما أتيحت لهم فرصة للغدر ـ يفتكون ويبطشون ، ولا غرو فان تعاليم توراتهم المزعومة تدعوهم إلى ذلك ـ ولعل ما حدث في دير ياسين وقرية السموع والضفة الغربية عام ٦٧ والقرى السورية والعريش ومدن القنال ، وما زال يحدث كل يوم من ضرب بقنابل النابالم وقصف حتى للمستشفيات وخيام اللاجئين،لعل ذلك كله يكون خير شاهد على أن قلوبهم قد قدت من صخر ، وان نفوسهم تحمل الحقد والكراهية لكل الناس على سواء ولا تعرف الرحمة إليها سبيلاً ، ومصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ

---

(١) سورة المائدة من الاية ٢٤

(٢) سورة البقرة من الاية ٢٤٦

(٣) سورة البقرة من الاية ٢٤٩

(٤) سورة آل عمران ١١١

(٥) سورة الحشر من الاية ١٤

(٦) سورة البقرة ٩٦ .

﴿ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[2].

٤٤٥ ـ تعطشهم لسفك الدماء :

فلم تعرف البشرية جماعة يحبون سفك الدماء كاليهود ، فقد مر بك ف ٢١١ ان سفك الدم قربان لإلهم ، ولم تعرف البشرية كذلك أناساً يحتفلون في أعيادهم بأكل الفطير المعجون بدماء البشر ، بل وأكل شرائح من لحمهم ، كما هو عند اليهود .

ففي عيد البوريم[3] ، وعيد الفصح[4] ، وعند ختان الأطفال أو طقوس السحر والشعوذة يحتفل اليهود بأكل الفطير المعجون بدم البشر .

وتختار الذبائح في عيد البوريم من الشباب أو من الكبار ، وأما ذبائح عيد الفصح ، وضحايا أفراح الختان وضحايا طقوس السحر والشعوذة فتختار من الأطفال في سن العاشرة ويستنزف دم الضحية باحدى هذه الطرق[5] :

آ ـ طريقة البرميل الابري : وهو برميل مثلث بداخله إبر حادة ، يضعون الضحية حية فيه ، فتنزف الدم بسبب وخز الإبر ، وتظل كذلك حتى تموت ببطء ، واليهود حول البرميل يرقصون ابتهاجاً لمنظر الدم الذي يتجمع في إناء أسفل البرميل ، ثم يعطون الدم بعد ذلك للحاخام أو الكاهن ليعد به الفطائر .

ب ـ طريقة قطع الشرايين ، يقطعون شرايين الضحية في عدة مواضع ، ليتدفق الدم من جروحها ، ويجمع ويعطى للكاهن .

حـ ـ طريقة الذبح : يذبحون الضحية كما تذبح الشاة .

---

(١) سورة البقرة من الاية ٧٤

(٢) سورة المائدة من الاية ١٣

(٣) البوريم : الخلاص ، ويسمى كذلك عيد استير وهي المرأة التي خلصت اليهود من الإبادة على يد اخر ملوك الفرس فهو عيد نجاتهم من الذبح ، ويكون في منتصف مارس راجع سفر استير من العهد القديم لتعرف تفاصيل هذه الحادثة

(٤) ويسمى كذلك عيد الخروج ويحتفلون به في شهر ابريل ابتهاجا بنجاتهم من بطش فرعون ومن الغرق

(٥) راجع اليهودية واليهود د.على عبد الواحد وافى ص ٤٠ ، ٤١

٤٤٦ ـ وتدل الشواهد على أن هذا الفعل الشنيع يزاوله اليهود في كل بلد نزلوه وإلى وقتنا هذا . وقد ذكر السيد عبد الله التل في كتابه ( خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ) ص ٨٠ وما بعدها ، نقلاً عن كتاب ( طقوس الاغتيال اليهودية )[1] ما يناهز ستين حادثة من هذا النوع ، ارتكبها اليهود في معظم البلدان التي استضافتهم ـ وثبت ذلك بالاعتراف الصريح من مرتكب تلك الجرائم ولا يزالون يصنعون ذلك في الأرض المحتلة إلى يومنا . . . .

ولقد شهد شاهد من اليهود[2] ومؤرخ من أقدم مؤرخيهم وأشهرهم ، وهو المؤرخ (يوسيفوس) شهد بأن اليهود ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجين فطائرهم بل كانوا يأكلون كذلك قطعاً من لحوم تلك الضحايا وذكر هذا المؤرخ أن ملك اليونان أنطونيوس الرابع الذي تبوأ العرش سنة ١٧٤ق. م وفتح أورشليم حينما دخل هذه المدينة وجد في بعض أركان الهيكل رجلاً يونانياً ، كان اليهود قد حبسوه في هذا المكان ، وأخذوا يقدمون له أزكى الأطعمة ليسمن ويزكو لحمه ، حتى يأتي يوم يخرجون به إلى إحدى الغابات ، فيذبحونه ، ويشربون دمه ، ويأكلون شيئاً من لحمه ، ويحرقون باقيه ، وينثرون رماده في الصحراء ، وان ذلك كان تطبيقاً لوصية دينية لا تسعهم مخالفتها ، وأنهم كانوا يكررون فعلتهم هذه كل عام، وقد استرحم هذا السجين الملك فأنقذه.

٤٤٧ ـ إشعالهم نار الحرب وسعيهم بالفساد :

فالمطلع على التاريخ المدقق في حقائقه في العالم بعامة وفي الوطن العربي بخاصة يجد أن اليهود وراء كل شجار وحرب ، ويجدهم وراء كل فساد وإفساد وصدق الله إذ يقول : ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3].

٤٤٨ ـ استكبار وكفر بالنعمة :

ويتجلى ذلك في عدم قبولهم ما جاء به الرسل تعالياً وتكبراً ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴿٨٧﴾ ﴾[4] وكفرهم بأنعم الله التي لا تحصى ومعاداتهم

(١) مؤلفة ارنولدليز وهو مجاهد بريطاني ضد الإجرام اليهودي والسيطرة
(٢) راجع اليهودية واليهود د. وافي.
(٣) المائدة من الآية (٦٤). (٤) البقرة ٨٧ .

رسله وملائكته . . . والشواهد على ذلك فوق العد .

٤٤٩ ـ تعنت ولجاجة :

ولعل في قصة البقرة مثلاً حياً لذلك .

وبالجملة لست متجنياً إذ أقول : ان أخس صفات البشر بل أخس صفات الحيوان قد اتصف بها الكافرون من هؤلاء الناس .

# خـــاتـــمة

يستطيع الباحث أن يخلص بهذه النتائج :

٤٥٠ ـ أولاً : لاحق لليهود مطلقاً في ذرة من ثرى فلسطين .

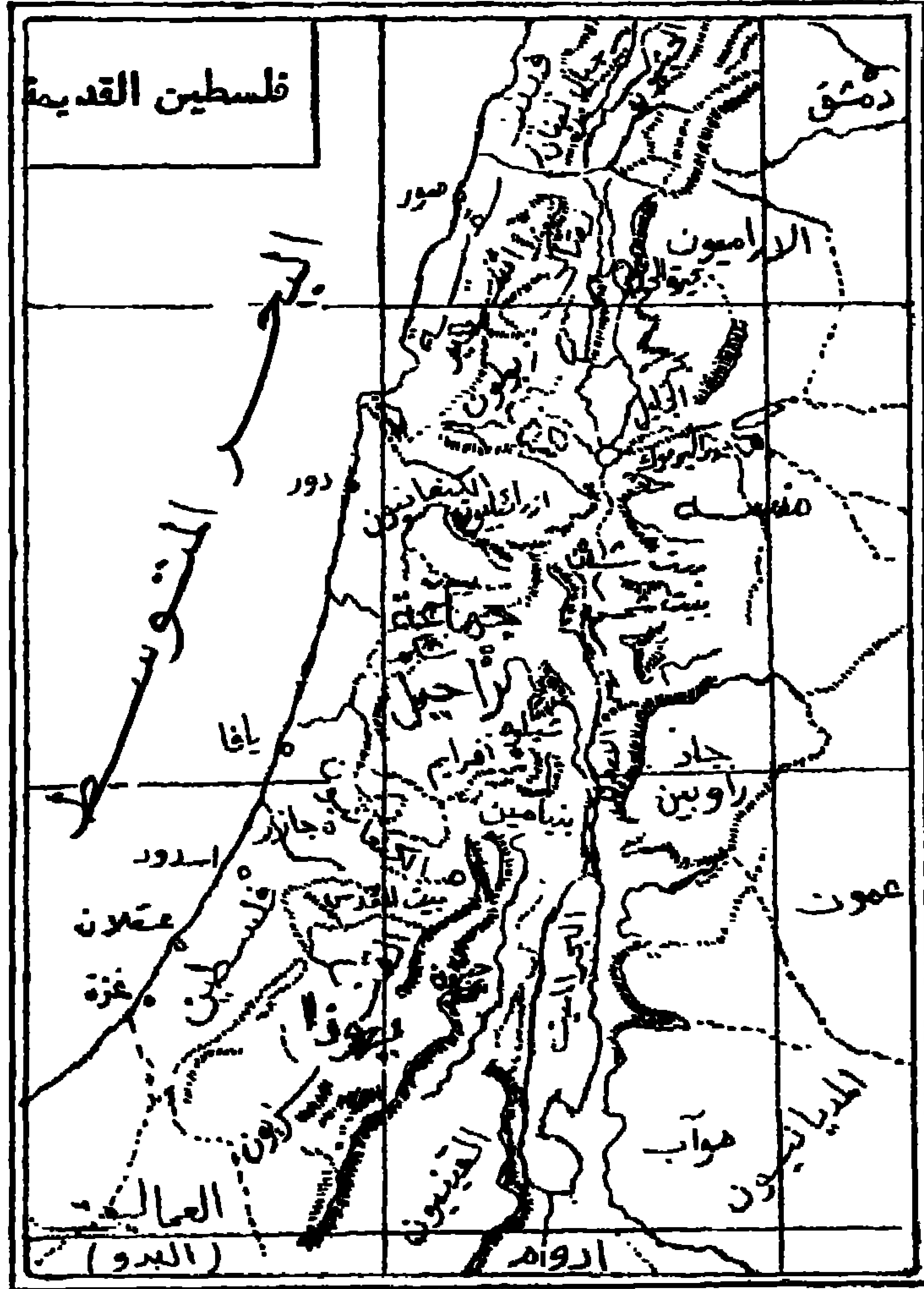
والدليل على ذلك :

ما أجمع عليه المؤرخون من أن العرب سكنوا فلسطين قبل أن يكون بنو إسرائيل بآلاف السنين ففي سنة ٤٠٠٠ ق.م نزل العرب فلسطين ، وفي سنة ٣٥٠٠ ق.م توالت الهجرات حيث جاءت القبائل الآمورية والكنعانية العربية

أما بنو إسرائيل فلم يكن لهم وجود إلا بميلاد سيدنا يعقوب وعودته من أرض العراق وإقامته مع بنيه بفلسطين ، ويمكن تحديد المدة التي عاشوها آنذاك بثلاث وثمانين سنة ، وذلك لأن سيدنا يعقوب عليه السلام مات عن مائة وأربعين عاش منها بمصر سبع عشرة سنة ، وبالعراق حتى بلغ الأربعين من عمره لأنه نبيء في الطريق ولا يكون ذلك إلا لأربعين ، وكان رحيل سيدنا يعقوب مع بنيه إلى مصر في سبعين شخصاً سنة ١٦٥٦ ق.م.

٤٥١ ـ وعاد بنو إسرائيل إلى فلسطين في القرن الثالث عشر ق.م ولكنهم لم يستقروا بها استقراراً تاماً ، فما لبثوا أن أغار عليهم العمالقة من العرب بزعامة جالوت فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم حتى عادوا على يد طالوت رضي الله عنه .

وفي سنة ٥٨٦ ق.م أغار عليهم بختنصر فخرب ديارهم ونفاهم إلى بابل ، ثم عاد كثير منهم بعد أن تغلب كورش ملك الفرس على البابليين سنة ٥٤٨ ق م وظلوا تحت سيطرة الفرس ثم المقدونيين كما بطش بهم خردوس فدمر ديارهم وسبى




فلسطين القديمة

لم يكن الإسرائيليون وحدهم مطلقاً في فلسطين في العصور الأولى التي حافظ الإنجيل على أنبائها وقد احتل الفلسطينيون الشاطىء الجنوبي بينما كان حيان كنعانيان يفصلان يهوذا في الجنوب، وزيبالون ونفتالي ويساكر في الشمال عن الوسط أو مجموعة قبائل راحيل.

ذراريهم ونساءهم ثم سيطر عليهم الرومان وفي سنة ١٣٥ م أخمدوا بقيادة هادريان ثورة قام بها اليهود مستخدمين في ذلك كل ألوان البطش والعنف فخرج اليهود هائمين على وجوههم في شتى البقاع .

٤٥٢ ـ وقد شهدت كتب اليهود بوجود دول وممالك في أرض كنعان قبلهم ففي الاصحاح الثاني عشرمن سفر يشوع ( وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو اسرائيل في عبر الأردن . . . الحثيون والآموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون ) .

كما شهد بذلك مؤرخون ليسوا من العرب أو المسلمين فيقول المؤرخ الفرنسي ( رابور )[1]: « إن سكان فلسطين يرجعون إلى عهد قديم يقدر بعشرة آلاف سنة ق.م وقبل أن يضع اليهود أقدامهم في فلسطين كان يقطنها أقوام وكانت لهم حضارة وأمجاد مثل الكنعانيين والحثيين والفينيقيين والفلسطينيين وغيرهم » وحتى في الآونة التي كان لهم فيها شأن لم تخلص لهم وهذه الخريطة من كتاب تاريخ العالم توضح ذلك .

٤٥٣ ـ فالعرب والفلسطينيون سكنوا هذه الأرض ستة آلاف سنة أربعة منها قبل الميلاد ، واثنان بعده .

واليهود لما دخلوا فلسطين في القرن ١٢ ق.م ـ وكان بها أهلها ـ لم يستقروا فيها ، بل أخرجوا على يد العمالقة ، ثم قضى الآشوريون على مملكة اسرائيل وأحلوا محلها قبائل عربية ، وسبى بختنصر مملكة يهوذا ، وأجلاهم نهائياً عن فلسطين ، فخلصت للعرب .

ولما عاد اليهود من بابل بمساعدة كورش ، وبعد استيلاء الرومان على فلسطين حاولوا القيام بثورة فأخمدها الرومان ، فتشتت اليهود في كل البقاع ولم يستقروا في دولة من الدول .

وفي سنة ٦٣٦ م أتم المسلمون تحرير فلسطين من حكم الرومان ومنذ ذلك التاريخ وفلسطين لنا لغة ودينا فأي حق لمن خرج من ثمانية عشر قرناً وانماع في كل

---

(١)نقلا عن كتاب المزاعم الصهيونية ٦١

الدول واختلط بكل الأجناس[1] في أن يعود اليوم ليخرج العرب من ديارهم ويستولي على أموالهم ؟؟؟

إن اليهود حتى منتصف القرن التاسع عشر لم يكن عددهم في فلسطين إلا حوالي ١١.٨٠٠ شخص وفي سنة ١٩١٤ بلغ عددهم ٨٥ ألفاً وفي سنة ١٩١٧ كان وعد بلفور المشؤوم والذي أعطى فيه من لا يملك وعداً لمن لا يستحق ومن لا يملك ولا يستحق سلباً صاحب الحق الشرعي حقه .

وأما خرافة أرض الميعاد فقد تبين أن لا أساس لها ، وما هي إلا محض افتراء .

٤٥٤ ـ ثانياً : اليهود أعداء الإنسانية وألد أعداء المسلمين يتجلى ذلك في قوله تعالى حكاية عنهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴿٧٥﴾﴾[2] وفي الأحكام التي سنتها أسفارهم المزعومة والتي تبيح لهم دماء وأموال وأعراض كل الشعوب ، وفي قوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[3] .

٤٥٥ ـ ثالثاً : النصر باذن الله حليف المسلمين مهما طال الزمن وكثرت التضحيات ، وذلك لأن الله توعد هؤلاء الآثمين بأنهم كلما بغوا وأفسدوا سلط عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وقد أفسدوا مرتين وعلوا علواً كبيراً فسلط الله عليهم في المرة الأولى بختنصر فخرب ديارهم وساقهم عبيداً إلى بابل ، وفي المرة الثانية بطش بهم خردوس وجنوده ثم هادريان الروماني حيث أخرجهم من ديارهم فتشتتوا في كل مكان ولم تقم لهم قائمة إلى اليوم وقد قال الله بعد ذلك : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[4] أي ان عدتم للافساد عدنا في أن نسلط عليكم من يفتك بكم ويدوس دياركم ويسومكم سوء العذاب ، وأي افساد بعد الذي عملوه منذ عام ١٩٤٨ م ! وبعد حرقهم الشيوخ والأطفال بقنابل النبالم ! وبعد هتكهم الأعراض وسفكهم الدماء ؟! وأي إفساد

---

(١) راجع ان شئت تاريخ اضطهادهم في العالم في آخر الباب الأول لتعرف كم دولة اختلطوا بها .

(٢) آل عمران من الآية ٧٥

(٣) المائدة صدر الآية ٨٢ (٤) الإسراء ٨ .

بعد تحويلهم بيوت الله إلى كبيريهات ونواد ليلية ؟؟ وان الله سبحانه قد تأذن أن يسلط عليهم إلى يوم القيامة من يذيقهم العذاب الهون جزاء كفرهم وطغيانهم ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (١)

٤٥٦ ـ رابعاً : ظهر لنا جميعاً واضحاً جلياً أن أسفار اليهود سواء منها العهد القديم أو التلمود هي من صنع أيديهم وكلها كذب وافتراء ، وليس فيها شيء ملطقاً من التوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى ، والشواهد على ذلك لا تحصى .

٤٥٧ ـ خامساً : ظهر لنا كذلك كما في الفقرتين ٢٤٨ ، ٢٤٩ أن الصهاينة عندما يريدون احتلال شعب وامتصاص خيراته يبذرون فيه بذور الفساد حتى ينتاب شبابه العته لانغماسه في الفسق الذي يدفعه إليه النساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف ، كما يوقعون الشبيبة في شراك الرذيلة عن طريق الاباحية والخلاعة في دور العرض السينائي والمرابع والحانات .

٤٥٨ ـ سادساً : مخالفتهم عقيدتهم وشريعتهم وكفرهم الصراح . تبين لنا أن عقيدتهم التي أتاهم بها سيدنا موسى عليه السلام تقر وحدانية الله وتنزهه عن كل نقص،وتصفه بكل كمال ،وتجعله مخالفاً للحوادث ، وتوجب الايمان بالرسل وتفرض احترامهم ، وتحتم الايمان بالملائكة واليوم الآخر ، كما أن شريعتهم توجب الصلاة والزكاة والصوم وتحرم الزنى والربا وأكل المال بالباطل كما تحقق حرمة النفس .

ولكن توراتهم المزعومة وصفت الله بالنقص ، وجعلته كأقل الحوادث ، وجعلت له ولداً وشريكاً ، ولم ترع للأنبياء حرمة ولم ترج لهم وقاراً بل نسبت إليهم الفحش وكفرت باليوم الآخر وعادت الملائكة كما ضيعت الصلاة والصوم ، وأباحت الزنى وأكل السحت وسلب أموال الناس بالباطل .

**٤٥٩ ـ سابعاً** : لقد تبين بطلان ما ادعاه إخوة يوسف عليه من سرقة ،وظهر أنه لم يسرق كما برئت ساحته مما نسب إليه من هم بامرأة العزيز يريد الفاحشة .

---

(١) الأعراف ١٦٧

وأصبح من الكفر ادعاء أن سيدنا هرون هو الذي أمرهم باتخاذ العجل ، ومن الكفر أيضاً تناقل ما قاله اليهود عن سيدنا داود عليه السلام وأوربا وأنه زنى بها، لأن ذلك لا أساس له من عقل أونقل،واليهود إنما تقولوه ليحطوا من قدر سيدنا عيسى،لانتمائه إلى داود،ويعد من الخروج عن ربقة الاسلام الجري وراء اليهود فيما ادعوه على سيدنا سليمان من كفر وأنه ما ملك إلابالسحروفيما يقولونه أيضاً من أن الشيطان جلس على كرسيه ساعة تشبه به وأخذ الخاتم من الأمينة ، كما اتضح الأمر في مسألة الخيل . . . وسيدنا يونس عليه السلام لم يكن مغاضباً لله ، وإنما كان مغاضباً لقومه .

وكان سيدنا يحيى عليه السلام حصوراً : مبالغاً في حصر نفسه عن الشهوات لا فاقداً قدرة الرجال كما جاء في الاسرائيليات .

٤٦٠ ـ ثامناً : كان ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام على هذا النحو آية من آيات قدرة الله ، وليس هو إلهاً ولا ابناً للإله كما يدعي النصارى ، وإنما هو عبد الله ورسوله ، ولم يصلب كما يعتقدون وإنما الذي صلب حواريه « الاسخريوطي » فقد ألقى عليه شبهه لأنه هو الذي دلهم على مكانه كما تبين أن عقيدة الصلب والفداء عقيدة وثنية فهي قديمة العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم .

٤٦١ ـ تاسعاً : نستطيع من خلال ذلك أن نتبين أخلاق الكافرين من اليهود ، وسنرى أنهم طبعوا على ض :

- الغدر والخيانة ونقض العهود
- الحسد والكراهية
- الشقاق وعدم الوفاق فيما بينهم
- الحب الشديد للمال .
- الجبن والحرص على الحياة
- الغلظة وقسوة القلب
- التعطش لسفك الدماء
- إشعال نار الحروب والسعي بالفساد
- الاستكبار والكفر بالنعمة

- التعنت واللجاجة

٤٦٢ - عاشراً : قضى الله على بني إسرائيل ألا تقوم لهم قائمة وألا يكون لهم شأن إلا على المساعدات، والتي تكون باذن من الله وعون منه، حتى يفيق عباده المؤمنون ويثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا إلى ربهم، فتكون لهم الغلبة على عدوهم وعدوه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (١)

**ووصيتي :**

١ - أن يفهم المسلمون مكايد عدوهم وعلى الأخص فيما يتعلق باشاعة الفساد والفسق بيننا - مما بيناه في الفقرتين ٢٤٨ ، ٢٤٩ عن كتبهم - وأخص بالوصية السادة الرقباء على الصحف والسينما والاذاعة والتلفزيون - في كل البلدان العربية ، وعلينا جميعاً أن نفهم ما فهمه هتلر عن هؤلاء الناس حتى نفوّت عليهم غرضهم وحتى لا نقع في حبائلهم .

٢ - كما أود أن يزداد المسلمون تمسكاً بدينهم ويقيناً بربهم ، وأن يعملوا على نصرة دين الله حتى ينصرهم الله : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٢)

٣ - أن يصحح مايقال من أن اليهود جاءوا إلى فلسطين أول مرة مع الخليل إبراهيم ، فهم لم يكن لهم وجود إلا بعد ميلاد سيدنا يعقوب وإنجابه الاثني عشر ولداً الذين هم الأسباط والأصل ، كما أن تسميتهم بالعبرانيين تكون : لأنهم عبروا نهر الأردن أو لأنهم عبروا نهر الفرات مع أبيهم لا أن جدهم إبراهيم هو الذي عبره فهم قد عبروه كما عبره ، وكيف يختصون بهذه التسمية دون سائر أبنائه ؟

٤ - ووصيتي إلى الأساتذة الفضلاء الذين نسبوا إلى أسفار اليهود مع أكيد علمهم بأنها مزعومة - نسبوا إليها أنها سماوية ، أو سموها بالأسفار المقدسة وصيتي اليهم أن يعيدوا النظر في ذلك ، فليست هذه سماوية ، وليست مقدسة الا في نظر أربابها .

٥ - بودي كذلك أن يعاد النظر فيما يقال من أن موسى جاء بديانة يهودية وعيسى جاء

---

(١) آل عمران ١١٢ . (٢) الحج / ٤٠

بديانة نصرانية أو أن الله أنزل الديانة اليهودية والنصرانية ، فما جاء به النبيون وما أنزله الله هو الاسلام ولئن نسب الدين إلى معتنقيه تجوزاً فلا يصح مطلقاً أن نتناسى الأصل ونسمي بالنسبة .

٦ ـ وصيتي إلى المسلمين جميعاً ألا يهنوا وألا يضعفوا ، وأن يعتبروا بالماضي وأن يتفهموا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [1] وقوله : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [2] . وقوله : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [3]

٧ ـ أن نعتبر بما حدث لليهود فقد استوجبوا اللعن بعدم تناهيهم عن المنكر ، وفضلت أمة محمد عليه السلام لأنها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله ، فيوم أن نضيع ذلك نكون مثلهم ويحيق بنا ما حاق بهم .

٨ ـ كما أرجو أن يكون شعار كل محارب وكل مسلم قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [5] .

---

(١) الرعد من الآية/ ١١

(٢) الأنفال صدر الآية / ٦٠

(٣) آل عمران ١٣٧ ـ ١٤١

(٤) الأنفال ١٥ ، ١٦

(٥) التوبة / ١٤

وأخيراً

لن يفوتني أن أضرع إلى الله العلي القدير أن يجزل ثواب أستاذنا الجليل الدكتور مصطفى زيد على كريم توجيهه وحسن إرشاده ، وأن يسكنه فسيح جناته .

اللهم هذا عملي خالصاً لوجهك لا أبتغي به سوى نصرة دينك وإعزاز كلمتك فان أكن قد وفقت؛فهذا من منك وكرمك ،وإن يكن غير ذلك فحسبي أنني لم أدخر وسعاً إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

والحمد لله أولاً وآخراً .

مدينة الزهراء

مصر القديمة
غرة ذي العقدة ١٣٩٠ هـ
٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٧٠ م

# المـــراجــــع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أسباب النزول — لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي إمام حافظ مؤرخ أديب ت ٩١١ هـ مطابع الشعب .

٣ ـ إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان — لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية تصحيح وتعليق محمد جمال الدين القاسمي مطبعة المنار سنة ١٣٢٧ هـ

٤ ـ أنوار التنزيل : وهو تفسير البيضاوي : — القاضي عبد الله بن عمر المتوفي سنة ٦٧٥ هـ القاهرة عبد الحميد احمد ١٩٣٦ م

٥ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام — للدكتور علي عبد الواحد وافى مكتبة نهضة مصر بالفجالة سنة ١٩٦٤ م

٦ ـ البداية والنهاية في التاريخ — للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ الطبعة الأولى ، بنفقة مطبعة السعادة والمطبعة السلفية ومكتبة الخانجي .

٧ ـ التلمود شريعة اسرائيل — أصدرته لجنة ( كتب سياسية ) القاهرة ١٩٥٧ الكتاب الثامن عشر.

٨ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ طبع دار الكتب .

٩ ـ الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون أول ترجمة عربية أمينة كاملة مطبعة دار الكتاب العربي

١٠ ـ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية . عبدالله التل .

١١ ـ الدين الخالص للمحدث المفسر السيد أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني التنوجي البخاري من علماء الهند ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر على نفقة الشيخ آل ثاني

١٢ ـ ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للمولى أبي السعود محمد بن العماري دار الطباعة المصرية ١٣٧٥ هـ

١٣ ـ روح المعاني لأبي الفضل: محمود بن عبدالله الحسيني ت ١٢٧٠هـ مكتبة دار التراث. القاهرة.

١٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي القاهرة المكتبة التجارية الكبرى

١٥ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير البيروتي أفندي بيروت ١٣٣٠ هـ

١٦ ـ العهد القديم

١٧ ـ العهد الجديد

طبعا بنفقة جمعية الكتاب المقدس،القاهرة

| | |
|---|---|
| ١٨ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل | للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦ هـ المطبعة الأدبية سنة ١٣١٧ هـ |
| ١٩ ـ في الفكر اليهودي | تأليف ج .هـ . هرتس الحاخام الأكبر للامبراطورية البريطانية ترجمة الدكتور الفريد بلوس . |
| ٢٠ ـ القاموس المحيط | لمجد الدين محمد بن يعقوب بن ابراهيم بن عمر الفيروزبادي الشيرازي المتوفي سنة ٨١٦ هـ |
| ٢١ ـ القرآن واليهود | للأستاذ محمد عزت دروزة القاهرة مكتبة نهضة مصر . |
| ٢٢ ـ الكامل في التاريخ | للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب عز الدين توفي سنة ٦٣٠ هـ إدارة الطباعة المنيرية |
| ٢٣ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود | ترجمه عن الفرنسية يوسف حنا نصرالله بيروت . طبعة ثانية سنة ١٣٨٨ م |
| ٢٤ ـ المختصر في أخبار البشر | لأبي الفداء إسماعيل دار الكتاب اللبناني بيروت . |
| ٢٥ ـ المزاعم الصهيونية في فلسطين | فتحي فوزي عبد المعطي دار المعارف بمصر |
| ٢٦ ـ المسلمون واسترداد بيت المقدس | للإمام الأكبر د . محمد الفحام سلسلة البحوث الاسلامية . |

٢٧ ـ النسخ في القرآن الكريم — للمرحوم الدكتور مصطفى زيد . دار الفكر العربي ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م .

٢٨ ـ اليهود في القرآن الكريم — عفيف عبد الفتاح طبارة توزيع دار العلم للملايين بيروت لبنان

٢٩ ـ اليهود في تاريخ الحضارات الأولى — تأليف الدكتور غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر مطبعة حجازي سنة ١٩٥٠ م

٣٠ ـ تاريخ العالم — نشره بالانجليزية السيرجون . أ . هامرتن ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية

٣١ ـ تاريخ الطبري — لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف

٣٢ ـ تفسير القرآن الكريم — للأساتذة :محمود محمد حمزة ،حسن علوان ، محمد أحمد برانق دار المعارف ٣٠ جزءاً

٣٣ ـ تفسير القرآن الحكيم أو تفسير المنار: — محمد رشيد بن علي رضا المتوفي سنة ١٣٥٤ هـ ١٢ جزءاً ولم يكمل .

٣٤ ـ تفسير القرآن العظيم — لابن كثير دار إحياء الكتاب العربي ١٩٥٢ م

٣٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن — لأبي جعفر : محمد بن جرير الطبرى ق. ٣١٠ هـ . صبيح . القاهرة .

٣٦ ـ حاشية الجمل على الجلالين — جلال الدين السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكرت ٩١١هـ جلال الدين المحلي : محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم المحلي الشافعي ولد بالقاهرة ت ١٦٤ هـ لسليمان بن عمر العجيلي

الشافعي الشهير بالجمل ت ١٢٠٤ هـ طبع عيسى الحلبي مصر

٣٧ ـ دائرة المعارف الاسلامية | يصدرها بالعربية : أحمد الشنتاوي ، إبراهيم خورشيد ، د . عبد الحميد يونس . ويراجعها د . مهدي علام .

٣٨ ـ سيرة النبي ﷺ | لأبي محمد عبد الملك بن هشام تحقيق المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد طبع محمد علي صبيح

٣٩ ـ صحيح البخاري | لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ هـ مطابع الشعب .

٤٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووي | للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٧٤ بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي

٤١ ـ قاموس الكتاب المقدس | تأليف وترجمة جورجي يوسف جزئين في مجلدين بيروت المطبعة الامريكانية ١٨٩٤ م

٤٢ ـ قصص الأنبياء | للمرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار الطبعة الرابعة القاهرة مطبعة العلوم ١٩٣٣ م

٤٣ ـ قصص القرآن | محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، السيد شحاتة المكتبة التجارية

٤٤ ـ قصة الزواج والعزوبة في العالم | د . وافى طبع نهضة مصر بالفجالة

| | |
|---|---|
| ٤٥ ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر | لعبد الرحمن بن خلدون دار الطبع والنشر بالمغرب المكتبة التجارية الكبرى . |
| ٤٦ ـ كفاحي | تأليف أدولف هتلر ترجمة لويس الحاج بيروت مطبعة الاتحاد ١٩٥٢ م |
| ٤٧ ـ لسان العرب | لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي ت ٧١١ هـ |
| ٤٨ ـ محاسن التأويل | لمحمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ت ١٣٣٢ هـ دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٧ م |
| ٤٩ ـ محمد واليهود | محمد أحمد برانق ، محمد يوسف المحجوب مؤسسة المطبوعات الحديثة |
| ٥٠ ـ مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير | لمحمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦ هـ المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية١٣٠٧هـ الطبعة الأولى |
| ٥١ ـ معجم البلدان | لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي شهاب الدين المتوفى سنة ٦٢٦ هـ |
| ٥٢ ـ وعد الله وإسرائيل | للأستاذ عبد الحميد جودة السحار دار مصر للطباعة |

# فهـــرس الموضوعات

## الأرقام للفقرات

الفصل الثالث ( ٦٧ - ١٣٦ )

الفصل الرابع ( ١٣٧ - ١٧٤ )



الباب الثاني (عقيدتهم وشريعتهم)

الفصل الأول ( ١٧٧ - ٢٢١ )

الفصل الثاني ( ٢٢٢ - ٢٦٩ ) .



**الباب الثالث ( قصصهم وأنبياؤهم ، ومزاعمهم وأخلاقهم )**

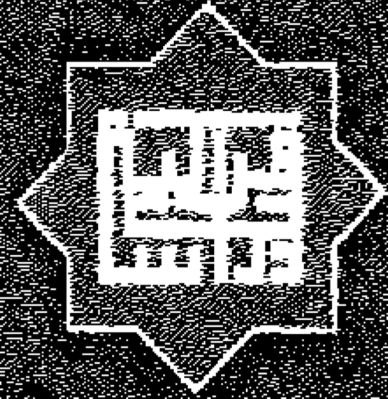
الفصل الأول ( ٢٧٠ - ٣٠٦ )

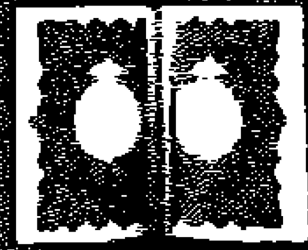
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء
والمرسلين

رقم الإيداع ٧٩١١ / ٨٨

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة





أ.د. محمد عبد السلام أبو النيل

# بنو إسرائيل في القرآن الكريم

صدر للمؤلف عن مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع

- دراسات في القرآن الكريم (تفسير موضوعي)
- بنو إسرائيل في القرآن الكريم
- غزوات خلد القرآن الكريم ذكرها
- البعث والدار الآخرة في هدى القرآن الكريم
- حقوق المرأة في الإسلام
- العلاقات الأسرية في الإسلام
- تفسير الإمام مجاهد بن جبر (تحقيق)
- الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس (تحقيق وتوثيق ودراسة)








مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع

الكويت: هاتف ٢٦٤١٩٨٥ فاكس ٢٦٤٧٧٨٤

الإمارات: هاتف ٧٦٦٢١٨٩ فاكس ٧٦٥٧٩٠١

E-mail:alfalah_bookshop@hotmail.com